القرآن كتاب الحياة

سماحة آية الله العظمى الإمام
السيد علي الحسيني الخامنئي
دام ظله الوارف

دار الولاء
بيروت - لبنان



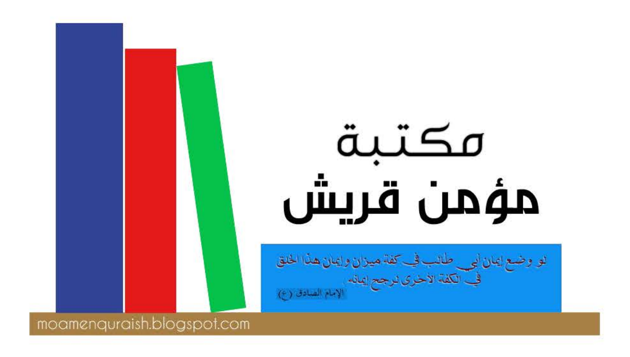
القرآن
كتاب الحياة

رؤية سماحة الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظلّه)

دار الولاء
بيروت - لبنان



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 545133 1 00961 - 689496 3 00961 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail:daralwalaa@yahoo.com



ISBN: 978-614-420-034-6

الكتاب: القرآن كتاب الحياة
رؤية سماحة الإمام السيد علي الخامنئي(دام ظلّه)

إعداد، وجمع: مؤسسة قدر الولاية الثقافية
الناشر: دار الولاء
الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

فهرس المحتويات الكتاب

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

المقدمة

«بما أن الإنسان هو كل شئ في العالم و لديه الجوانب المعنوية والروحانية من جهة والجوانب المادية والجسمانية من جهة أُخرى، فيه البعد الظاهري و عنده البعد الباطني والقرآن الكريم قد جاء بدوره ليتبنىٰ هذا الإنسان و يقوم بتربيته، فهو يقوم بتربية جميع أبعاده أي أنه يتبنىٰ جميع احتياجات الإنسان، الشخصية والذاتية والعلاقات الفردية التي تربط الإنسان بخالقه ـ تبارك و تعالىٰ ـ و كذلك الموضوعات التي تتعلق بالتوحيد... لديه مثل هذه العلاقات و كذلك توجد عنده القضايا السياسية والإجتماعية و قضية الحرب ضد الكفار و بعض الفئات الأُخرىٰ من الناس...».

الإمام الخميني (رحمةالله عليه)

القرآن الكريم هوالثقل الأكبر و هو كتاب الحياة والدستور الصادر من جانب الباري عزوجل ليطبق في مجال تربية الإنسان و كيفية تنظيم و تنسيق شؤونه في الحياة المادية و دفعها نحو المستقبل، ثم كيفية قيامه بإضافة الصبغة الالهية المعنوية لهذه الأمور المادية في حياته بحيث ترتكز حياته المادية في الدنيا علىٰ أساس فطرته و مشيئةالله عزوجل من جهة و كذلك تقترن حياته الأخروية من جهة أُخرىٰ برضا الباري تعالىٰ.

القرآن هو كتاب الإرشاد والهداية لمن يريد أن يهتدي و يطمح اليها، حيث أنّ اَصحاب القلوب المرضىٰ والذين قديئسوا من رحمة‌الله، محرومون من هذه الهداية القرآنية.

القرآن يهدي المؤمنين به الى الغاية المنشودة والهدف الأمثل في جميع مجالات الحياة‌المختلفة، و لا يقبل باستيلاء الكفّار والمشركين والمنافقين علىٰ المؤمنين و لا يسمح بتوغل هؤلاء بين المسلمين و يدافع عن المؤمنين حيال الهجمات والحملات الشيطانية و يحافظ عليهم، اِذْ اَنّ الهجوم الذي يقوم به اَعداءالله، على امتداد تاريخ الإسلام و حياة المسلمين، ضد القرآن الكريم و من جوانب متعددة، يدل علىٰ التأثيرالرائع والعجيب للقرآن الكريم في قلوب المسلمين و حياتهم. في بعض الأحيان يُفَسَّر القرآن الكريم علىٰ أنه هوالدافع الى الإستسلام والفتور و عدم الالتزام بين المسلمين و هذه قراءة خاطئة طبعاً و أحياناً يسعىٰ البعض لإضفاء التفسيرالمادي على الآيات الالهية، بغية استئصال الأخلاق والمعنويات والنزعة الأخروية من حياة المؤمنين و هناك البعض الآخر يحاول اِلقاء هذه الفكرة بأن القرآن غامض و لا يمكن فهمه و هو كتاب لا يصلح اِلاّ للأموات و وضعه على الرفوف والإكتفاء بتقبيله و تقديسه اَو في بعض الأحيان يتم التوجه اليه بالظواهر الخارجية فقط كالصوت واللحن والقراءة للوقوف اَمام التدبر والتفكر والتعمّق فيه، وأحياناً يسدون الطريق و يصدّون السبيل للعمل بالقرآن الكريم والنيل من قداسته عن طريق طعنه والتمهيد لخلق‌الأجواء الخيانية الصادرة عن العناد و اللجاج والعداء الشديد للإسلام الأغر في المجتمع.

اليقظة الإسلامية المنبعثة عن الثورة الإسلامية المجيدة في ايران اليوم قد جعلت من القرآن الركيزة المؤثرة والبركة الواسعة والحاضر المشرّف في الحياة الفردية و الاجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية للمسلمين. فالتمسك والاعتصام واستثمار القرآنالكريم في جميع أبعاد الحياة، لابد أن يكون متطابقاً مع نهج و سيرة و تفسير أهلالبيت (عليهمالسلام) بشكل شامل و دقيق (و هم الثقل الآخر الى جانب القرآن) و من هذا المنطلق سيخطو المجتمع الإسلامي بخطوات مرنة و مطمئنة، و هو يجتاز الطرق الملتوية الصعبة نحو الكمال والرفاهية والسعادة.

إنّ تعرُّف الناس و خاصة الشباب والناشئة علىٰ الأبعاد المختلفة للقرآنالكريم و الآثار الخالدة الكريمة المتعلقة به، يعتبر أمراً ضرورياً و أفضل دعم للقرآن المجيد إزاء إلقاء الشبهات والغزو الداخلي والخارجي للاعداء، هو العمل بالآيات الالهية و أحكامه، إذ أن الاستئناس بالقرآن الكريم والتدبر فيه و متابعة موضوع تطبيقه والعمل به في المجالات الفردية والاجتماعية والسياسية يعتبرالسبيل الأفضل والحلّ الأمثل لمشاكل المجتمع و لهذا فقد صدق قائدالثورة الإسلامية حيث قال: «جميع العُقد العمياء و المشاكل العالقة التي نعاني منها، لم تحدث إلاّ لأننا قد ابتعدنا من الإسلام و أحكامه المقدسة و حيثما نجد أن العقد قد انحلت والمشاكل العويصة قد انتهت والنجاح قد حالف الأمة، و لم يحصل ذلك إلاّ بفضل الإسلام الأغر، حيث أن القرآن هو المعرِّف والمنادي والداعي والرمز والمصدر الأصيل للإسلام».

نأمل أن تكون هذه المجموعة و هذاالكتاب هو الدافع والباعث للمعرفة

و الإستئناس بالقرآن والعمل به، و أن تثير شوقاً اكبر و وعياً اكثر بين كافة الناس و الشباب على وجه التحديد، إذ أن هذه المجموعة هي قراءة ثاقبة للقرآن الكريم و حصيلة التدبر العميق والعمل الدقيق به من قبل شخص قد تخلّص من أي ارتباط غيرالله عزوجل و قد تحلّىٰ بالطاعة والعبودية للباريء تعالىٰ، فمثل هذا الكلام بامكانه أن يأخذ مكانه في قلوب الناس و من هنا نرجو أن تشملنا أدعية الأشقاء و الأصدقاء الأوفياء و الأحبة الطيبين في كل مكان.

مؤسسة قدرالولاية الثقافية

طهران ـ ١٤٢٥ هـ. ق، ١٣٨٣ هـ.ش (٢٠٠٤ م)

الفصل الأول

ضرورة حضور القرآن الكريم في جميع مجالات الحياة الإنسانية والبركات الحاصلة عن ذلك

«إنّ غفلة المسلمين لسنوات طويلة و مهجورية و غربة القرآن، أدّىٰ إلىٰ أن تتمكن أنامل التحريف والتهميش لترسيخ الكلام الباطلُ السخيف في الأذهان والعمل على نفي و إنكار أقوىٰ أصل من أصول الدين و إضفاء ثوب التوحيد علىٰ الشرك والتصدي لتجاهل المضامين والمفاهيم الموجودة في الآيات القرآنية، دون أي خوف أو ارتباك، في حين أن القرآن يعتبر اقامة القسط والعدل هو الهدف الأساس لأرسال الرسل: «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»، (سورة الحديد/الآية رقم ٢٥) و كذلك فانّ القرآن الكريم يخاطب المؤمنين جميعاً و يقول: «كونوا قوّامين بالقسط، شهداءلله»؛ (سورة النساء/الآية رقم ١٣٥)، ثم نشاهد كيف أنّ الآيات القرآنية تحمّل المؤمنين المسؤولية الكاملة للنضال من أجل إقامة القسط، في حين أن كتاب‌الله يمانع من الركون والاعتماد علىٰ الظالمين، ثم يوجّه أنصاره قائلاً: «و لا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار»، (سورة هود/الآية رقم ١١٣)، و يعتبر الرضوخ لظلم الطاغوت منافياً

للإيمان: «ألم ترَ الىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل اليك و ما أُنزل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت و قد أُمروا أن يكفروا به» (سورة النساء/الآية رقم ٦٠)، ثم يجعل الكفر بالطاغوت الى جنب الإيمان بالله: «فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها» (سورة البقرة/الآية رقم ٢٥٦)، في حين اَنّ أول شعار في الإسلام هو شعار التوحيد، أي نفي جميع القوىٰ المادية والسياسية و جميع الأصنام الحجرية الميتة و البشرية الحيّة، في حين أن أول إجراء قام به رسول‌الله(ص) بعد الهجرة الى المدينة المنورة، هو تأسيس الدولة والإدارة السياسية للمجتمع، هذا و بالإضافة الى الأدلة الدامغة والقرائن الواضحة التي تشدد علىٰ مصداقية مواكبة الدين للسياسة، مع هذا كله، هناك بعض الأشخاص لا زالوا يزعمون بأن ليس هناك أي ترابط و اتصال بين الدين والسياسة، ثم ظهرت بعد ذلك فئة وافقت علىٰ هذا الكلام المعارض للإسلام.

إنّ السياسيين الذين يّدعون و يؤكدون على انفصال الدين عن السياسة والذين هبّوا لمساعدة هؤلاء، من بين اَهل الايمان و هم يتشدقون بهذه الأقوال هنا و هناك، هل فكروا ـ ياترىٰ ـ في الآيات القرآنية و تاريخ الاسلام و اَحكام الشريعة الإسلامية مليّاً؟ و هل تأملوا، فيما لو كان الدين منفصلاً عن السياسة حقاً، فلماذا يربط القرآن الكريم جميع الشؤون السياسية؛ أي الحكومة والقانون والتكتلات الموجودة في حياة المجتمع البشري والحرب والسلم و تحديد و تشخيص الصديق من العدو و باقي مظاهر السياسة، لماذا يربط جميعها بالله و دين‌الله و اَولياء‌الله؟

و هل ستكون الأعمال والسلوكيات السياسية والاجتماعية التي تشكل

القسط الأعظم من حياة الناس، دون أي عقاب أو ثواب؟ إنْ كان الأمر كذلك حقاً، فما معنىٰ هذه الآيات: «و وجدوا ما عملوا حاضراً» (سورة الكهف/الآية رقم ٤٩) و كذلك: «وفيّت كل نفس ما عملت» (سورة الزمر/الآية رقم ٧٠)، كيف يمكن تقييم هذه الآيات إذاً؟ هل يمكن القول بأن الإسلام لا يهتم بالاعمال الايجابية والسلبية في عالم الدنيا و لم يصدّر أي واجب أو مسؤولية للناس، لكنه يحاسب الجميع علىٰ أعمالهم و أقوالهم؟!

يقول قائد الثورة الإسلامية؛ الأمام الخامنئي (حفظه‌الله)[١] في هذا الصدد:

«عليكم أن تتعرفوا على القرآن والمفروض أن تفهموا الالهامات والإشارات القرآنية، لابد أن تتعلموا المعارف والعلوم الإسلامية العميقة ـ ليس في مستوىٰ الفيلسوف أو العالم المختصّ ـ بل في مستوىٰ الإنسان العارف و الواعي اليقظ لهذه الامور إذ انّها تعتبر من المعارف و بطبيعة الحال فإن الايمان والإخلاص لم يتمخض نتيجة هذه المعلومات والمعارف، بل يصدر كل هذا من مصدر آخر.

فلا تنسوا الذكر والدعاء و لابد أن تحافظوا على الصلوات في جوف الليل حيث كنتم تمارسونها في جبهات القتال إبان الحرب المفروضة، عليكم بالتوجه والإقبال على النوافل، حافظوا على تلك الصلوات التي كنتم تقيمونها في ليلة نشوب المعارك والعلميات القتالية و كنتم تتصورون بأنها الليلة الأخيرة من أعماركم، لابد من تقوية تلك الحالات الروحية، لا تُلقّنوا

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية» [خطب و كلمات قائدالثورة المعظّم؛ الأمام الخامنئي، في المناسبات المختلفة] /الأجزاء ١و ٥و ٨

اَنفسكم، بأنّ الناس يتوقعون منّا كذا و كذا و لهذا يجب أن نكون كذلك. لا، ليس الأمر كذلك و هذا إحساس ضعيف للغاية، بل هكذا قولوا لأنفسكم: لأنّ المسؤولية ثقيلة على عواتقنا و تحتاج الیٰ صمود و مقاومة راسخة، لهذا فنحن نمارس هذه الأعمال العبادية».

«مرّت القرون والمسلمون قد نسوا القرآن الكريم و انمحت الخطوط الواضحة المضيئة له في مسار حياة الناس، فالانحراف والتحريف إمّا أن يكون بصورة متعمدة، أو أنهم فهموا الموضوع لكنهم لم يمتلكوا الشجاعة الكافية لإجراء و تطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية، أو أنهم قد قاموا بإجراءات حسنة و قد تمخض عن ذلك نتاج و إنجاز طيب، لكنهم لم يمارسوا التضحية و المقاومة من أجل صيانة هذا النتاج، ففي صدرالإسلام، كان البعض لا يفهم كلام الرسول الأعظم(ص)، لكنه لم يتجرء على مواجهة النبي(ص) و كان الخوف والرعب يستولي عليهم، و قد أشار القرآن الكريم الى بعض هؤلاء: «يقولون إنّ بيوتنا عورة و ما هي بعورة، إن يريدون إلاّ فراراً» (سورة الأحزاب/الآية رقم ١٣)، أو أنهم لم يحافظوا على الإنجازات التي حصلوا عليها، فكانت تذهب هباءً».

«كان الأعداء يقومون بمحاولات حثيثة و طوال أعوام متمادية، كان الأعداء يعملون علیٰ فصل الشعب عن القرآن و لإيجاد هذه الهوّة، حاولوا جاهدين و سعوا جادّين لإبعاد القرآن الكريم عن حياتنا، فما معنیٰ إبعاد و شطب القرآن الكريم عن معترك الحياة؟ معناه انقطاع الصلة والعلاقة بين المسلمين والإسلام؛ لأنّ القرآن هو مشعل الإسلام و مشعل الهداية، فمن يؤمن بالقرآن و هو مستأنس به يختلف في قلبه و عمله عن الذي ليست بينه

و بين القرآن أي صلة أو صداقة و كذلك فإن الشعب الذي شدّ قلبه بالقرآن يختلف عن الشعب الذي لم يتصل بحبل القرآن. فاليوم أعداء الإسلام ينتهكون الأحكام الصريحة الواضحة في القرآن؛ لأن شعوبنا لم تتصل و لم ترتبط بالقرآن الكريم.

قال اميرالمؤمنين، الامام علي عليه السلام: «و ما جالسَ هذا القرآن أحدٌ إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدىً، أو نقصان من عمى»[١] إنهم أرادوا أن يسلبوا منّا هذه الهداية. حيث آلت الأمور في العقدين الأخيرين، قبل انتصار الثورة الإسلامية المجيدة الى عدم تعرّف الجيل المترعرع بين أحضان النظام الملكي البائد والفاسد، على القرآن في المدارس الحكومية و لابد اَن يكون سعيد الحظّ فيما لو حصل على دورة قرآنية، أو اُستاذ يتعلّم منه القرآن، أو أبّ حنون، أو اُم مثقفة تعرف و تقرأ القرآن، فيكسب منهما ما يكسب فتكون نعمة سابغة عليه و إلاّ لم يكن هناك شئ باسم القرآن و تعليم القرآن! فظهرت الثورة الإسلامية، و أقدمت علىٰ دمج القرآن بنفوس الناس».

نحمدالله عزوجل، لأن المسلمين والشعوب الإسلامية عارفة و متعرفة علىٰ القرآن الكريم. فمن واجب الشعوب والحكومات الإسلامية والمثقفين الإسلاميين و رجال السياسة المسلمين و شباب الدول الإسلامية أن يهيئوا الأجواء المؤآتية ـ حسب مقدوراتهم و إمكاناتهم ـ لشعوبهم و يمهدوا السبيل العملي في حياتهم، لتعود الشعوب المسلمة الى الحياة القرآنية و حتىٰ يكون بإمكانهم أن يسيروا في طريق العزّة والمجد».

١- نهج‌البلاغة /الخطبة رقم ١٧٦

«فهذا هو العلاج الأمثل للشعوب المسلمة، و هو نفس الموضوع الذي ينهىٰ عنه أصحاب النظريات المعادية للإسلام بالذات والخائفة منه، واليوم كذلك، فلا يمر يوم لا يقوم هؤلاء فيه بمنع و حجب القرآن الكريم عن المجتمعات الإسلامية، فاذا مانظرتم الى تاريخ الإستعمار، سوف تجدونه من زمن دخول الإستعمار الى البلدان الإسلامية، قد كرروا وركّزوا علىٰ هذه الأُرجوزة؛ (فصل‌الدين عن السياسة) و ما أرادوا للدين والإسلام إلّا أن يكون منعزلاً عن الحياة الإنسانية».

«القرآن يقوم بتعريف و تقديم نفسه بعبارات مختلفة، فمثلاً يقول: «إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»؛ أي أنّ القرآن يهدي الإنسان الى أحسن السبل و أفضل الأعمال و أنجح الأنظمة و أمثل الأساليب و أسمىٰ الأخلاق و أجدر الطرق في كيفية أداء الفرد والمجتمع».[١]

«إنّ المجتمعات الإنسانية اليوم، في أقصىٰ نقاط العالم لا تشعر بالسعادة و الأستقرار، في حين أنها تتمتع بالرقي والتقدم والتطور المادي والتقني، لماذا؟ لأنها ابتعدت من المعنويات و الحقيقة الإنسانية و الأخلاق الكريمة، بل ابتعدت من الله عزوجل. اَلم يكن الإنسان اليوم اَكثر ثراء و علماً من ذي قبل؟ اَلم يمتلك الإنسان اليوم اَجهزة و تقنيات تسهّل عليه العيش؟ فلماذا اَصبحت الحياةُ مرّة الىٰ هذا الحد؟ و لماذا هذا التناحر والصراع في العالم؟ لماذا هذه الحروب؟ لماذا هذا العداء للشعوب والجماهير؟ لماذا لا يشعر الشباب في أثرىٰ دول العالم بالسعادة؟ ما هي حاجة الإنسان اليوم حتىٰ

١- لقاء قائد الثورة الاسلامية المعظم مع المسؤولين في الحكومة والقوىٰ النظامية، بمناسبة عيد الفطر السعيد، ٧٦/١١/٩ هـ.ش (١٩٩٧/٢/٧ م)

يكون سعيداً و قد افتقد هذه السعادة؟».

«أعزائي، إنّ الكلام السائد والحاكم في القضايا العالمية المهمة اليوم، هو كلام الجبابرة الأمريكان و من على شاكلتهم! اُنظروا و دققوا كيف أنهم يحسمون الموقف فيما يتعلق بالشرق الأوسط و أفغانستان و أوروبا و أمريكا اللاتينية وأفريقيا و في مجال الاقتصاد والنفط. فهناك الكثير من الدول والشعوب تنصاع لهذه الأوامر القهرية والتحكّمات الدكتاتورية، غصباً عنها، في حين أن الشعب الايراني، قال كلمته الباتة للمستكبرين: «لا»، في جميع القضايا الداخلية والخارجية المتعلقة بنا، و ما يرتبط بالحكومة والاقتصاد والسياسة الخارجية و ما يتعلق بالشرق الأوسط و ما يرتبط باتخاذ و اختيار الأصدقاء والأعداء، فلقد قلنا «لا» في جميع هذه القضايا و قد فهمنا ما يرنو و يصبو اليه المستكبرون الفضوليون المتدخلون في الشؤون الداخلية للدول الأُخرىٰ!».

«الخطوة الأولىٰ للعمل بالقرآن الكريم بصورة كاملة، هوالتعرّف على نصّ القرآن، و لم يكن شعبنا يعرف القرآن أثناء حكومة الطاغوت (النظام الملكي الشاهنشاهي البائد) الى درجة أن الذين كانوا يقرؤون القرآن ـ و بشكل مخطوء ـ كانوا قلّة، حيث أن الشباب والذين قد تربوا في مدارس النظام البهلوي السابق، لم يتعرفوا على القرآن أبداً، فاذا كان لهؤلاء أبوين مؤمنين، فكانا يأخذان أولادهم الى محل ما لتعلّم القرآن و هم أيضاً كانوا يتعرفون و يتعلمون القرآن من خلال ذلك، و إلّا فلا!»[١].

١- كلمة لقائد الثورة الاسلامية المعظّم في المراسم الاختتامية الخامسة عشر لدورة المسابقات القرآنية في ١٣٧٧/٩/١ هـ.ش (١٩٩٨/١٢/٢٩ م)

«نشكر و نحمدالله عزوعلا حيث منحنا هذا التوفيق للإستئناس بالقرآن الكريم. فإن تمكّن شعب أن يتصل و يستأنس بالقرآن ثم يعرّض نفسه للتيّار والمناخ القرآني، فسيتمكن من دفع أزماتة و مشاكله، إذ أن المشكلة الأساسية والأزمة الحقيقية للمسلمين في العالم اليوم هي الإبتعاد والإنفصال عن القرآن، والحلّ الوحيد هو العودة الى القرآن، و من جهة فإن القرآن لم يُرسَل للقراءة والتلاوة في المخابئ والزوايا فقط، بل القرآن قد أُرسل ليعمل به و يتعرف عليه المسلمون والهدف من القرآن هو أن المجتمع الاسلامي لابد أن يتعرف على وظائفه و مسؤولياته؛ و يفهم واجباته و ينجو من الحيرة والضلالة والظلمة، إذ أنّ مجالس القرآن و تلاوته و رعاية الصوت واللحن و... كل هذه مقدمة للتعرف علىٰ مفاهيم و مضامين القرآن. و أكبر عيب فينا؛ نحن المسلمون، نحن الامة الإسلامية هو أننا نتشدق كثيراً بالقرآن من دون أن نعمل به و نردد و لاءنا لله عزوجل، لكننا لم نطبق و لم نتبع الشريعة الإسلامية: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني، يحببكم الله»، فاذا أحبّ شخص الله عزوعلا، فالدليل على صدق زعمه هو انتهاج سبيل الرسول(ص) و اتباع القرآن الكريم».

«أعزائي و أحبّائي! إنّ الشعب الايراني قد اقترب من قمة الفخر والعزّ والنجاة والفلاح والنصر بقدر ما اقترب من القرآن الكريم، إذ أنّ طريق الخلاص والنجاة لجميع شعوب العالم هو التقرب من القرآن و طريق تخليص و تحرير فلسطين من أيدي الصهاينة، هو الآخر يكمن في هذا الطريق، أُنظروا كيف أنّ الحكومة الإسرائيلية الغاصبة المحتلة قد تأسست منذ أكثر من خمسين سنة علىٰ الأراضي الفلسطينية و خلال هذه المدة كان

هناك كفاح و نضال طويل و مستميت، لكنّ المناضلين الفلسطينيين لم يتوصلوا الى نتيجة مرضية، لماذا؟ لأنّ دين الله والايمان الإسلامي والأحكام القرآنيّة لم تكن المعيار في هذه العمليات الكفاحية، في حين أنّ الشعب الفلسطيني اليوم يكافح و يناضل باسم الإسلام و لهذا فكفاح مثل هذا يهزّ أركان كيان العدو. فإذا ما قدّم المسلمون الدعم و مدّوا يد العون اليهم ـ و هو واجب قرآني على الجميع ـ سيكون صبح النصر هذا قريباً و قصيراً، و إن لم يقدّم المسلمون المساعدات لهؤلاء، فعلى الشعب الفلسطيني اَن يواصل انتفاضة الصمود والمقاومة بنفسه و سيكون النصر حليفه إن شاءالله، إلاّ أن النصر في حالة الغربة والوحدة سيكون أشدّ وطأة و أصعب منالاً، كما فعل شعبنا، حيث واصل مقاومته وحيداً و قد واجه التحديات من معسكر الشرق والغرب، في الحرب المفروضة التي شُنّت ضدنا، و تصدت لنا جميع مراكز القوىٰ في العالم، فنحن قد قاومنا الأعداء في غربة و وحدة، فتحملنا عناء هذه الغربة والوحدة، لكننا لم نتخلىٰ عن المقاومة؛ و الله عزوجل قد نصرنا. الشعب الفلسطيني أيضاً يمرّ الآن بنفس التجربة القاسية، فاذا أراد الإنسان أن يحصل على مناخ أفضل و جوّ أحسن للحياة، فلابد من الكفاح و لابد من مدّ يد العون والمساعدة للذين يعيشون في تلك المناطق المغتصبة التي استولىٰ عليها الأعداء، حتىٰ تتهيأ الظروف المؤآتية لاسترجاع تلك الأراضي المسلوبة والمنتزعة من جسم الأم والامة الإسلامية و أحد مصاديق هذا الموضوع هو العمل بالقرآن الكريم. فاذا ما اتّبع المسلمون هذا القانون بالذات و قاموا بتطبيق هذه التوجيهات بدقة، عندها سيعم الإصلاح أغلبية الأعمال».

«لقد فشلت المدارس الفلسفية و نظريات المعرفة النظرية في العالم اليوم لمعالجة القضايا الإنسانية، و كونوا علىٰ ثقة بأن المدارس الإجتماعية في العالم قد واجهت إحباطاً كبيراً بشأن الإنسان فظلّت الطريق و رأينا كيف أن الماركسية فشلت و انهارت والنظريات الغربية أيضاً على نفس الوتيرة والمنوال، فهي ضالّة و تائهة عن الطريق، والسبب في هذه الضلالة والتيه والفشل هو أنّ الغرب يمتلك العلوم المتطورة و يملك الأموال الطائلة و يسيطر على القوىٰ النظامية العظمىٰ، في حين أنه لا يشعر بالراحة والسعادة والهدوء والطمأنينة، فلا يشعر بالسكينة الروحية والهدوء النفسي، و لهذا يمكن القول بأن تلك الوصفة، هي وصفة عقيمة و فاشلة؛ وصفة أصابها الإفلاس والإحباط، لكن القرآن والنظرية الإسلامية يمنحان العلم والرفاهية والعزة والسكينة للإنسان، في نفس الوقت : «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين والزمهم كلمة التقوىٰ»، حيث نرىٰ كيف أنّ الاسلام والقرآن، الى جانب اللّذائذ الدنيوية والرفاهية المادية والقدرات العلمية، يمنح الإنسان السكينة والطمأنينة والسكون؛ و هذا ما قد جُرّب في تاريخ الإسلام واليوم أيضاً يمكن تجربته و نحن في ايران الاسلام قد تمكّنا من أن نخطو خطوة متواضعة في هذا المجال و الآن يمكننا رؤية النتائج والإنجازات والمعطيات و كلما تقدمنا نحو الأمام، ستزداد هذه البركات والخيرات اَكثر فأكثر. هذه هي الوصفة الوحيدة الناجحة للأمة الإسلامية، والقرآن هو المقدمة والصراط المستقيم لها».

«إذ أردنا نشر و ترويج القرآن الكريم في البيوت، بين الأطفال والكبار و بين النساء والرجال، لابد أن نوقّر قُرّاء القرآن، لأنهم أبطال، يحملون القرآن

اَينما ذهبوا و لهذا فنحن نكنّ لهم الحب والإحترام، فهؤلاء أعزاء والسنتهم عزيزة، اَجل اِنّ السنتهم و قلوبهم عزيزة علينا لأنهم مستأنسون بـالقرآن و اَرواحنا فداء القرآن!».

«ربّوا أولادكم علىٰ نهج القرآن؛ كما أنهم كذلك. فأيها الشباب الأعزاء، اِعلموا أنّ قلوبكم طيبة و مضاءة بالقرآن و متعرفة على القرآن. قدّروا هذه المشاعر، فالذين نالوا توفيق حفظ الآيات القرآنية، لابـد أن يـقدّروا هـذه الآيات المحفوظة، لأنها ذات قيمة عالية و هي عزيزة للغاية، و ما اَن تقدّروا كل هذا، عندها ستتواصل الحركة و سوف لن يـنتهي الطـريق نـحو النـور والمنهل القرآني الفيّاض، عندئذ ستتمكن الأمة الإسلامية ـ بفضل القرآن ـ أن تستعيد مكانتها الرفيعة السالفة»[١].

«لابد أن يخيم القرآن على أجواء حياتنا فنشعر بالبركات القرآنية فـي كل مكان و تحت ظل القرآن سنتمكن من أن نترجم معنى الوعي والبصيرة والشجاعة والبسالة التي ندعيها و آنذاك سـنتجه نـحو الأهـداف الصـائبة الصحيحة، إذ أنّ القرآن يخاطب المؤمنين و يقول: «يا ايـها الذيـن آمـنوا، استجيبو لله و للرسول لما يُحييكم»، ترىٰ ما هي تلك الحياة التي يدعونا اليها الله و رسوله؟ في كلمه واحدة يمكن القول بأنها هي الحياة المثلىٰ للإنسان والجديرة به»[٢].

«في الظلمات الحالكة و تحت و طأة الإستكبار و اسيتلاء الظلم والقهر

١- كلمة لقائد الثورة الاسلامية المعظم في المراسم الإختتامية الخـامسة عشـر لدورة المسابقات القرآنية في ١٣٧٧/٩/١ هـ.ش (١٩٩٨/١١/٢٢ م)

٢- نقلاً عن كتاب حديث الولاية، ج ٧ ص ١٢٢ و ١٢٣

في العالم اليوم، يعتبر الإسلام والقرآن، الملجأ الوحيد الذي بإمكانه أن ينقذ الشعوب والمجتمعات. و من هذا المنطلق نرىٰ أن القوىٰ المتحكّمة الظالمة في العالم تتصدىٰ للإسلام بكل طاقاتها و إمكاناتها و تعرقل طريق استقراره و سيادته، فالجمهورية الإسلامية الإيرانية أول تجربة رائدة لإنتصار الإسلام و استقرار حكومته المقدسة و لهذا نرىٰ العداء والبغضاء يزداد يوماً بعد يوم من قبل تلك القوىٰ السلطوية تجاه هذه التجربة الفتية، و لهذا يشنّون حرباً لا هوادة فيها ضدها، في السر والعلانية».

«نحن سعداء لزيارة الاخوة هنا، لقد وفدتم ـ في الحقيقة ـ علىٰ أرض القرآن، فالشعب الإيراني يعشق القرآن حقاً، نحمد الله بأنّ شعبنا لا يهتم بالتلاوة الظاهرية للقرآن فحسب و إنما يطبق القرآن في حياته و كذلك فانّ القوانين في بلادنا قد دونت على أساس القرآن. و اعلموا بأننا نحبّكم من صميم الفؤاد اَيها الأخوة القرّاء و نستمع و نستمتع و ننصت الىٰ اَصواتكم بشوق و لهفة جارفة».

«قبل انتصار الثورة الإسلامية، كنّا محرومين من مثل هذه الخيرات والبركات بصورة نهائية، بطبيعة الحال، كانت هناك جماعات قليلة جداً تجتمع في محل ما و تمارس تلاوة القرآن الكريم، في حين أنّ هذا النمو المتزايد و التيار الهائل، جاء بفضل رعاية والتفات الشباب والناشئة و الأطفال للقرآن، و هو يرتبط بشكل أساسي بفترة ما بعد انتصار الثورة الإسلامية. ففي بعض الأحيان كانت هناك زيارات لبعض القرّاء الىٰ ايران، لكنّ الناس لم يطّلعوا على الموضوع و لم يفهموا متىٰ جاء هؤلاء الأخوة و متىٰ غادروا البلاد، فمثلاً اَتذكر بأنّ «الشيخ اَبوالعينين» جاء الىٰ مدينة

«مشهد» المقدسة، بدعوة من منظمة الأوقاف أيام نظام الشاه. و أنا بالذات كنتُ قد استمعت الىٰ أشرطته كثيراً، و كنتُ معجباً بقرائته أيما إعجاب و لكن من بعيد، و بما أننا كنا قد قطعنا اتصالنا و ارتباطنا بالمؤسسة التي قدّمت الدعوة له بصورة نهائية، في حين كنّا نرغب بشدة الىٰ استماع صوت الشيخ، لهذا لم نذهب الىٰ تلك المجالس التي كانوا يقيمونها للشيخ، حيث أنهم خصّصوا مقصورة خاصة له، في مسجد «گوهرشاد»، بمشهد، لجلوس و قراءة القرّاء فيها، و لهذا فإن الذين حضروا تلك الجلسة لم يتجاوزوا المئة شخص، فقد شكّلوا حلقه كانت تحيط بالمكان و كانوا يستمعون الى قراءة القرّاء و هم جالسين، كان الهواء بارداً قارساً في تلك الفترة و كان ابني «مجتبىٰ» صغيراً آنذاك و قد أخذته معي الىٰ هذا المكان، و لأني كنتُ لا أرغب الدخول الى هذا المجلس، لهذا اضطررت أن أجلس في غرفة، خارج المسجد، في الهواء البارد، كي يتسنىٰ لي استماع صوت القرّاء عن طريق مكبّرات الصوت. أجل إنّ عدد الحضّار في ذلك الوقت لم يبلغ المئة شخص، في حين أنكم الآن، لمّا تدخلون الىٰ مكان ما، تهتز المدينة كلّها من أجلكم، أجل فنحن أحياء نتيجة حبنا للقرآن و بفضل القرآن نحيا.

نسأل الله عزوجل أن لا يفصلنا عن القرآن الكريم، لا في الدنيا و لا في الآخرة»[١]

١- نقلاً عن كتاب حديث الولاية، ج ٦ ص ٢٣١ و ٢٣٢

الفصل الثاني

ضرورة الإستئناس بالقرآن والتدبر فيه

«قال الإمام علي؛ أمير المؤمنين(ع)، لشخص قد ارتكب سرقة و قد جيئ به اليه: كم من القرآن تجيد؟ فقرأ الشخص المذنب آية من سورة البقرة، فقال له الإمام(ع): «قد وهبتُ يدك بسورة البقرة»!

لم يكن هذا تمييزاً في غير محله؛ بل هو عمل و إجراء متميز ارتكز على مكانة سورة البقرة و كان من أجل توقير القرآن الكريم، فالأمام علي(ع) كان لا يجامل أحداً بشأن المبادئ والقيم والمعايير و لهذا كان يقوم بإجراء الحدود الشرعيّة في حق من ارتكب خطيئة الفسق والفجور و لم يلاحظ في ذلك المكاسب الشخصية أو المصالح الذاتية، في حين أنه و في موقف مشابه نراه يغمض عينيه(ع) من أجل القرآن؛ فيعرض عن إجراء حدّ السرقة في حقّ المذنب والمجرم، هذا هو أمير المؤمنين(ع)؛ أي أنه يسير و يتحرك على أساس القيم الإلهية و لا يأبه بشيئ آخر، دون ذلك، هذا هو عدل علي بن ابي طالب(ع)»[١].

١- لقاء القائد (حفظه الله) مع قطاعات مختلفة من أبناء الشعب بمناسبة ذكرى مولد الأمام علي(ع) في ١٣٧٥/٩/٥ هـ.ش (١٩٩٦/١١/٢٦ م)

«الإستئناس بالقرآن، يقوّي و يعمّق المعرفة الإسلامية في أفكارنا، بل و إنّ الشقاء والتعاسة التي أُصيبت بها المجتمعات الإسلامية ناتجة عن الإبتعاد من القرآن و حقائقه و معارفه الجمة. فالذين لا يدركون المعاني القرآنية والمفاهيم المكنونة فيه من المسلمين، و لم يستأنسوا بالقرآن الكريم؛ فإنّ أوضاعهم واضحة للجميع و حتىٰ الذين لا يفهمون القرآن ـ و لو كانوا من العرب و من أهل لسان القرآن ـ لعدم التدبر في الآيات القرآنية، فهؤلاء أيضاً لم يتعرفوا على الحقائق القرآنية و لم يستأنسوا بها، لهذا فالكل مثلاً يعلم بأنّ هذه الآية تقرأ في الدول العربية و بواسطة العرب أنفسهم: «لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً»؛ أي أنّ الله عزوجل لم يسمح لهم أن يكونوا تحت سيطرة و استيلاء الكفّار، يُهانون و يُحتقرون، لكن المشكلة هي أنهم لا يطبقون هذه الآية الكريمة، لأنهم لا يلتفتون و لا يتدبرون في هذه الآيات القرآنية، لهذا نرىٰ التخلّف لا يبرح الدول والمجتمعات الإسلامية.»

«و لابد من فهم الإسلام كما هو و بشكل صحيح، كما انعكس في النصوص الإسلامية الأصيلة و لابد أن نتفهم الإسلام و نتعلّم القرآن و نستفيد من هديه و صراطه كثيراً، لأن القرآن هو: «تبياناً لكل شئ»؛ القرآن دليل واضح و بيان ناصع و خط مستقيم، لكن هناك عوامل و عناصر في المجتمعات الإسلامية تلقّن المفكرين والمثقفين بأن لابد من معرفة الإسلام بالأساليب والآليات الغربية و عن طريق العلوم والمعارف الغربية، حيث أنّ هذا التلقين والإيحاء، يعتبر استمراراً للإستيلاء الفكري للغرب و غزوالثقافة الغربية التي تخاف و تتحفظ من انتشار الأيدلوجية الإسلامية في العالم؛ ألَيس كذلك؟! بطبيعة الحال فإنّ جميع هذه المعارف، تؤدي الى وعي أكثر

للإنسان المسلم و تزوده بفهم و إدراك أفضل، لكن الإسلام لابد أن يؤخذ و يُستنبط من الإسلام ذاته و لابد من كشف الحقائق الإسلامية من نصوص الإسلام الأصيلة؛ و لابد من التعرف على الإسلام بنفس المصطلحات الإسلامية، عندها سنفهم الإسلام كما هو، ثم لابد أن نقوم بتطبيقه والعمل به».

«أيها الشباب والناشئة الأعزاء! يا من تتعلمون القرآن! اِعلموا أنكم قد وفّرتم لأنفسكم كنزاً لا ينفذ للتفكير والبحث؛ و هذا شئ مهم و قيّم للغاية، قد لا يمكنكم استنباط و استنتاج المفاهيم والمعارف العميقة للآيات القرآنية في سنين الشباب و قد لا تفهمون الآيات بشكل صحيح، بل قد لا تدركون من القرآن اِلاّ بعض الأشياء القليلة والظاهرية و لكن عندما يزداد مستوى المعلومات والتقدم العلمي لديكم، ستستفيدون أكثر و فأكثر من الآيات التي بقيت في ذاكرتكم و نُقشت علىٰ أذهانكم، إذ أنّ حضور و تواجد القرآن علىٰ خلفيّة ذهن الإنسان، يعدّ نعمة كبيرة جداً في حد ذاتها. و هناك فرق شاسع بين الذي يقلّب الآيات و يطالع الفهارس القرآنية ليرىٰ هل توجد في هذا الصدد أو ذاك آية تلائم هذا الموضوع أوذاك، أم لا؟ قياساً بالشخص الذي يستذكر الآيات القرآنية في ذهنه و قلبه و هي تتراءىٰ أمامه، فيستخرج و يستنبط من القرآن ما يحتاج اليه و في أي مجال من المعارف الإسلامية و بإمكانه اَن يفكر و يتأمل في تلك الآيات. أجل إنّ الاستئناس بالقرآن أيام عهد الطفولة ثم الصباوة حتىٰ فترة الشباب، نعمة عظيمة للغاية.

بطبيعة الحال، تعتبر المعرفة الأولية بالألفاظ والظواهر القرآنية هي الخطوة الأولىٰ و هي في حدّ ذاتها ضرورية و إذا لم يمارس الطلبة في

الحوزات العلمية والعاكفين علىٰ دراسة القـرآن، هـذه الخـطوة، فسـتصبح الخطوات الأخرىٰ عسيرة عليهم و في بعض الأوقـات مسـتحيلة، فـاليوم ترون بأنّ هناك أشخاص يتكلمون حول الإسلام و يلقون المحاضرات هنا و هناك و يدّعون أشياء كثيرة لا تتعلق بالإسلام؛ لماذا؟ لأنهم لم يتعرفوا علىٰ المعارف الإسلامية و نصّ القرآن والسنة، و لابد للإنسان أن يـتعرف عـلىٰ نصّ القرآن الكريم والسنة؛ أي الأحاديث النبوية و كلام الأئمة المعصومين (عليهمالسلام)، حتىٰ تتيسر له قضية إدراك المعارف الدينية، حتىٰ و لو أراد أن يتعمق في هذه المعارف حقاً. إذن هذه هي الخطوة الاولىٰ و فـي نـفس الوقت الخطوة الضرورية في هذا المجال».

«إن أنتم فكرتم و تأملتم في الآيات القرآنية، عندها ستتقوىٰ إرادتكم و سيرتفع مستوىٰ مقاومتكم أكثر مما عليه الآن. لأنّ هذه الآيات القرآنية، هي التي تمكّنت في الأيام السالفة أن تربّي بعض الأشـخاص الذيـن كـافحوا التكتل العالمي للكفر والظلم والظلمات، و هي تلك المعارف التـي دفـعت بشعبنا العظيم و جهّزته ليواجه العالم المتطور تقنياً والمظلم أخلاقياً، هـذه هي الجاهلية المتطورة و جاهلية القرن العشرين ـ و نحن نأمل أن يـقترب شعبنا يوماً عن يوم الى القرآن والحقائق القرآنية أكثر فأكثر».

«هذا الشهر [رمضان] هو شهر الصيام، شهر نزول القرآن والإسـتئناس بالقرآن، شهر العبادة والدعاء والمناجاة ـ لأن الدعاء هو مخ و روح العبادة ـ شهر الاستغفار والتوبة والعدول عن السـبل المـرفوضة مـن قـبل البـاري المتعال و شهر رعاية التقوىٰ الالهية؛ شهر الجـهاد ـ حـيث أنّ غـزوة بـدر حصلت في هذا الشهر المبارك، في السنة الثانية للهجرة و فتح مكة أيضاً كان

في السنة الثامنة للهجرة والبدء بغزوة حنين حدثت في نفس السنة؛ فهو شهر الجهاد مع النفس و محاربة مع الشيطان والجهاد مع أعداء الله؛ شهر الإستعداد و شهر ادّخار التقوىٰ؛ شهر صلة الرحم، شهر الصدق والبرّ مع الإخوة في الايمان، شهر التعرف على العلوم الدينية والتدبر في القرآن و خلاصة الموضوع هو أنه شهر توفير رأس المال في الحركة الإلهية على امتداد عام كامل، و نأمل أن نكون قد قضينا الأيام الماضية بأعمال تطابق و تلائم مقتضيات هذا الشهر و أن نقدّر الأيام المقبلة منه أكثر من ذي قبل و نتخذ القرار الصارم والإجراء الحاسم فيما يتعلق بالنفس الأمّارة و الأنصياع للأحكلام الالهيّة و كيفية السلوك والتصرف مع الناس والتدبر في القرآن الكريم والقطع والعزم علىٰ مجاهدة النفس».

«لابد للإنسان أن يلتفت ـ في حياته الفردية والاجتماعية ـ الى الوسائل التي هيئها الله عزوجل له، ليعبّر بها عن مواطن الزلل حيث أعدّ له الوسيلة التي تمكّنه من أن يحفظ بها نفسه و يقترب من الغاية السامية ثم يستفيد من الإمكانات التي جعلها الله عزوجل تحت اختيار المؤمنين للوصول الى الهدف المنشود».

«المقصود من التقوىٰ، هو أن يراقب الإنسان مثل هذه الأمور ـ و كما سمعتم هذا مراراً و تكراراً ـ فإنّ أحد الأهداف المهمة والمتداولة لشهر رمضان هي اكتساب التقوىٰ: «لعلكم تتقون» (سورة البقرة/الآية رقم ١٨٣)، و أنا بالذات عند ما أرىٰ الأعمال التي قد إهتمّ بها الشارع المقدس في شهر رمضان؛ أي صيام الشهر و تلاوة القرآن الكريم و قراءة الأدعية المأثورة والتوسلات التي نتشبث عن طريقها بعناية الباري تعالىٰ والإستغفار،

أجل الإستغفار! و ما أشعر به أنا و هو مهم علينا كثيراً، هــو الإسـتغفار، أيَ طلب المغفرة، طلب العفو من ربّ العالمين على ما صدر منّا نتيجة القصور والجهل و لا سامح الله نتيجة التقصير والتعمد في ارتكاب الذنوب».[١]

١- كـلمة قـائدالثـورة الأسـلامية المـعظم فـي خـطبتي صـلاة الجـمعة بـطهران، ١٣٧٦/١٠/٢٦ هـ. ش، (١٩٩٧م).

الفصل الثالث

نظام الجمهورية الإسلامية والإهتمام بالقرآن الكريم

«نحمد الله عزوجل، حيث أنه لا يوجد يوم في تاريخ ايران، كهذه الفترة و هذالعهد، لإستقرار الحكومة الإسلامية؛ حيث رفرفت راية القرآن على هذه الأرض؛ ثم أنّ العمل بالأحكام الإسلامية يعدّ من القيم والفضائل و كذلك القوانين في البلاد قد استنبطت من الإسلام والقرآن. ماذا نريد نحن بعد هذا؟ تُرىٰ ما تلك النعمة الأكثر خيراً والأعظم مكانة من هذه النعمة! ما هي مسألتنا من الله بعد هذا كلّه؟ علينا أن نبذل قصارىٰ جهدنا حتىٰ نتمكن من الحفاظ علىٰ هذه النعمة القيمة والمنحة البديعة الرائعة التي ليس لها مثيل، لتبقىٰ ذخراً لهذا الشعب، و هذا لا يمكن تحقيقة إلاّ عن طريق السعي والمثابرة الخالصة.»[1]

«إنّ الله يعرف هذا الشعب و يعلم خصائصه، حيث جعل أكبر و أضخم المسؤوليات علىٰ عاتقه، ألا و هي مسؤولية إحياء الإسلام والقرآن والقيم الإسلامية في جولة ثانية[2]، و حمداً لله عزوجل علىٰ نجاح هذا الشعب في

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ٥، ص ٤٢

٢- لأنّ الأيرانيين قد ساهموا في إثراء و تعميق النهضة العلمية و الأدبية و الدينيّة

مهمته و مسيرته هذه؛ لكننا لازلنا في منتصف الطريق و علينا أن نسعىٰ و نثابر اكثر و اكثر»[١].

«لقد قام الأعداء بمحاولات كثيرة لايجاد الإنفعال والإرتباك في المجتمع الأيراني و كانوا يتصورون بأن الإسلام قد ضعف و ضئل في ايران، حيث كان لا يتجرأ المسلم من الأعتزاز بإسلامه، و لكن اُنظروا ماذا حدث اليوم؟ اَينما اجتمع نفر من المسلمين مع بعض ـ و لو كانوا اَقلية ـ فأنهم يرفعون المصاحف فوق اَيديهم و يُعلنون بعزّ و فخر و بأعلىٰ صوتهم بأننا مسلمون. أجل، هذا من نتائج الثورة الإسلامية التي فجرتموها أنتم وخطط لها الإمام الخميني الراحل(ره)»[٢].

«رفعت الجمهورية الإسلامية راية القرآن والإسلام، إذ أنّ الثورة و سماحة الإمام(ره) والشعب أعلنوا منذ البداية و قالوا بأننا لسنا من الذين يفصلون بين الدنيا والآخرة؛ كما كان يروّج أعداء الدين دائماً لذلك، من أنّ الدنيا منفصلة و معزولة عن الآخرة، كلا! الدنيا والآخرة واحدة و لا يمكن فصلها عن بعض، فمثل هذه الدنيا تعتبر واجباً دينياً، و هذا ما اَشار اليه الإسلام والثورة الإسلامية والشعب المسلم في ايران، منذ البداية.»[٣].

«هؤلاء الشباب الذين تشاهدونهم الآن و هم يعشقون القرآن و قد اندمجت حياتهم بالقرآن، لم يكونوا في زمن نظام الشاه هكذا، بل كانوا غافلين عن القرآن، لهذا يمكن القول بأنهم قد قطعوا شوطاً كبيراً في حياتهم،

⇐ بشكل واسع و كبير في الأسلام بعد دخوله الىٰ ايران في المرة الأُولىٰ.

١- نفس المصدر، ص ٩٩
٢- نفس المصدر، ج ٦، ص ٢٢١
٣- نفس المصدر، ج ٧، ص ٦٤

فوصلوا الىٰ ما و صلوا اليه اليوم و سيكون اهتمامنا إن شاء الله، هو الحفاظ على القرآن و قد اَكّدتُ للإخوة المسؤولين مراراً ليجعلوا هذا الموضوع نصب أعينهم»[١].

«المفروض أن يهتم به الشعب الإيراني و باقي المسلمين في العالم، بهذا الموضوع و هو أنّ عداء و كراهية معسكر الإستكبار مع ايران الإسلام اليوم، لم يكن إلاّ لأجل الإسلام، فهم يعادون الإسلام فيمارسون ضغوطهم ضد الجمهورية الإسلامية، إنهم يعادون إحياء القرآن الكريم و من هذا المنطلق فهم يعادون الشعب الإيراني الشجاع بالذات و إنّ من واجب جميع الشعوب الإسلامية التي تتلهف الىٰ التضحية والحركة، أن تعدّ نفسها و تستعد لمواجهة تحديات أعداء الإسلام.

نحن كشعب مسلم في ايران، نفخرو نعتز بأنفسنا من اَجل هذه الحقيقة، لأننا اَصبحنا موضع عداء وضغينة المستكبرين و المتجبرين في العالم و ذلك للمضي في سبيل الله والإسلام والقرآن و شبابنا يعتزون بأنفسهم لأنهم قد تواجدوا في جبهات الحرب المفروضة و قاتلوا الأعداء و عانوا المصائب والمصاعب من أجل الإسلام، فكل عناء و مصيبة إن كانت في سبيل الله و من اَجل الدفاع عن القيم الإسلامية والقرآن الكريم يعتبر حسنة: «ذلك بأنهم لا يُصيبهم ظمأ و لا نصب و لا مخمصة في سبيل الله و لا يطأون موطئاً يغيظ الكفار و لا ينالون من عدوٍّ نيلاً إلاّ كُتب لهم به عمل صالح»، (سورة التوبة/الآية رقم ١٢٠)، اَجل هذا هو شعارنا، فإنّ ما كابده و عاناه الشعب الإيراني و تحمّل الكربات من أجله، لم يكن إلاّ لله عزوجل و لهذا فنحن نعتز بهذه الصعوبات

١- نفس المصدر، ص ٨٢

والمتاعب.

امّا الحقيقة الواضحة الثانية، هي أنّ ما سيؤول الى النجاح والفلاح والنصر المؤزر هو طريق الله عزوجل و قد أثبت التاريخ لنا هذه الحقيقة و كذلك فإنّ السيرة المعاصرة في الظروف الراهنة أيضاً قد أثبتت لنا ذلك، فنحن نصبر و نصمدو نقاوم في سبيل الله عزوجل و نعلم بأنّ النصرآت إثر هذا الصبر و هذه المقاومة إن شاءالله: «و لينصرنّ الله منَ ينصره»[1].

«و هناك شوق جارف الىٰ القرآن الكريم في كل بقعة من بقاع بلدنا ـ و لله الحمد ـ و نشكر الله لأنّ شبابنا و اَطفالنا و جميع أفراد شعبنا مشتاقون الى القرآن بكل وجودهم ومن صميم قلوبهم و قد استئنسوا بالقرآن من جهة القراءة والتجويد والفهم والفقه.

«و مما لا شك فيه اَنّ المصالح الطويلة المدىٰ للمجتمع الإسلامي لن تتحقق اِلاّ في ظلّ الإسلام والقرآن. والاسلام والقرآن، هما وحدهما اللّذان يقدران علىٰ ضمان المصالح الحقيقية للمسلمين، فيقران و يبسطان العدالة والمساواة و يلبيان الاحتياجات الواقعية لهم، اِذ ليس بمقدور المدارس والمذاهب الأُخرىٰ أن تقوم بهذه المهمة أبداً، لأنّ التلبية الحقيقية لحياة البشر، لن تتحقق اِلاّ عن طريق اَحكام الله عزوجل و سيادة القيم الإسلامية».

«جاءت الثورة الإسلامية لتمنح الشعب الإيراني حياة طيبة، اَجل تلك الحياة الطيبة التي يدعو اليها القرآن الكريم: «فلنُحيينّه حياة طيبة»، فهذه الحياة الطيبة هي النتيجة المطلوبة والهدف النهائي لهذه الثورة المباركة، الحياة الطيبة معناها هو أن يتمتع الناس بالجوانب المادية والحياة اليومية

١- نفس المصدر، ص ١٣٦ و ١٣٧

والرفاهية و استقرار و استتباب الأمن و كسب المعرفة والعلم والتعليم والعزّة السياسية و الإستقلال الإقتصادي و الازدهار المالي و الإقتصادي، فمن الناحية الروحية والمعنوية يُنتظر أن ينمو الأنسان في هذا المجتمع النموذجي علىٰ نهج الأيمان والألتزام بأحكام الله عزوجل و رعاية التقوىٰ والورع، والتحلّي بالأخلاق الإلهية السامية، هذه هي الحياة الطيبة»[١].

«إخوتي و أخواتي الأعزاء! إذا أراد شعب أن يعيش حُراً و مستقلاً، و إذا أراد أن يعيش حياة يطالب بها القرآن والإسلام و يعتبرها جديرة بالإنسان المسلم، فعليه أن يجاهد و يثابر كثيراً. فليس بالإمكان أن نقوم بإعمار و تطوير البلاد بشكل يليق لشعب كبير و لا يمكن أن نقوم بتربية شعب على أساس ما يريده الله عزوجل منّا والإسلام والثقافة القرآنية، و لا يمكن تنفيذ ذلك بالكسل والفشل و إظهار المذلة والضعف والإنهيار و عن طريق التوسل بالخرافات و العقائد التافهة و اللامبالاة بالنسبة للقيم الإسلامية السامية»[٢].

«هل لاحظتم كيف اختار الإمام الخميني الكبير(ره) سبيلاً و أُسلوباً، يشبه أُسلوب الأنبياء والعباد الصالحين الذين قد اتصلوا بمصدر الغيب، في رسم معالم هذه الثورة و تشكيل النظام السياسي للبلاد على أساس هذه الثورة ـ أي تأسيس الحكومة و نظام الجمهورية الإسلامية ـ و ذلك بفضل

١- في أول يوم للزيارة التي قام بها قائد الثورة الإسلامية لمدينة «ساري» في ١٣٧٤/٧/٢٢ هـ.ش (١٩٩٥/٩/١٤ م)

٢- خطاب قائد الثورة الإسلامية في اجتماع المواطنين، بمدينة «آبادان»، ١٣٧٤/٧/٢٢ هـ. ش (١٩٩٥ م).

من جانب الباري عزوجل والتوجهات الالهية الهادية. لم يحصل كل هذا إلاّ لأن الامام(ره) كان يحبّ القرآن و كان تلميذاً في مدرسة القرآن فـقد كـان مستأنساً بالقرآن الكريم و كان يستمد فكرته منه و كان القرآن بـالنسبة له برنامج حياة، فالثورة الإسلاميه تـعتبر إحـدىٰ المـعطيات و الأنـجازات الضخمة الرائعة التي تمخضت عن تلك الحقيقة القيمة»[١].

«في تلك الأيام، كان البعض يستعمل مصطلح «الديمقراطية» الىٰ جانب الجمهورية، فهي كلمة أجنبية تحمل معان مزدوجة، إذ أنّ الغربيين يدّعون الديمقراطية و كذلك الدول الإشتراكية و أُوروبا الشرقية كانت هي الأُخرىٰ تتشدق بالديمقراطية آنذاك أيضاً، فقد أمست «الديمقراطية» كالموضة في العـالم و ذلك لتسـمية الدول والنـظم السـياسية بـالديمقراطـية و الدولة الديمقراطية لكذا حكومة، و في ايران، إبان انتصار الثورة، كانت هناك بعض الفئات تصرّ و تلحّ على إضافة كلمة «الديمقراطية» الى جنب الجـمهورية الإسلامية، في حين أنّ الموضوع لم يكن يقتصر علىٰ زيادة كلمة، بل كـان هناك الكثير من الكلام والمواضيع التي ستظهر في الساحة فيما بعد و لهذا كان سماحة الإمام(ره) يرىٰ كل ذلك بنظرته الثاقبة»[٢].

«الإسلام الأغر قد أضاء لكم الطريق بالآيات القرآنية الباهرة التي تعتبر كشّافات نورقوية لتسيروا في هذا الطريق و قد خطوتم خـطوات كـبيرة و عملاقة و هناك أعداء يتربصون بكم. و إذا ما صممتم على السير فـي هـذا

١- كلمة للقائد في اجتماع عظيم و حاشد بصحن المرقد الشريف للإمـام الراحـل(ره) في تاريخ ١٣٧٦/٣/١٤ هـ.ش (١٩٩٧/٤/٤ م)

٢- نفس المصدر.

الطريق كما فعلتم ذلك للآن و كنتم قادرين على ذلك ـ و لله الحمد ـ فبإمكانكم أن تواصلوا سيركم المبارك».

«و إذا أردتم أن تنتهجوا هذا الطريق، فهناك شروط أساسية لابد من إتباعها و هي أولاً: أن تحافظوا على وحدة الكلمة والاتحاد والتضامن و ثانياً: أن لا تنفصلوا عن إرشادات و توجيهات الإسلام والقرآن ـ و لو للحظة واحدة ـ فالامام العزيز والكبير(ره) لم يكتف بإرشاد و هداية الناس أيام حياته، بل ترك و راءه هذه الوصية الثمينة القيّمة.

أولادي الأعزاء! لو نظرتم ملياً الىٰ وصية الإمام الراحل(ره) ـ و أنا أُوصيكم أيها الشباب أن تطالعوا هذه الوصية مراراً و تكراراً ـ عندها ستلاحظون بأنّ هناك نقطتين مضيئتين في جميع الكلام الموجود في هذه الوصية، من أولها الى آخرها، والنقطتان هي أولاً: التمسك بالإسلام والقيم الإسلامية ثم الاستفادة من توجيهات الإسلام التي توصلكم الى مصدرالسعادة و تظهر لكم معالم الطريق و ثانياً الاتحاد والتضامن والتآخي بين المسلمين»[١].

«لم يعد القرآن الآن كتاباً مهجوراً في مجتمعنا، فالشباب والناشئة يتعلّمون القرآن و آحاد الشعب يستأنسون بالقرآن، يرتبطون به و يستفيدون من معارفه، ثم الكثير من الأحكام الإسلامية تطبق في البلاد، و لقد تقدمنا الى الأمام حسب استيعابنا و قابلياتنا و إمكاناتنا و حسب عزمنا و إرادتنا، لكن ما قمنا به لم يعتبر نهاية الطريق، بطبيعة الحال لم يكن ذلك كل استيعاب

١- كلمة للقائد (حفظه الله) بين جمع غفير من المواطنين في مدينة «آمل» بتاريخ ١٣٧٧/٣/٢١ هـ.ش، (١٩٩٨/٦/١٠ م)

الإسلام، فاذا أراد شعب أن يجزم عـزمه و إذا جـنّد المشـفقون عـلى هـذا الشعب، أنفسهم للحركة العـامة التـي يـقوم بـها نـحو اكـتساب المـعارف الإسلامية والحقائق الدينية، عندها سيحصلون على إنجاز زاهـر، الىٰ حـدّ يفوق الظن والتخمين للناس»[١].

«تتم إدارة الشعب والمجتمع ـ حسب منطق الإسلام ـ عن طريق هداية الأنوار القرآنية والأحكام الإلهيّة، فالقوانـين السـماوية و الإلهـية للـقرآن الكريم تكنّ إحتراماً فائقاً للناس و هي محددة و واضحة؛ إذ أنّ الشعب هو الذي ينتخب و يأخذ بزمام الأُمور في إدارة البلاد. سيادة الشعب هذه، تعتبر من أرقىٰ أنواع السيادة الشعبية التي نشهدها اليوم في العالم لأنّ هذه السيادة لا تظهر إلاّ في إطار الأحكام والهداية الإلهية، فهي انتخابات شعبية، تسير صوب السبيل الصحيح حيث يتيسّر للمجتمع ـ بواسطة القوانين السماوية المبراة من أي نقص أو عيب ـ أن يواصل مسيرته نحو الهدف»[٢].

«إنّ ما يتميز به النظام الإسلامي هو أنّ هذا الإطار تشع مـنه الأحكـام الإلهية المقدسة والقوانين القرآنية و نورالهداية الإلهية علىٰ قلوب و أعمال و أذهان الناس فتجعلهم في طريق الهداية، إذاً فموضوع هداية و إرشاد الناس يعتبر أمراً هاماً للغاية حيث يُنتهك و يُتغافل عنه في النظم السياسية السائدة الآن في العالم ـ خاصة في النظم الغربية ـ والمقصود بهداية الشعب هو أنه

١- في كلمة ألقاها قائد الثورة الإسلامية بين مسؤولي الجمهورية الإسلامية بـمناسبة ذكرىٰ عيد البعثة النبوية بتاريخ ١٣٧٧/٨/٢٦ هـ.ش (١٩٩٨/١٠/١٧ م)

٢- كـلمة للـقائد المـعظم بـعد تـوشيح حكـم رئـيس الجـمهورية؛ خـاتمي بـتاريخ ١٣٨٠/٥/١١ هـ.ش (٢٠٠١/٧/٢م)

لابد من إرشاد الناس الى مناهل الفضيلة والخير و أن تكون هناك تلبية حقيقية نحو الفضائل الأخلاقية و لابد من إبعاد الرغبات الفاسدة والمفسدة عن الحياة الاجتماعية، تلك التي تذكر في بعض الأحيان و كأنها آراء و طلبات الشعب الحقيقية. فأنتم تشاهدون و تسمعون في أغلب الأنظمة «الديمقراطية» الغربية، الكثير من لاعترافات الرسمية من قبل الدول والحكومات حول الانحرافات القذرة كالشذوذ الجنسي و أمثال ذلك كمطلب شعبي و إرادة جماهيرية! ثم أنها تأخذ صفة قانونية و شرعية و رسمية و حتىٰ أنهم يسعون على نشر و إشاعة مثل هذه الرذائل و هذا يشير الى تغييب العنصر المعنوي والهداية الإيمانية»[١].

«لقد ظهر، في العالم اليوم نظام يرتكز على أساس التوجيهات القرآنية والهداية الإسلامية، و يسعىٰ لبسط العدالة لجميع الناس من دون استثناء و يعلن بصراحة بأنه يعارض الظلم و لايتساوم معه. فالإسلام قد رفع راية، تقدر علىٰ تلبية جميع الطموحات الإنسانية في ظلّ هذا الدين، و هي اليوم قد رُفعت في نظام الجمهورية الإسلامية خفّاقة. والذين يعارضون هذا النظام، هم نفس العناصر التي كانت تعارض دعوة الأنبياء على مدىٰ التاريخ، و كان موقفهم مع الصلحاء والمصلحين هوالمعارضة والمشاكسة الفكرية. جميع أركان هذا النظام يسعىٰ لتحقيق نفس الطموحات و قواته العسكرية أيضاً في نفس المسير والمسار. فشبابنا النظاميون اليوم، يتمتعون بقوة الشباب و بارتداء زيّ العزة والهيبة النظامية و بالمحبة والشعبية الكبيرة التي يتمتعون بها ـ جرّاء البسالة التي أبدوها خلال الحرب المفروضة ـ بين

١- نفس المصدر

شعبنا، حيث أن الشعب يكنّ إِحتراماً كبيراً لذلك الجهاد و تلك البطولات، خاصة و اَن هذه القوىٰ العسكرية الى جانب كل ذلك فهي تنتهج طريق التقوىٰ والورع والالتزام بالدين و تعتبر كل هذا من واجبها و هذا شيئ مهم و قيم للغاية»[١].

«نحن و جميع الإنسانية اليوم نسير باتجاه التدين والتحلّي بمعاني و قيم هذه البعثة النبويّة الشريفة و نحن في الجمهورية الإسلامية نفخر بأننا من جملة الأفراد والشعوب التي اتخذت شعار تحقيق و تطبيق الدين والعمل بالقرآن في معترك الحياة و نطمح الى الذروة والكمال في هذا المسار، فنحن فخورون لأننا قد تعرفنا علىٰ الحقيقة و رأيناها بأُمّ اَعيننا و نعتز بها لأننا قد عشقنا هذه الحقيقة و نفخر بها لأننا بدأنا سيرنا باتجاهها و قد تقدمنا الى الامام في خطوات كبيرة، والمفروض على جميع الإنسانية و جميع العالم اَن ينتهج نفس الطريق الذي سلكناه و سينتهج ذلك لا محالة»[٢].

«نحن ندافع عن حركة التوعية واليقظة في كل أرجاء العالم و نؤيد جميع المسلمين علىٰ وجه البسيطة، الذين يرغبون للعودة الى ثقافتهم الإسلامية، لأن ذلك من حقهم، فإنّ ما نسمعه اليوم في العالم لم يكن على و تيرة واحدة، إِذ أنّ الشعارات لا تشير الى حقيقة واحدة، فالحكم بصدد شؤون المسلمين فى العالم، لم يكن حكماً واحداً بالنسبة للجميع، لكن الذي نحترمه نحن، هو عودة المسلمين الى الإسلام، فمن حق المسلمين في العالم اليوم أن يوقروا

١- كلمة للقائد المعظّم في جامعة الإمام علي عليه السلام للضباط، بتاريخ ١٣٨٠/٩/٣ هـ.ش (٢٠٠١/١١/٢٤ م)

٢- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ٣، ص ٢٨٢ و ٢٨٣

الاسلام و يعتزوا بالقرآن الكريم و سيوقرون و يعتزون به أكثر فأكثر و سيعودون الى الحياة الإسلامية الكريمة إن شاءالله و سوف لن تنفع المحاولات المستميتة و سياسات القمع والإبادة للمستكبرين أبداً»[١].

«الإسلام اليوم في حالة تقدم باهر نحو المستقبل الزاهر و تعتبر هذه الخطوة من معجزات الإسلام والقرآن، لأن المؤامرات ضد الإسلام ـ خاصة في العقد الأخير ـ و كذلك الإعلام المعادي للإسلام والأموال الطائلة التي تنفق في هذا المجال، كانت ولازالت هائلة و ضخمة الى درجة أنه لا يعتقد أن نجد ما يناظرها لمواجهة أية فكرة أو عقيدة أُخرىٰ في نفس المدة، بصدد مايحاك ضدالإسلام من تبليغ و عداء و مواجهات مخربه»[٢].

«هذا العصر، هو عصر القرآن، لأن الإنسانية قد جرّبت نظريات فاشلة كثيرة خلال قرون اليقظة والإزدهار والرقي و بعد أن أصابها الإحباط واليأس في رسم نظام ناجح لحياة إنسانية كريمة تلائم فطرته السليمة و تتناسب مع التمنية الهائلة والتقدم العلمي المذهل، حيث أن السبل المتشعبة عادت لتصبّ في صراط التوحيد والدين رويداً رويداً و قد حان زمن بلوغ و نضج الإنسان شيئاً فشيئاً و قد نسيه في عصر الغطرسة العلمية والغفلة الروحية عند بدء الإزدهار العلمي، فهو الآن يبحث عنه من جديد و يتزامن ذلك مع فترة قد اعتلىٰ فيها الدين سرير القدرة في بقعة من بقاع هذا العالم و عن طريق ثورة مجيدة، عظيمة و فريدة من نوعها، و هي تقوم الآن بادارة و قيادة أُمور الملايين من الناس.

إذن فاليوم قد سنحت فرصة ذهبية تأريخية، لأن القرآن الكريم بإمكانه

١- نفس المصدر، ص ٢٦٢ ٢- نفس المصدر، ص ١٢ و ١٣

اليوم أن يقوم بإدارة و هداية أَفكار وأَعمال الناس و لابد من تبيين ذلك، و هذا بطبيعة الحال يتوقف علىٰ وصولنا الى المنهل الفيّاض للمعارف والهداية القرآنية، أي أننا لابد أن نتفهم القرآن و نتدبر آياته و أن نجعله محوراً و ركيزة لبحوثنا و دراساتنا ثم نتعمق في مضامينه العميقة. اَمّا الواقع المرّ فهو أنّ القرآن لم يصبح للآن أمراً عامّاً و رائجاً في مجتمعنا. صحيح اَنّ الكل يعشق القرآن و يكنّ له الإحترام، لكن هناك فئة قليلة تقوم بتلاوة القرآن بصورة مستمرة و فئة قليلة جداً تتأمل و تتدبر في آياته.

و لتدارك هذه النقيصة والانتكاسة، لابد اَن نقوم ببعض الأعمال؛ وكخطوة أُولىٰ: هي أن يتعرّف الشباب والناشئة على نصّ القرآن و ترجمته ليتسنىٰ لهم فرصة تذوق هذا الشراب السائغ المنعش... و هو ما ينطبق علىٰ هذا الإجراء الذي تقومون به، اَنتم الآن»[١].

«إن الإمام الراحل(ره) بجهاده و هجرته التي تضع المؤمنين في إِطار الولاية الإلهية، نال مصداقية الآية الكريمة: «إِنّ الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا بأموالهم و أَنفسهم فى سبيل الله...» (سورة الأنفال/الآية رقم ٧٢)، فهو عندما يستقبل المخاطر والأهوال و يقدم نفسه فدائياً في سبيل الله، فلقد اَصبح في عداد مَن مدحهم الباري عزوجل بقوله: «و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»، فهو بنهضته التاريخية في سبيل الله و سعيه و جهاده المنقطع النظير لإقامة القسط والعدل و إِنقاذ المستضعفين من نيرالظلم والإجحاف، قد أُوجد تلبية يمكن الاعتزاز بها كنداء: «كونوا قوّامين لله» (سورة المائدة/الآية رقم ٨) و كذلك: «كونوا قوامين بالقسط» (سورة النساء/الآية

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ٢، ص ٢١٧ و ٢١٨

رقم ١٣٥) و قد أظهر غضبه و استياءه و برائته من المشركين والكفار العنودين و أعلن تعاطفه و حبّه بالنسبة للمسلمين، في كل أرجاء العالم فأصبح سماحته(ره) عينة كاملة لهذه الآية: «أشداء على الكفار، رحماء بينهم» (سورة الفتح/الآية رقم ٢٩)، فهو عن طريق تهجده و نجواه و تضرعه الخاص لله عزوجل، أصبح من الذين قال القرآن الكريم في حقهم: «عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» (سورة الإسراء/الآية رقم ٧٩)، فلقد كان، (رحمه الله) آمراً بالمعروف و ناهياً عن المنكر و مجاهداً في سبيل الله و قد قطع اتصاله مع أي شئ أو أحد آخر، يحول دون وصله و حبه للحق عزوجل و الفناء في ذات الباري تعالىٰ و قد أصبح رمزاً لهذه الآية: «رضي الله عنهم و رضوا عنه، أُولئك حزب الله، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون» (سورة المجادلة/الآية رقم ٢٢).

فنحن قد عاهدنا الله عزوجل لمتابعة مسيرة الإمام الخميني (أعلىٰ الله قدره) و التي تعتبر طريق الإسلام والقرآن و طريق عزّة المسلمين، فسياسة «لاشرقية و لا غربية» والدفاع عن المستضعفين والمضطهدين و دعم الوحدة و حركة الأمة الإسلامية العظيمة والتغلب علىٰ الإختلافات و فُرقة المسلمين في كل أرجاء العالم والجهاد من أجل إنشاء المدينة الإسلامية الفاضلة والتركيز علىٰ الانحياز والدفاع عن الطبقات المحرومة و أصحاب الأكواخ الحقيرة و توظيف جميع العوامل والإمكانات لإعادة بناء البلاد على المستوىٰ الداخلي، هذه هي الخطوط العريضة التي تشكل مخططنا الشامل و برنامجنا الواسع، والهدف من كل هذا هو إحياء الإسلام مجدداً والعودة للقيم القرآنية ثانية و نحن بدورنا، سوف لن نتراجع عن هذه الأهداف قيد أنملة أبداً».[١]

١- نفس المصدر، ج ١، ص ٢٣٠

الفصل الرابع

آداب تلاوة و قراءة القرآن الكريم
و ضرورة إعداد و تربية القرّاء

«النقطة الأُخرىٰ التي ينبغي طرحها الآن ـ و قد طرحتها أنا بالذات في هذه الجلسة و خارج هذه الجلسة كراراً ـ هي أنكم يجب أن تتعلّموا كيفية القراءة و آداب التلاوة في المجالس و لهذا إفرضوا أن هناك جماعة من المسلمين والمؤمنين، قد اجتمعوا في محل ما، ثم طُلب منكم أن تقرءوا لهم القرآن. فهذا هو الشئ الذي يشكّل جهدي و يبلور فكرتي و أنا أودّ أن تكون هناك مجالس و منابر خاصة لقرّاء القرآن و كما يعتلي الآن الوعّاظ المنابر، ينبغي للقرّاء أيضاً أن يعتلوا المنابر، ثم يبادروا بقراءة و تلاوة القرآن الكريم لمدة نصف ساعة مثلاً، عندها سيتمكّن الناس من استماع كلام الباري عزوجل بصورة مباشرة من القاريْ، فتخشع القلوب و تدمع العيون و تسمع الآذان المواعظ، ثم ينصرفون الى أعمالهم؛ في حين أننا الآن نجعل من قراءة و تلاوة القرآن الكريم كمقدمة لإلقاء الكلمات والخطب ليس إلاّ أي أنّ القراءة لا تُقام إلاّ على هامش الخطاب.

أنا بالذات كنتُ أخطب و أُحاضر في مدينة مشهد خلال سنتي ٥١ و

١٣٥٢ هـ.ش (٧٢-١٩٧٣ م) فكنتُ اَقف و اُلقي كلمتي و بعد اِنهاء الخطاب، كنتُ اَجلس على الأرض، ثم كنّا نهيأ كرسياً حتىٰ يجلس عليه القارئ ليبدء بتلاوة القرآن؛ فـ«السيد فاطمي» هذا مثلاً [أحد القرّاء الايرانيين المتواجدين في ذلك المجلس] و بعض الأخوة الآخرين، كانوا يجلسون على كرسي أو منبر ثم يبدؤون بتلاوة القرآن، و كنتُ أقول في حينها بأنّ كلمتي ماهي اِلاّ مقدمة لقراءة و تلاوة القرآن الكريم، فكنتُ اُلقي خطابي واقفاً، لكن القرّاء كانوا يجلسون على كراسي عالية و جميلة تشبه المنابر و يشرعون بقراءة نفس الآيات التي كنتُ قد اَشرتُ اليها و فسّرتها بعض الشئ في خطابي، هذه هي اُطروحتي و هذا هو مشروعي حول كيفية قراءة القرآن.

كلامي هو اَنّ القرآن لابد أن يتصدر الأمور في المجتمع، و لابد أن تتعرف اُمة حزب الله على القرآن رويداً رويداً، الىٰ درجة أن يستمعوا الى القرآن عن طريق تلاواتكم بصورة مباشرة ثم يدركوا معاني الآيات من دون اَن يراجعوا الترجمة، لابد من ارتقاء المنبر في المجالس، ثم تبدؤون بتلاوة القرآن، عندها سيذرف المستمعون الدموع بعد استماعهم للآيات القرآنية، نحن نهدف الى هذا بالذات. فإن أردتم القيام بهذا العمل، فعليكم أن تجذبوا الناس و تستولوا على قلوبهم، من خلال أصواتكم، و لتحقيق هذا الأمر، هناك آداب و فنون. عليكم أن تكسبوها و تتعلموها عن طريق تربية الأستعداد و تزكية الفطرة والإنصات الىٰ أشرطة القرّاء المعروفين، بطبيعة الحال، إنّ قسماً من هذا قد تحقق في الآونة الأخيرة و المفروض أن يتحقق القسم المتبقي منه في المستقبل القريب»[١].

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ٧، ص ٣٥ و ٣٦

«أنا سعيد بلقاء الإخوة والسادة الكرام، خاصة الشيخ راغب مصطفىٰ، إذ أني قد تعرّفتُ علىٰ صوته و تلاوته الجميلة منذ سنوات بعيدة، و كذلك يسرني جداً لقاء «الشيخ بسيوني» كثيراً. إعلموا ايّها الأخوة الكرام! بأنّ فخركم و شرفكم و عزّكم بالقرآن و هذه التلاوة تُعتبر شرفاً كبيراً بالنسبة لكم، كما قال النبي(ص) «أَشرف أُمتي؛ حملة القرآن» و أَنتم حَمَلَة القرآن والحمد لله.

نحن نُكنّ لكم الودّ العميق والإحترام الفائق و نعتقد بأنّ قُرّاء القرآن الكريم أَيضاً يحملون رسالة صعبة و مسؤولية كبيرة، و في الحقيقة، أينما انتشر و أُذيع صوتكم، فأنتم حاضرون هناك و بواسطة هذا الحضور الشامل في كل مكان، بإمكانكم أن تكونوا مؤثرين، أي من الممكن أن تقوموا على تغيير شعب بأكمله، عن طريق تلاوة واحدة، في الواقع، بإمكانكم إيجاد التغيير والتطوير في المجتمع و ذلك بفضل رغبة و محبة الناس بالقرآن الكريم و عن طريقه فهم يكنّون بالحبّ والاحترام اليكم.

نحن نأمل بأن يستفيد و يلتذ الناس من أَصواتكم و تلاوتكم، خلال هذه المدة التي تمكثون فيها علىٰ أراضي الجمهورية الإسلامية، فهنا الناس يعشقون القرآن، في حين أنّ النظام البائد، لم يعطي الفرصة الكافية للقراء، و لكن بعد تأسيس الجمهورية الإسلامية، فقد إزداد شوق و حماس شبابنا و أَطفالنا نحو القرآن الكريم و ممارسة قراءته و تلاوته، فهناك عشرات الآلاف من الشباب والناشئة الآن و هم في مقتبل أَعمارهم، يمارسون تلاوة القرآن، من دون أَن يحضروا في دورات خاصة أَو صفوف معينة بهذا الشأن، بل كلّما يقومون به، هو استماع أشرطة الأساتذة و لهذا يكسبون المهارة اللازمة بهذه

الطريقة، شيئاً فشيئاً، و الآن و بفضل هذا العمل، قد ظهرت شريحة و طبقة مرموقة من هؤلاء الذين اَصبحوا اَساتذة الآن، اَي من دون اَن يحضروا في صف اَو دورة خاصة، بل إنهم بدؤوا بالاستماع والدقّة والمطالعة الخاصة بفنون القراءة والتلاوة، فأَصبحوا اَساتذة. فإذا ما اَراد شعب اَن يعمل بالقرآن و يطبق القرآن، فالخطوة الأولىٰ هي اَن يتعرف على هذه الألفاظ والظواهر القرآنية، فعلىٰ عامة الناس أن يستأنسوا بالقرآن، إذ اَن هذا الإستئناس سيضمن لهم إدراك المفاهيم القرآنية فيما بعد.

فأنا بالذات، لي ذكريات مع هذا الشيخ؛ «الشيخ راغب مصطفىٰ» و لا بأس أن اَسرد لكم إحداها: في سنة ٤٦ أو ١٣٤٧ هـ.ش، (٦٧-١٩٦٨ م)، أي قبل حوالي ٢١ أو ٢٢ سنة من الآن، حيث كنتُ اَبحث عن تلاوة الشيخ مصطفىٰ اسماعيل في إذاعات الدول العربية ـ خاصة إذاعة مصر ـ و كنّا نفتش بدقة، علّنا نحصل علىٰ قراءة الشيخ، هذا و لم تكن آنذاك اَشرطة للقرآن في الأسواق و كذلك لم تكن هناك إذاعة خاصة بالقرآن، لهذا كنّا مضطرين لمراجعة الإذاعات الأُخرىٰ. لأننا كنّا نعشق تلاوة الشيخ مصطفىٰ اسماعيل، فكنّا نعثر على اَشرطته من هنا و هناك و نستمع اليه، كان لي صديق في تلك الفترة ـ هو المرحوم السيد جعفر ـ حيث أن الأخوة يعرفونه، فهو الآخر، كان يجلس معي و يستمع الى تلاوة الشيخ. و في يوم من الأيام رآني المرحوم فقال لي: اليوم، حصلتُ علىٰ صوت نجل الشيخ مصطفى اسماعيل في راديو مصرا قلت له: كيف و من اَين علمتَ أنه نجله؟ قال: لأن اسمه راغب مصطفىٰ و هو نجل الشيخ مصطفىٰ اسماعيل، و لمّا استمعتُ اليه، قلت له: يبدو اَنه حقاً نجل الشيخ مصطفىٰ اسماعيل؛ لأنّ صوته يشبه

صوت الشيخ مصطفىٰ اسماعيل! و خاصة أنّ التلاوة كانت نفس الآيات المعروفة: «واستمع يوم يناد المنادِ من مكان قريب» (سورة ق/الآية رقم ٤١)»[١].

«لقد أكدتُ و وصيّتُ الإخوة الذين يمارسون التلاوة القرآنية، مراراً و تكراراً حول هذا الموضوع، إذ لا يمكن تلاوة القرآن بشكل جميل و جيد، من دون أن تتعرفوا علىٰ كيفية استخدام قاعدة «الوصل» و «الوقف» و متىٰ تجدر القراءة في المواقف والعبارات المختلفة و بأي لحن يجب أن تكون، لأنكم ترفعون صوتكم مرة و تخفضونه مرة أُخرىٰ و بهذا تجعلون كلامكم اكثر تأثيراً، لأنّ ذلك ضروري في إفادة الكلام و بيان المعنىٰ. فعند تلاوة القرآن، لابد من استخدام و مراعاة هذه النقاط والملاحظات و من دون التعرف عليها، لا يمكنكم تطبيقها عند القراءة والتلاوة. هذه هي الخطوة الأولىٰ. أمّا الخطوة الثانية في هذا المجال، هي العمل علىٰ حفظ القرآن الكريم، و من ينجح في انجاز هذه المهمة، فليعلم بأنه قد أُوتي خيراً كثيراً.

نسأل الله عزوجل أن يحشرنا مع القرآن، في الدنيا والآخرة، و أن تكون حياتنا قرآنية ـ إن شاء الله ـ و نتحرك باتجاه أهداف هذا القرآن الشريف، و نأمل أن يكون مماتنا أيضاً مشحوناً بمعرفة القرآن و أن نكون في خدمة القرآن دوماً»[٢].

«ها أنتم الآن قد تقدمتم في هذا القسم؛ و لكن ماذا ستصنعون بعد ذلك؟ لقد تعرفتم و تعلّمتم الطرق والأساليب اللازمة فى قراءة و تلاوة القرآن و

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٦٦ و ٢٦٧

٢- نفس المصدر، ص ٢٨٦

هكذا كيفية أداء الحروف والتلفظ الصحيح لمخارج الحروف و تعلّمتم اَيضاً كيفية اَداء الصوت و اللحن، هذا و اَنفاسكم في القراءة والتلاوة جيدة ـ و لله الحمد ـ و قد تفوقتم على بعض المتمرسين والأساتذة في هذا المجال و لكن ماذا بعد ذلك؟ هل ستتوقفون عند هذا الحد يا ترىٰ؟ بطبيعة الحال، لا، لأنكم لازلتم في اَول الطريق، فهناك بعض الإشكاليات والنقائص الأساسية في قرائتكم ـ اَنتم الأطيبون الأفاضل، حيث تعلمون كم اُحبّكم و اُكنُّ لكم الإحترام ـ فلابد من تصحيح هذه الأغلاط والأخطاء الموجودة في تلاوتكم، لهذا اِرتأيتُ اَن اُذكركم بعض النقاط، من خلال هذه المسابقات القرآنية والتلاوات التي استمعت اليها، في غضون الأشهر القليلة الماضية و لحد الآن. لقد توصلت الى هذا الموضوع فيما مضىٰ اَيضاً، و خلال هذه الجلسات القرآنية، قد اَشرتُ اليها لمرات عديدة، لكنني الآن، اُريد أن أؤكد على الموضوع بدقة و تركيز اكثر.

اِحدىٰ الملاحظات في هذا المجال، هي أنكم لا تراعون قاعدة «القطع» و «الوصل» اَثناء التلاوة بشكل صحيح و موزون، فاني قد سجّلتُ بعض الملاحظات والتعليقات الواردة بتلاوتكم، حيث لم تكن هناك فرصة كافية لطرح جميع تلك الملاحظات، فلو كان هناك الوقت الكافي لأشرتُ اليكم بها؛ متىٰ استخدمتم قاعدة الوصل في غير محله و متىٰ استفدتم من قاعدة «القطع» بشكل غير مناسب، ففي بعض الأحيان تحدث مثل هذه الأخطاء و بذلك يصبح المعنىٰ والمفهوم في الآية مشوشاً و مرتبكاً و هناك حالات اُخرىٰ لاتؤدي الى التشويش والخلل في فهم معاني الآيات القرآنية، اِلاّ اَنّ التلاوة سوف لاتكون بالشكل الجميل واللائق، فمثلاً عند ما تقرؤون هذه

الآية هكذا: «و قالوا اَتَّخَذَ اللهُ ولداً سبحانه» (سورة البقرة/الآية رقم ١١٦) سنفهم شيئاً خاصاً من قراءتكم هذه، في حين لو قرأتم الآية المذكورة بهذه الصورة: «و قالوا اتَّخذَ اللهُ ولداً، سبحانه»؛ اَي جعلتم فاصلة بين العبارة الأولىٰ «و قالوا اتَّخَذَ الله ولداً، سبحانه»؛ اَي اَنكم تركتم فاصلة بين العبارة الأُولىٰ والعبارة الثانية (سبحانه) و لهذا فنحن سنفهم الآية بشكل آخر و بطبيعة الحال فان الحالة الثانية هي الأصح، و لو استسلمنا للحالة الأولىٰ، عندها يمكن استنباط هذا المعنىٰ بأن عبارة «سبحانه» أيضاً تكون استمراراً لكلام الذين قالوا: «اتخذ الله ولداً». و لابد من الإشارة هنا في مجال استخدام قاعدة «الوصل»، فسوف لم تكن النتيجة خطأً لأن الإستنباط الذي تكلمنا عنه، لم يكن واضحاً للغاية، و لهذا لم نلاحظ وجود كلمة «وقف» عادة، عند نهاية هذه الآية الكريمة.

فأنتم تتلون القرآن بصورة جيدة و تقومون بمحاولات حثيثة لتقديم قراءة جيدة و مناسبة، فكيف يمكن لكم أن تتجاهلوا مثل هذه القاعدة الواضحة؟ و اِلاّ فذلك سيقللّ من جمال التلاوة بشكل ملحوظ. هذا و لا يقتصر الموضوع علىٰ «القطع» و «الوصل» فحسب، بل اِنكم إذا قمتم بالتلاوة بين اجتماع و اَفراد لهم معرفة بالقرآن، فإنهم يلاحظون اللحن اَيضاً، اِذ اَنّ القرّاء المعروفين في العالم والرموز الذين يفضلونهم الخواص، لم يكن ذلك كلّه لأجل صوتهم العذب فحسب، بل يتعلق الموضوع بمثل هذه الأشياء التي اَشرتُ الى بعض منها هنا.

فمثلاً لمّا تقرؤون هذه الآية نقلاً عن فرعون: «فقال اَنا ربّكم الأعلىٰ» (سورة النازعات/الآية رقم ٢٤) و التي قام بتلاوتها اَحد الإخوة الآن، فعليكم أن

تقرؤوا الآية بشكل يشعر من خلالها المستمع بأنها زعم كاذب و ادّعاء زائف من قبل فرعون و لا ينبغي اَن تكون التلاوة كتلاوة هذه الآية التى نقول: «لمن الملك اليوم، لله الواحد القهّار» (سورة الغافر /الآية رقم ١٦) و هذا شئ يمكن تطبيقه و هو الشئ الذي كنّا نلاحظه في قراءة القارئ الشيخ مصطفىٰ اسماعيل، بل يمكن القول بأنّ اَهمية القراءة التي يقوم بها الشيخ هي مراعاة هذه النقاط. فهو كان يقرأ الآية هكذا و عليكم اَيضاً اِذاً اَن تقرؤوا القرآن بنفس الطريقة، و هذا لا يتحقق اِلاّ عن طريق التعرف على معاني و مفاهيم الآيات الكريمة.

في الوقت الراهن، عليكم واجب واحد. و بطبيعة الحال لا اُريد منكم الآن اَن تكونوا قرّاء محترفين ـ كهؤلاء الأخوة ـ و لكن إذا ما تقدتم و اَصبحتم قرّاء محترفين، فلا بأس، فنحن سوف لن نعارض ذلك، بل اِنما اُريده بالتحديد، هو اَن تهتموا بقراءة و تلاوة القرآن، الى جانب اَعمالكم الإدارية و وظائفكم الحكومية و غير الحكومية التي تمارسونها الآن. أي قد يكون اَحدكم طالب جامعة والآخر طالب ثانوية والثالث طالب العلوم الدينيّة والرابع رجل أعمال والآخر موظف في دائرة والآخر عسكري، فالىٰ جانب هذه الأعمال، فهو يمارس قراءة و تلاوة القرآن، فبإمكانكم أن تواصلوا و تكمّلوا هذه المهمة، الىٰ جانب أعمالكم و فعّالتيكم العادية.

و فيمالو بدءنا بمدح و ثناء شخص ما، نراه بعد مدة قصيرة، يتراجع عن مستواه السابق! فمثلاً لمّا نمتدح برنامجاً ما في الإذاعة والتلفزيون و نصرّح بأنه برنامج جيد، ثم نستمع اليه في اليوم التالي، نجده قد تراجع عن تلك الجودة و ذلك الإتقان! اَنا لا اَدري سرّ هذا الأمر! نحن نمدح و نثني على

الإخوة القراء و الآن أيضاً أقوم بمدحكم والثناء عليكم، و هذا لا يعني أنّ قراءتكم و تلاوتكم كاملة، لا نقص فيها، لا، بل عليكم أن تتقدموا أكثر فأكثر، فكل سبل الحياة في نماء و تقدم دائم نحو اللا نهاية.

أيها الأخوة القرّاء! لابد من التقدم و النمو. أولاً: حاولوا أن تُطوّروا أصواتكم، فالصوت ـ خاصة تلك الأصوات الأصيلة ـ بامكانه أن يتقوىٰ و يتحسن. ثانياً: لابد أن تأخذوا قضية القراءة الصحيحة على محمل الجدّ. فالمتوقع منكم أن تقرؤوا القرآن بصورة صحيحة، فأنا أُلاحظ بعض القرّاء الأفاضل من الأخوة الإيرانيين، عندما يتلون القرآن، لا زالوا يخطأون في بعض الجهات من ناحية أُصول اللغة العربية والتجويد، و هناك بعض الأخطاء موجودة للآن و لابد من تصحيحها؛ مثلاً لاحظتُ بأنّ أحد القراء قد استخدم المدّ في تلاوته أكثر مما ينبغي، أو أنه كان يحاول الإستفادة من قاعدة الادغام، إلّا أنه في بداية الإدغام ـ و بدون أن يشعر هو ـ كان يميل صوته الى الإخفاء، صحيح أنّ المقصود هو الادغام في هذا المجال بالذات، لكن بداية الإدغام هذه تشبه بداية الإخفاء، فيفسد عملية الإدغام، بتصرفه هذا و هو من أغلاط القراءة»[1].

«و هناك بعض الإخوة يقرؤون و يتلون القرآن، لكنهم لا يطبّقون قواعد القطع والوصل، حيث أنّ في تلاوتكم اليوم، كانت آية، استفدتم فيها من قاعدة الوصل و قد كانت نقلاً عن كلام الله عزوجل، فاختلط بكلام الكفّار! فهل يحسن ذلك؟! و لهذا فمن يفهم معاني الآيات والترجمة، ثم يلاحظ منكم هذا الوصل في غير محله، سيُصدم و كأنه قد تلقىٰ مسماراً في أُذنيه!

١- نفس المصدر، ج ٥، ص ٣٤ و ٣٥

اَول البارحة كنت اُشاهد التلفاز حيث كان اَحد الإخوة الإيرانيين يـتلو القرآن الكريم، إلّا اَنّ استعماله الغير مناسب لقاعدة القـطع والوصـل اَثـناء التلاوة، كان يزعج الإنسان حقاً. فلماذا تستفيدون من قواعد القطع والوصل بهذه الصورة؟!

دعوني اَقول لكم بأنّ هذه القواعد تعتبر علماً في القراءة والمفروض هو التعرف على مواطن الوصل اَو القطع في القراءة، لا تقولوا بأنّ القارئ فلان في مصر يقرأ بهذه الصورة، فليقرأ بأي صورة يشاء، إنه مخطئ هو الآخر في طريقته هذه! فهل كلما يقرأ و بأي صورة كانت، يعتبر لكم حجة مقبولة؟!

المفروض هو أن تنظروا الى الآية بدقة تامّة، والأسهل من كل شئ هو اَن تلاحظوا علائم الوقف الموضوعة في بعض آيات القـرآن، فـفي الطـبعات الجديدة للقرآن قد كتبوا بدلاً من «الوصل اَولىٰ» و «الوقـف اَولىٰ» عـلائم اختصارية اُخرىٰ مثل: «صلي» و «قلي»، و بهذا فقد سَهّلوا الموضوع، فاذا لم تراعوا هذه العلامات فالمفروض أن تراعوا مفاهيم تلك الحـروف الرمـزية الموجودة في اَغلب القرائين على الأقل، مثل حروف الـ«ج» و «ط» و «م». و ليس من الضروري أن تستفيدوا من قاعدة «الوصل»، اِلاّ في بعض الحالات الإستثنائية لأن الآية في حد ذاتها تعتبر فصلاً. و فيما لو اطّلعتم على معاني الآيات بصورة دقيقة في المستقبل، عندها سيكون بإمكانكم أن تـتفنّنوا و تتصرفوا حسب ذوقكم و إدراككم للآية، في حين لمّا لم تكـونوا مـطّلعين علىٰ معاني الآيات، فلا ينبغي اَن تفعلوا ذلك.

ثم اَنّ الإلتفات الى الفواصل مهم اَيضاً، فمثلاً اِفرضوا بأنكم قد قـرأتـم عبارة من آية كريمة، ثم سكتتم لتأخذوا النَفَس لمواصلة الآية، كم يـنبغي

لنا أن نصبر حتىٰ تأخذوا هذا النفس و تواصلوا قراءة الآية؟! في حين اَنّ المفروض هو اَن تواصلوا قراءة بقية الآية دون اَي تباطؤ؛ فلماذا هذا التأخير؟! ففي الكلام الإعتيادي، نحن نقوم بمواصلة الحديث من دون تلكؤ أو اِنقطاع و اَحياناً نتريثُ و نتأمل قليلاً، و هذا يفيد في لفت النظر و جلب نفوس المستمعين في قراءة آيات القرآن الكريم أيضاً و لابد اَن ننتهج نفس الطريقة و المنهج هنا»[1].

«لقد قام شعبنا بحركة جهادية واحدة، في حين اَن الله عزوجل قد منحه و اَعطاه الآلاف من المكافئات، واِحدىٰ تلك المكافئات والنعم التي اَنعم الله علينا بها، هي سيادة هذا الجوّ القرآني في البلاد و لهذا نحمد الله عزوجل على هذه الموهبة العظيمة.

اَتذكر في العهد البائد، كنّا نحاول و نعاني كثيراً حتىٰ نتمكن من رصد اِحدىٰ الأذاعات، كإذاعة مصر التي كنّا نستمع عن طريقها الى تلاوة القرّاء المشهورين بصعوبة بالغة. كان لي صديق ـ رحمه الله ـ قد ذهب، آنذاك، الى مصر وبقي هناك لعدة أشهر، و عند عودته أتىٰ ببعض الأشرطة للقرّاء المعروفين ـ كأبي الفتاح والشيخ مصطفىٰ إسماعيل و محمد رفعت و غيرهم ـ الى ايران، فأنَا بالذات كنتُ معجباً بقراءة الشيخ ابوالفتاح كثيراً و كنتُ اَستمع اليه. ثم بعد ذلك تعرّفتُ علىٰ صوت الشيخ مصطفىٰ اسماعيل، فانتهت هذه المعرفة لنسيان البقية، إذ اَنّ صوت الشيخ كان رائعاً و بديعاً جداً. ثم لابد من التذكير بهذا الموضوع هنا بأنّ الرغبة العامة الآن في ايران، تصبّ لصالح الشيخ مصطفىٰ اسماعيل، اَي اَنّ قراءنا الأعزاء يتدربون على

١- نفس المصدر، ج ٧، ص ٣٦ و ٣٧

كيفية قراءة الشيخ اَكثر من غيره، و حسب اعتقادي بأنّ هذا التيار قد بدأ من مدينة «مشهد»، و من الأوساط القرآنية التي كنّا ننتمي اليها آنذاك، حيث اَن الناس والقرّاء كانوا لا يعرفون اِلاّ الشيخ عبدالباسط، فلما اَتيتُ اَنا الى طهران، في تلك الفترة، وجدتُ الشيخ عبدالباسط هو المشهور والمعروف من القرّاء بين سكّان العاصمة، و كذلك الحال في بقية المدن والمحافظات اَيضاً، اِذ كان الشيخ عبدالباسط هو الأكثر شهرة و شعبيّة بين الأغلبية الساحقة من القرّاء والمعجبين الأيرانيين.

فنحن في «مشهد»، كانت لدينا أشرطة الشيخ مصطفىٰ إسماعيل. و اتفق اَنْ سافر اَحد اَصدقاءنا الى مصر، فطلبت منه أن يحمل معه ما اَمكنه من اَشرطة الشيخ مصطفىٰ اسماعيل، فسافر و عاد حاملاً معه بعض الأشرطة الجيدة جداً من قراءة الشيخ و بعد استلامي الأشرطة، اَعطيتها للسيد «مرتضىٰ فاطمي» ـ حيث كان يستنسخ لنا الأشرطة ـ ليقوم باستنساخها، ففعل ما طلبنا منه ثم سلّمنا الأشرطة ـ للإخوة القادمين من طهران و لهذا فقد أرسلتُ جميع الأشرطة الى طهران و من هنا ذاع صيت الشيخ مصطفىٰ إسماعيل في طهران اَيضاً، والحق اَن الشيخ كان يتمتع بصوت مدهش و عجيب للغاية، لا اَدري هل استمعتم و تعرفتم الى صوته اَم لا؟ اِنه يتمتع بتلاوة رائعة و بديعة حقاً، فانه قد تلىٰ سورة هود و سورة البقرة والأيات المتعلقة بقصة سيدنا داود عليه‌السلام و جالوت، حيث كانت مدهشة و متميزة للغاية»[١].

الشيخ مصطفىٰ اسماعيل كان رائعاً و منفرداً في تلاوته، لأنّ تلاوته تضم

١- نفس المصدر، ج ٦، ص ٢٦٩ و ٢٧٠

علىٰ نقاط مهمة تستحق التقليد والمحاكاة. فالىٰ جانب صوته الرخيم و أدائه الجيد و المتقن للحروف والكلمات. فلقد كـان يـبعث روحاً جـديدة فـي العبارات القرآنية، اَي اَنه، لمّا كان يـتلو الآيـة، فـقد كـان يشـعر المسـتمع بإحساس خاص، تقتضيه تلك الآية، فمثلاً في سورة هود، عندما كان يتلو الآيات المتعلقة بقصة ابن سيدنا نوح عليه السلام والتي تقول: «اِنّ ابني من اَهلي و اِنّ وعدك الحق» (سورة هود/الآية رقم ٤٥)، يشعر الإنسان اَثناء هـذه القراءة للشيخ، بأن هناك اَباً يرىٰ بأُمّ عينيه ضياع وانهيار ابنه، اَي أنه يشعر بأن هناك رحمة و رأفة الوالد عـلى ولده و كـذلك الكـراهـية إزاء كـفره و عصيانه، فهو يوحي بهذه المشاعر والاحاسيس المتضابة في تلاوته، و هذا شئ مهم جداً لانّ ذلك يضاعف من التأثير في المسـتمع والقـارئ للـقرآن الكريم، لقد لاحظتُ ما يشبه هذه الحالة تقريباً و الى حدّ ما، في قراءة الشيخ عبد الفتاح، فهو الآخر هكذآ تقريباً. المرحوم المنشاوي اَيضاً، هوالآخر من الوجوه الشهيرة في مجال التلاوة القرآنية، علىٰ هذا السـياق، و بـالمناسبة اُلاحظُ بعض الإخوة المتواجدين الآن هنا، هم من مقلدي الشيخ المرحـوم المنشاوي»[١].

١- نفس المصدر، ج ٧، ص ٨٣

الفصل الخامس

ضرورة و كيفية حفظ القرآن الكريم
و دور الحفّاظ في نشر و ترويج الأجواء القرآنية

«لابد أن تكون هناك برامج شاملة و واسعة في دائرة الأوقاف و باقي المؤسسات المعنية الأخرىٰ، في مجال حفظ القرآن الكريم، خاصة و أنّ أحد الأخوة قد صرّح ـ في الليالي الماضية ـ بكلام صائب و نقطة مهمة حيث قال: لابد من ترغيب و تشجيع الأطفال علىٰ حفظ القرآن الكريم منذ السنين الأولىٰ من أعمارهم، فالمفروض أن تعقدوا اجتماعاً و تتخذوا فيه الترتيبات اللازمة لتشجيع و ترغيب الأطفال منذ الصغر، في المدارس الابتدائية لحفظ القرآن الكريم... بطبيعة الحال لا ينبغي استخدام أُسلوب القسر والجبر في هذا الصدد، بل لابد أن تكون هناك مِنَح و جوائز و إجراءات تشجيعية، فمثلاً يمكن إعطاء كذا جائزة لكل طالب في الإبتدائية يحفظ كذا آية أو سورة من القرآن و سيحصل على كذا نقاط إيجابية، إذا كان الطالب في الثانوية و بادر الى حفظ كذا آية أو سورة من القرآن سيحرز على نقاط و امتيازات و جوائز دراسيّة لصالح علاماته في بعض الدروس و أنا شخصيّاً مستعد لدعم هذا المشروع من جميع الجهات.

لابد اَن تأخذوا موضوع حفظ القرآن الكريم على محمل الجدّ، إذ أننا للأسف لم نتعامل مع هذا الموضوع بجدية كما ينبغي، دعونا نتقدم شيئاً ما بهذا الشأن في البلاد و نقوم بتطوير مشروع حفظ القرآن الكريم، عندها يمكننا أن نقوم بتسريح الجنود و الضباط المكلّفين من الجيش و إعفائهم من خدمة العَلَم بسبب حفظهم للقرآن الكريم لأنّ خدمة العلم هنا تختلف كثيراً عما عليه الحال في الدول الأُخرىٰ، إذ اَنّ خدمة العلم في ايران تعادل قراءة القرآن والجهاد في سبيل الله، لأنّ الجهاد في سبيل الله و قراءة القرآن، عدلان لا يفترقان عن بعض.

بطبيعة الحال، حكومات الدول الأُخرىٰ تختلف عن حكومتنا، اختلاف الأرض مع السماء، إذ اَنّ الحكومة هنا، هي حكومة القرآن و لهذا فخدمة العَلَم في ايران تعتبر جهاداً عقائدياً و هذا شيءٌ متميز جداً. و من هذا المنطلق، الأفضل هو اَن نقول بأنّ المكلّفين الحافظين للقرآن الكريم، سيحرزون المناصب القيادية في الجيش، و اَنا بالذات بامكاني اَن اَضمن ذلك فمن قام بحفظ القرآن من المكلّفين، سأمنحه شخصياً نقاط ممتيزة، هذا هو الشيْ المطلوب، لكننا يحب اَن نتقدم في هذا المشروع شيئاً فشيئاً، على أي حال فإنّ قضية حفظ القرآن مطروحة علىٰ الطاولة و يمكن ترشيح موضوع الترقية في المراتب النظامية ـ بدل التسريح ـ لمن يحفظ القرآن الكريم. ثم بعد ذلك سيأتي دورالموسيقىٰ والنغمات والألحان و ما شاكل ذلك و من المفروض اَن نستفيد من ذلك في محله.

و يحلو لي في هذه الأُمسية القرآنية الأخيرة من لقاءنا معكم اَن نتمتع بتلاواتكم الجميلة، فأنا شخصيّاً سوف لا اَتراجع عن استماع تلاوة الإخوة،

فلنستمع الآن الى ما تيسّر من تلاوة الإخوة الأعزاء للذكر الحكـيم [و بـعد الإنتهاء من تلاوة القرّاء قال سماحته في نفس المجلس:].

لقد استمتعنا بتلاوة الإخوة الكرام كثيراً، فنشكر الله عزوجل لأنه جعل قلوبنا والهة بالقرآن الكريم، حيث أنّ هذه الحالة تعتبر نعمة كبيرة من قـبل ربّ العالمين، نحمد الله على هذه النعمة لأننا قد التذذنا بهذه التلاوات الطيبة لآي الذكر الحكيم، حيث أننا كنّا نأمل و نتمنىٰ في عهد الطاغوت أن تنعقد مثل هذه الحفلات والمجالس والأجواء القرآنية في البلاد، ليـتسنىٰ لنـا أن نستفيد و نستمتع من تلاوة أساتذة القراءة، لكن هذا لم يحصل في السابق و نحمد الله عزوجل حيث تيسّر هذا الآن و وقفنا الله لاستضافة هذا الجمع من الأساتذة الأعزاء، نحمد الله عزوجل على هداية الكـثير مـن شـبابنا نـحو القرآن الكريم و هذه نعمة كبيرة جداً قد منّها الله علينا»[1].

«والجانب الآخر و المهم جداً هو حفظ القرآن الكريم. إخوتي الأعزاء! لماذا لم تقوموا أنتم القرّاء بحفظ القرآن؟ فأنتم الآن في مرحلة الشباب، أُقسم بالله بأني فكرت ملياً، مراراً و تكراراً، قـائلاً لنـفسي، لو كـان بـالإمكان أن أُضحّي بكل شيئ في سبيل الوصول الى مرتبة حفظ القرآن الكـريم؛ لكـنّ يبدو ذلك عسيراً جداً بالنسبة لي للأسف، ففي مثل هذا العمر، ليس بإمكاني أن أحفظ القرآن؛ لكنكم في مرحلة الشباب و مقتبل العـمر و بـإمكانكم أن تباشروا بحفظ القرآن الكريم، إذ أنّ ذاكرتكم قوية و هـي ذاكـرة الشـباب والناشئة، و حفظ القرآن الكريم لابد أن يكون في مثل هذه السنين و قـبل

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ٦، ص ٢٦٨ و ٢٦٩

الثلاثين و نحمد الله عزوجل بأنّ أَغلبية قرائنا الأفاضل هم في هذه السنين التي تعتبر سنين حفظ القرآن الكريم، فاحفظوا الآيات الالهـية الكـريمة و أقرؤوها عن ظهر القلب»[١].

١- نفس المصدر، ج ٥، ص ٣٤ و ٣٥

الفصل السادس

ضرورة العناية والأهتمام بالمفاهيم والمضامين القرآنية والتدقيق في ترجمة كتاب الله و نظرة الى الفن القرآني حول الشكل والمضمون

«المشكلة الأساسية في مجال قراءة القرآن، من دون تبصّر و تفكّر، هو أنّ بعض القرّاء لا يتريثون عند هذه النقطة حسناً. عند ما تستمعون كلام شخص حكيم أو حديثاً مشحوناً بالحكمة. فالمتوقع أن تنشغفوا به و تهيموا في حلاوته، و بدون هذا الحبّ والهيام، سوف لن تقدروا على إدراك كلام هذا المراد والمحبوب. فكل كتاب آخر ـ خاصة إن كان الكتاب قيّماً والكاتب حكمياً كبيراً، رفيع المنزلة ـ سيكون شأنه كذلك؛ فإن تقرؤه باستعجال و من دون تبصّر و تدقيق، فسوف لم تفهموا منه شيئاً. فالقرآن يطلب منّا بأن لا نقرأه من دون تدبرو تريث و دقة، إذ أن القرآن يمتلك أعلىٰ مرتبة و أرفع منزلة في العالم بين باقي الكتب، لأنه قد هبط من أعلىٰ قمة هذا العالم من حيث المعرفة والعلم المطلق و لهذا فإنّ الإنسان عليه أن يتأمل و يتبصّر كلام القرآن الكريم جيداً و لأن عمق الآيات الكريمة و المفاهيم القرآنية، ليس لها حدّ محدود، من هنا فالمتبصّر فيها سيستفيد منها و يستمتع بها حسب

استيعابه، حتىٰ لو كان الشخص، هو النبي(ص) بالذات. فإذا ما تبصّر و تأمل في الآيات سوف يستفيد منها و يستمتع بها، بطبيعة الحال. إنّ النبي الأكرم(ص) والأئمة الطاهرين ـ عليهم السلام ـ كانوا يقرؤون القرآن ببصيرة و دقة دائماً»[1].

«بعض الأفراد من «الخوارج» ـ أُولئك الذين تطرق أَسمائُهم، أَسماعَكم كثيراً في مثل هذه الآيام ـ كانوا يؤدون الوظائف والواجبات الدينية والعبادية و يقرأون القرآن و يقيمون الصلاة بخشوع و تضرع، الى درجة أَنهم أثّروا علىٰ أَصحاب أميرالمؤمنين، الإمام علي عليه السلام، حيث مرّ أَحد أَصحاب الامام(ع) علىٰ خارجيّ ـ إبّان واقعة النهروان ـ فرآه يمارس عباداته و مناسكه في جوف الليل و سمعه يقرأ هذه الآية بصوت حزين و رخيم: «أَمَّن هو قانِتٌ أناء الّليل» (سورة الزمر/الآية رقم ٩)، فاهتاج و انصرف نحو أميرالمؤمنين عليه السلام، إذ أَنّ الشخصيات الذكية و أَصحاب الوعي والمعرفة، من أَصحاب الإمام(ع) المقربين، كانوا هكذا في كثير من الأحيان و فكانوا يرتكبون مثل هذه الأخطاء، و من هذه الزاوية نفهم كلام الامام عليه السلام حيث قال: كان لا يجدر لغيري أَن يقوم ما قمتُ به أَنا في واقعة النهروان لأخماد هذه الفتنة، لأنّ الموقف كان يحتاج الى السيف والوعي والثقة بالنفس والاعتماد عليها والايمان بالطريق الذي انتهجه الامام(ع) إزاء هذا الموضوع في آنٍ واحد، و من هنا نرىٰ بأنّ بعض الخواص أَيضاً كانوا يتعرضون لزلزال عنيف في مواقفهم. قال الامام علي عليه السلام لهذا

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية (حفظه الله) في لقاء خاص بالأخوات، بمناسبة مولد السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ١٣٧٧/٧/١٨ هـ.ش (١٩٩٨/٩/١٠ م)

الصحابي في ذلك الموقف، حسب الرواية المنقولة: سأوضح لك الموضوع غداً، ففي غداة ذلك اليوم و بعد اَن وضعت الحرب اَوزارهـا و لم يـبق مـن الخوارج أحياء اِلاّ اَقلّ من عشرة اَشخاص و قد لاقىٰ البقية حتفهم في ميدان القتال. و اَخذ الامام عليه السلام يمشي بين القتلىٰ ـ حتىٰ تكـون عـبرة و موعظة لأصحابه ـ و بادر بالحديث مع بعضهم، الىٰ اَن وصل الى اَحدهم، اِذ كان منكفئاً علىٰ وجهه، فقال الامام عليه السلام لأحد اَصحابه: اِقلبه على ظهره، فقلبوه على ظهره أو أقعدوه [التشكيك من قبل القـائد (حـفظه الله) حول كيفية النقل في كتب التاريخ]، ثم التفت الامام(ع) الىٰ صاحبه الذي قد شاهد ذلك العارف الزاهد من رجال الخوارج في تـلك اللـيلة و قـد تأثـر بعبادته و تلاوته الحزينة قائلاً: هل تعرف هذا؟ قال: لا يـا أمـيرالمـؤمنين، فقال(ع): إنه نفس الشخص الذي كان يقرأ القرآن البارحة و قد استولىٰ على لبك! [كلام الامام علي (ع) هنالم يكن نصاً بل مضموناً].

اَيُّ تلاوة و قراءة هذه يا ترىٰ؟! و اَي عبادة هذه؟! بل اِنّ هذه الأعمال لهي عين الابتعاد والإنفصال عـن روح العـبادة، فـاذا كـان الإنسـان عـارفاً و متعرفاًعلى روح العبادة والصلاة و القرآن، سيدرك عندها بأن لبّ الاسـلام المجسّد والحقيقة الناصعة والوجود الكامل للإسلام يتجلىٰ فـي شـخصية الامام علي عليه السلام، لهذا سوف لا يتيه الشخص في الشكوك والشبهات و الضلال، بل سيطرد كل هذا من نفسه و روحه و سيلتحق ـ لامحالة ـ بجبهة الامام(ع)، فهذه هي الجهالة العمياء بـالنسبة الى القـرآن الكـريم والديـن الحنيف، و اِلاّ فكيف لا يشخّص الأنسان هذا الموضوع الواضـح النـاصع؟ والأسوء من كل هذا، هو اَن ينخرط في الحرب ضد الأمام علي عليه السلام

و يشهر سيفه عليه و على مبادئه!»[١].

و هناك رواية أُخرىٰ تقول بأنّ الامام علي عليه السلام كان يمشي علىٰ مقربة من أرض واقعة النهروان، فسمع أحد اصحاب الامام(ع) صوتاً حزيناً شجياً لتلاوة القرآن في منتصف الليل و هو يقول: «أَمَّن هو قانتٌ آناء الليل»، فالتفت هذا الصحابي صوب الامام علي عليه السلام و قال له: يا أَميرالمؤمنين! اَتمنىٰ لو كنتُ شعرة في جسم هذا الشخص الذي يتلوا القرآن بهذه الصورة الحزينة؛ لأنه سيذهب الى الجنة و سوف لا يكون له مأوى آخر سوىٰ الفردوس، عندها قال له الامام(ع) (ما مضمونه): لا تحكم عليه بهذه السرعة والسهولة! تمهّل قليلاً.

مرّت الأيام و قد اشتعلت نار الحرب في منطقة نهروان بين على(ع) والخوارج، ففي هذه المواجهة تصدت جماعة الخوارج ـ المتطرفة المتصلبة المستائة، البذيئة اللسان والخائنة المتعصبة ـ لحكومة الامام(ع)، فرفعت السلاح في وجه علي(ع)، فقال لهم الامام(ع) عند ابتداء الحرب: من يترك ساحة الوغىٰ أو اَن يأتي تحت هذا اللواء، فسوف لن اُحاربه، فأقدمت جماعة قليلة منهم على هذا الأمر و وافقت على اقتراح الامام(ع)، في حين اَنّ ما يقارب الـ ٤٠٠٠ شخصاً منهم قد بقوا في الساحة، فاضطر الامام(ع)، لقتل جميع هؤلاء و في المقابل كان عدد الشهداء في جبهة الامام(ع) اَقل من عشرة اَشخاص، في حين اَنّ الذين لم يقتلوا في الحرب من مجموع الـ ٤٠٠٠ اَو ٦٠٠٠ شخصاً من الخوارج، كانوا اَقل من عشرة اَشخاص اَيضاً، والباقي قد قتلوا عن آخرهم!

١- نفس المصدر، ج ٤، ص ١٣٦ و ١٣٧

لقد انتهت الحرب لصالح الامام(ع) والجديد بالذكر أنّ الكثير من القتلىٰ، كانوا من أهالي الكوفة و ضواحيها، فهؤلاء هم الذين كانوا يحاربون الإمام(ع) في خندق واحد مع المقاتلين في واقعتي صفين والجمل، إلاّ أنّ هؤلاء قد أخطأوا في تحليلاتهم و مواقفهم، كان الامام(ع) يمشي مع أصحابه بين القتلىٰ من الطرفين في واقعة النهروان و قد استولىٰ عليه حزن خاص، حيث كان القتلىٰ مطروحين على الأرض، منكبين علىٰ وجوههم، فطلب الامام(ع) من أصحابه أن يقلبوا البعض و يقعدوا البعض الآخر منهم، كانوا ميتين، مع هذا كان الإمام(ع) يتكلم معهم و يتحدث اليهم، ففي هذا الحديث بامكانك أن تستشف حكمة قيمة و اعتباراً عزيزاً من كلام اميرالمؤمنين(ع)، فلمّا وصل الأمام بالقرب من شخص مقتول في الحرب، فقلبه على ظهره و نظر اليه مليّاً والتفت مخاطباً صاحبه الذي كان معه في تلك الليلة و قال له: هل تعرف هذا الشخص؟ قال: لا، يا أميرالمؤمنين! فقال له الامام(ع): إنه الشخص الذي كان يقرأ تلك الآية بشكل حزين، في تلك الليلة و قد تمنيتَ أن تكون شعرة في جسمه!

أجل إنه كان يتلو القرآن بتلك الصورة الحزينة الخلاّبة، لكنه كان يعارض و يحارب الامام علي(ع)، أميرالمؤمنين والقرآن المجسّد في نفس الوقت! مع هذا كلّه فقد قام الامام علي(ع) بمحاربة هؤلاء، فاستأصل جذورهم و أبادهم عن آخرهم و لم يبق منهم إلاّ تلك الشرذمة المنبوذة والمنعزلة عن المجتمع الإسلامي، لم تكن الظروف مؤآتية، حتىٰ يتمكن هؤلاء من الإستيلاء على الأمور، في حين أنهم كانوا يهدفون الى طموحات كبيرة

تفوق هذه المواضيع»[١].

«عليكم أن تعرفوا الخوارج جيداً، هؤلاء الذين كانوا يتمسكون بالدين بصورة عرضية و ظاهرية و كانوا يتشبثون بالآيات القرآنية، و يقومون بحفظ القرآن الكريم لأنهم كانوا يؤمنون ببعض الأمور الدينية، حسب الظاهر، في حين أنهم كانوا يعارضون لبّ و أساس الدين و يتشدّدون لعقائدهم و أفكارهم، و يزعمون انتهاج سبيل الله، إلاّ أنهم كانوا من عبيد الشيطان، المطعين له، فهل لاحظتم كيف أنّ المنافقين [المقصود بهؤلاء، أعضاء منظمة «مجاهدي خلق» الإرهابية] كانوا يتشدقون و يدّعون الإيمان والجهاد في سبيل الله، لكنهم عند اقتضاء الظروف الحرجة والحاجة الماسة مرقوا عن خط الامام الخمينى(ره)، و تعاونوا و تعاملوا مع الأمريكان و الصهاينة ونظام صدّام و مع أي طرف آخر للقيام بخدمته، من أجل محاربة الثورة الإسلامية والإمام(ره) و نظام الجمهورية الإسلامية! حيث أنّ الخوارج أيضاً كانوا هكذا، و لهذا فقد تصدىٰ الإمام علي(ع) لهم بشكل قاطع، فهو الأمام الذي كان يجسّد روح هذه الآية المباركة: «أشدّاء على الكفّار، رحماء بينهم»[٢].

«فاذا ما استيقظنا و وعينا و لم نرتكب الأخطاء الجسيمة، فليس بإمكان العدو أن يفعل شيئاً، لهذا فإنّ الخطأ والغفلة والتقصير الذي نرتكبه نحن، سيشكّل دعماً كبيراً و سبباً هاماً في نجاح مخططات الأعداء.

دعوني أُراجع التاريخ لأعرض لكم نموذجيْن من التاريخ، حتىٰ يمكن

١- نفس المصدر، ج ٧، ص ٥٠ و ٥١

٢- من خطبتي صلاة الجمعة لقائد الثورة المعظم بطهران، ١٣٧٥/١١/١٢ هـ.ش (١٩٩٦/٢/١ م)

لكم اَن تُدركوا جيداً، كيف اَنّ هذه المفاهيم المشتبهة والمـزدوجة المـعنىٰ تستطيع اَن تجعل المجتمع متفرقاً و متجزءً:

النموذج الأول يتعلق بواقعة «صفين»، فعندما تمكّن جيش الإمـام(ع) من الاستيلاء علىٰ معاوية، سارع الأعداء الى رفع المصاحف فوق الرماح و ما اَن شاهد اَصـحاب عـلي(ع) القـرآنـين مـرفوعة، دبّت الفـرقة و ظـهر الإختلاف بينهم؛ لأنّ هذا الإجراء كان يعنى اَنّ القرآن سيكون حَكَماً بيننا و بينكم، فأصاب بعض الأصحاب الزلزال و قـالوا لا يـصّح مـحاربة القـرآن الكريم! لكنّ البعض الآخر قالوا بأن اَساس الوقوف والتصدي لهـؤلاء هـو اَنهم يحاربون و يعارضون القرآن الكريم؛ في حين اَنهم جاءوا بجلود القرآن و صورته الشكلية الظاهرية، في حين اَنهم يمارسون حربهم مع روح القرآن، الإمام علي(ع)، أميرالمؤمنين، على أي حال فقد وقـعت الفـرقة و حـصل الإنشطار والشرخ في جيش الأمام(ع) و اَصابتهم هزّة عنيفة و كان ذلك من مخططات و مؤامرات العدو.

والنموذج الآخر، قد حدث في نفس الحرب (صفين)، بـعد أن فـرضوا قضية التحكيم على الإمام عـلي(ع)، قـامت طـائفة مـن داخـل مـعسكر الإمام(ره)، حيث كانوا من الأصدقاء و الأحباب و لم يكونوا من الأعداء و الأجانب، فأطلقت شعار: «لا حكم اِلاّ لله»؛ اَي لا حكم و لا حكومة اِلاّ لله. اَجل، هو كذلك والقرآن الكريم اَيضاً يشير الى هذا المعنىٰ بأن «لا حكم اِلاّ لله»؛ لكن هؤلاء، مـاذا اَرادوا مـن شـعارهم هـذا؟ اِنـهم اَرادوا أن يـخلعوا اَميرالمؤمنين(ع) عن الحكومة بواسطة هذا الشعار، لكنّ الإمام(ع) قد فضح مخططهم و كشف مؤامرتهم و قال: اَجل إنّ الحكم والحكومة لله عزّوعلا، إلاّ

أَنّ هؤلاء لا يريدون ذلك؛ بل عقيدة هؤلاء هي أَن يقولوا: «لا إِمرة إِلاّ لله» و كان زعمهم هو أَن لابد لله أَن يتجسّد ـ العياذ بالله ـ ثم يقوم بـادارة أُمـور و شؤون المجتمع؛ أَي أَن يستقيل و يتنحىٰ علياً(ع) عن الحكومة! فهذا الشعار أدّىٰ الى خروج جماعة من المسلمين عن معسكر الإمـام(ره)، والتـحاقهم بتلك الجماعة الشقية الجاهلة الغافلة والسطحية الساذجة و السيئة القـصد والسريرة أحياناً و انتهت المسألة بظهور فرقة الخوارج»[١].

كان الحجاج [ابن يوسف الثقفي] رجـلاً فـصيحاً و مـن بُـلغاء العـرب والخطب التي كان يلقيها من على المنبر، تعتبر خطباً فصيحة و بليغة فـذّة، حيث أَنّ الجاحظ قد نقلها و جاء بها في كتابه «البيان والتبيين» و كان فـي نفس الوقت حافظاً للقرآن، لكنه كان رجلاً لعيناً خـبيثاً، يـعادي العـدل و يعارض أَهل بيت النبي الاكرم و آل الرسول(ص)، فلقد كان عنصراً عجيباً و كائناً معقداً للغاية.

لقد جئ بأحد هؤلاء الخوارج الى الحجاج، و قد اطّلع على أَنه يـحفظ القرآن، فقال له: «أَجمعتَ القرآن؟» و كان يقصد هـل جـمعتَ القـرآن فـي ذاكرتك؟ أَي هل حفظتَ القرآن؟ دقّقوا في الأجوبة الاستنكافية والحـادّة لهذا الخارجي، عندها ستنكشف لكم طبيعة هؤلاء، أَجـاب: «أَمُـفرقاً كـان فأجمعه؟!» بطبيعة الحال كان يفهم ما يقصد الحجاج، إِلاّ أَنه أَراد أَن لا يجيبه. صحيح أَنّ الحجاج كان رجلاً سفاكاً قاسياً، إِلاّ أَنه اتخذ جانب الحلم والصبر هنا، فقال: «أَفتحفظه؟» فأجاب الخارجي: «أَخشيتُ فراره فأحفظه!»، إِنـه

١- نقلاً عن خطبتي صلاة الجمعة بطهران، لقائد الثورة الاسلامية، ١٣٧٩/١/٢٦ هـ.ش (٢٠٠٠/٣/١٥م)

جواب غير لائق، يبعث على الإستياء والغضب! لاحظَ الحـجاج بأنّ هـذا الخارجي لا ينوي الإجابة على أسـئلته، فسأله أخـيراً: «مـاذا تـقول فـي اَميرالمؤمنين! الخليفة عبدالملك؟» ـ و قد كان عبدالملك‌بن مروان، رجـلاً شريراً، خليفة الأمويين، فقال الخارجي: «لعنه الله و لعنك معه!» اُنظروا كيف كانوا يصرحون بأفكارهم بوضوح و عنف، فقال له الحجاج بدم بارد: ستُقتل اَنت؛ قل لي كيف ستلاقي الله؟ اَجاب: «سألقىٰ الله بعملي و تلقاه اَنت بدمي!» اُنظروا كيف كان العناد واللجاج؟ و من هنا نفهم بأن التصدي لهذه الجماعة لم يكن بالأمر اليسير، و لكن بطبيعة الحـال، فـإنّ النـاس العـاديين سـيظلّوا معجبين بمثل هذه الشخصيات، بعد الألتقاء بهم، إذ اَنّ السُّذج مـن النـاس، الذين لم يكسبوا اليقظة والبصيرة، عندما يشاهدون شخصية كهذه، يذوبون فيها و قد حصل هذا حـقاً فـي زمـن الأمـام عـلي، أمـيرالمـؤمنين عـليه السلام»[١].

«اِنّ ما يذكّرني بكم دوماً ـ اَيها القرّاء الأعزاء ـ و هو مهم جداً بالنسبة لي، هو اَنكم تقدرون اَن تُلفتوا اَنظار المستمعين الى مـغزىٰ و مـضمون القـرآن الكريم، فتلعبون الدور الأساس في هذا المضمار، في الحقيقة اِنّ مايحتاج اليه الناس الآن بالنسبة للقرآن الكريم هو الوقت حتىٰ يفهموه و يُدركوه، و هذا سيأتي بايحاء و اِلقاء منكم. كم هو مـطلوب و جـدير اَن تـتلىٰ بـعض الآيات الكريمة كثيراً حيث اَنها تناسب أوضاع المسلمين في الوقت الراهن. بطبيعة الحال، الناس بحاجة الى جميع آيات القرآن الكريم، لكـن البـعض منها اليوم لابد اَن تحظىٰ باهتمام بالغ و عناية دائمة لدىٰ الناس: بـالأتكال

١- نفس المصدر، ج ٧، ص ٤٩ و ٥٠

على الله و عدم الخوف من أعداء الله والجهاد في سبيله و عقد الأمل على الفضل والعون الالهيّ و خاصة قضية وحدة المسلمين، إذ أنّ الآيات القرآنية الكريمة ـ و لله الحمد ـ تشمل على مضامين كثيرة، فاذا ما تلوتم تلك الآيات في المجالس والاجتماعات سينتهي الأمر الى التقرب من هذه المضامين والمعاني القرآنية، و بهذا يكون قد قدّمتم خدمة كبيرة جداً، وإذا ما قرأتم آية واحدة بصورة جيدة، فستكون أكثر قيمة و أكثر وقعاً ـ في بعض الأحيان ـ من إلقاء خطاب من قبل شخص، وقف يتحدث ساعة كاملة حول نفس الآية، أي أنّ هذه التلاوة تحدث ـ في الواقع ـ ثورة في الروح، فشكر النعمة، هي أنّ الإنسان يستغلّ و يستثمر تلك النعمة في مكانها و محلها المناسب والشكر علىٰ هذا الصوت الجميل و هذا النَفَس القوي والتعرف على رموز التلاوة المناسبة، هو أداء الواجب و عرفان الجميل كما قلتُ»[1].

«صحيح أنّ جميع الآيات القرآنية الكريمة نور، لكنّ شبابنا اليوم بحاجة ماسة جداً الى قسم محدد من الآيات، تلك التي تشير و تهدي الى العزة الاسلامية و اعتلاء المجتمعات الإسلامية والوحدة العملية بين الأوساط والشعوب الاسلامية في كل العالم، فشبابنا المسلم، في جميع أرجاء العالم الإسلامي، عليهم أن يمارسوا و يحفظوا مثل هذه الآيات و يأخذوا منها الدروس و العبر اللازمة في الحياة، حتىٰ أني قلتُ ذات مرّة، لأئمة الجماعات في مساجد بعض الدول العربية والإسلامية، الذين كانوا يختارون آيات خاصة في صلواتهم اليومية، فاقترحتُ عليهم بأن يختاروا الآيات القرآنية التي بإمكانها أن تؤثر في مصير و مستقبل الشعوب

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ٣٠٨ و ٣٠٩

الإسلامية بشكل خاص.

بطبيعة الحال، نحن نطلب من الناس اَن يقرؤوا و يتعلّموا جميع الآيات القرآنية و نحن واثقون من اَنهم سيتعلّمونها لامحالة. لكنني اُريد أن اُؤكد بأنّ هناك بعض المفاهيم القرآنية التي حال الإستعمار دون تعرف المسلمين عليها و قد أبعدها الأعداء عن متناول يد الجماهير المسلمة في العالم، أجل إنهم أبعدونا عن الجهاد و عن الآيات التي تشدد علىٰ عدم استيلاء الكفّار على المسلمين و تؤكد على وحدة و تضامن المسلمين مع بعض، فهذه الآيات التي تُليت الآن مثلاً: «و ما اَرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله» (سورة النساء/الآية رقم ٦٤) و كذلك الآيات التي تشير في مفاهيمها و معانيها الىٰ السيادة العلمية للإسلام علىٰ وجه الأرض و ذلك لإدارة شؤون المجتمعات. فمن واجب جميع المسلمين اَن يتعلّموا و يمارسوا هذه الآيات بصورة تطبيقية»[١].

«الموضوع الهام جداً، هو اَنّ استخدام و توظيف الفن ـ كباقي الآليات التي تحمل نظرية و فكرة هادفة ـ لابد اَن يكون الاستهداف فيه دقيق و واضح و صحيح للغاية، بعيداً عن التخبط في المسيرة المستقبلية، لأنه سينحرف عن سواء السبيل. اَجل كان النبي(ص) يستفيد من جميع هذه الآليات والأمكانات، حتىٰ آلية الفن لنقل هذه الفكرة ـ التي تعقبونها، اَنتم الآن ـ و ذلك في أجمل ثوب و اَفخر حلّة ممكنة، اَلا و هو القرآن الكريم.

والحقيقة أنّ القرآن يحمل بين طياته قابليات فنية ضخمة و جماليات هائلة، لا يمكن لنا اَن نتصورها، فمثلاً لو قمتم بالتدقيق في كل القرآن؛ من

١ـ نفس المصدر، ج ٧، ص ١٤١

أَوله الىٰ آخره و كذلك في أَحاديث الرسول الأكرم(ص)، عندها ستلاحظون بأنّ مقولة التوحيد والصراع مع الشرك والوثنية والشيطان ـ كرمز للشرّ الشقاء والخبث ـ تتواجد في جميع أَقسام القرآن بوفرة و ثراء و كذلك ستلاحظون العزم على السعي والعمل من دون كلل و حبّ الناس و تكريم الإنسان والإنسانية، يسيطر على الموقف في أَغلبية الآيات، و بعبارة أُخرىٰ فإنّ المبادئ والأصول الإسلامية و جميع الموضوعات التي تشكّل أَساس و دعامة الثورة، موجودة بغزارة و سخاء في كل القرآن الكريم، و كذلك فهي تتواجد في الأدب العربي إبان صدر الإسلام و كذلك في الأدب الإسلامي الملتزم الصحيح علىٰ مرّ العصور؛ و هكذا الروايات التي وصلتنا من الأئمة المعصومين عليهم السلام و ماهو موجود بين دفتي كتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام»[١].

الحقيقة أنّ الإمام علي عليه السلام، فنّان فذّ و عبقري كبير و كذلك النبي الأكرم(ص) فنّان نابغة. والقرآن ليس إلاّ أثراً فنياً يفوق الطاقات البشرية، بل هو كتاب ربّاني، والاسلام أول ما بدأ به هو الفن، فان كان الاسلام لا يمتلك القرآن؛ هذه التحفة اللّغوية الفنية الفريدة، لعلّ الأمور كانت تتعثر في بعض الجهات.

إن الله عزوجل لم يأتِ بشيءٍ من دون حكمة و مصلحة، حيث كانت هناك حكمة بالغة لعرض هذه المفاهيم والمعاني الالهية على الناس، و ذلك عن طريق هذا الفن العملاق والمؤثر، حيث أَنه قد مرّ على نزوله أَكثر من ١٤٠٠ سنة، في حين أَنه ما زال يدفع الناس الى النهوض و الثورة، و هو يعتبر أَحسن

١- نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٤ و ٣١٥

آلية تملكونها ـ أنـتم الآن ـ لبثّ روح الحـياة والحـركة فـي المـجتمعات الإسلامية، أي الآيات القرآنية، و هي أفضل آلية تمتلكونها في هذا الصدد و هذا شيئ عجيب للغاية؛ إذ أنّ القرآن لم يتأثر بالقِدَم و غبرة الزمان و سوف لا يطرأ عليه شيئ من صدأ الأيام و السنين، و من هذا المنطلق فـبإمكانكم أن تحملوا هذا السلاح الصالح و الآلية المؤثرة أينما كنتم، و ذلك لتزكية النفس والمضي في طريق الجهاد والمثابرة»[١]

١- نفس المصدر، ج ٨، ص ١٢٧

الفصل السابع

مخطّطات الأعداء لفصل الشعوب الإسلامية عن القرآن

«لقد اَشرتُ الى هذه النقطة في كتاب «دور المسلمين في حركة التحرير بالهند»، حيث قال أحد الأُمراء؛ من اَولياء العهد في الهند، في عام ١٩٤٧ م؛ اَي قبل استقلال الهند و في بداية دخول القوت البريطانية الىٰ الهند و بعد عهد شركة الهند الشرقية، حيث كانوا يخططون للاستيلاء على الحكومة الهندية؛ قال هذا الأمير و ولي العهد بالهند آنذاك: إنّ مشكلتنا الأساسية الآن، تتمحور في قضية المسلمين و الهدف الاستراتيجي الذي نصبو اليه هو تدمير و إبادة هؤلاء!، ثم اَنكم تذكرون كلام «غلادستون» المعروف و قد طرق سمعكم قطعاً، لمّا قال: لابد من إزالة و إبادة هذا القرآن، إذ اَنّ المستعمرين كانت لديهم نفس الحساسية والإحساس بالنسبة للإسلام منذ سالف الزمن و قد حصل هذا الشعور نتيجة ما شاهدوه من الإسلام.

لقد مرّت فترة ليست بالطويلة بعد اَحداث «نهضة التُنباك»[1] و قضايا

١- لمّا سافر «ناصرالدين شاه»؛ الملك القاجاري برفقة «أمين السلطان» في رحلته الثالثة الىٰ إنجلترا، إحتاج هناك الىٰ بعض المال و لهذا صمّمَ رجال السياسة البريطانيين ⇦

اُخرىٰ في الهند و اَفغانستان و ايران و مصر و باقي البلدان، بحيث ظلّ الإستكبار والإستعمار العالمي غافلاً عن قوة الإسلام لهذا لم تظهر مثل تلك الحساسيات السابقة بالنسبة للإسلام، والسبب في ذلك هو اَنهم لم يلاحظوا

⇦ أن يمنحوا الشاه سلفة مالية، ليحصلوا مقابل ذلك علىٰ النقاط الايجابية و الأمتيازات الخاصة لصالحهم.
لهذا كلّف «ماجور تالبوت» ـ الذي كان مستشاراً و مقرّباً من «ساليسبوري»؛ رئيس‌الوزراء البريطاني ـ بمهمة الحصول علىٰ امتياز التبغ و التُنباك و تعقيباً لهذه المهمة، بادر «تالبوت» لتأسيس شركة «جري» المعروفة و في عام ١٨٩٠م (المصادف لـ١٣٠٧ هـ.ق و ١٢٦٧ هـ. ش) تمّ التوقيع علىٰ الاتفاقية بين شاه ايران و الحكومة البريطانية، هذا نصّها:
«لقد سلّمنا عملية البيع و الشراء و الأنتاج للتبغ و التنباك الأيراني في داخل ايران و خارجه، حصريّاً لشركة «ماجور تالبوت» و شركاءه، لمدة خمسين سنة، من تاريخ توقيع هذه الأتفاقية. شاه ايران [ناصرالدين شاه القاجاري]
كان حق الأمتياز في هذه الأتفاقية هو ١٥٠٠٠ ليرة استرلينية سنوياً و لمدة خمسين سنة، إذ لا يحقُّ لأي أحد أن يقوم بأي تعامل تجاري بشأن التبغ و التنباك و ما يُشتق عنهما من دون إذن و تصريح من شركة «جري» و مؤسسها «ماجور تالبوت».
لهذا اَصدر آية‌الله العظمىٰ؛ الحاج ميرزا محمدحسن الشيرازي؛ المعروف بـ«ميرزا شيرازي الكبير» / المتوفي في سنة ١٣١٢ هـ. ق / (المرجع الديني الكبير للشيعة آنذاك) حيث كان يسكن في مدينة سامراء (العراق)، اَصدر فتواه الشهيرة في النصف الأول من شهر جمادي الأولىٰ عام ١٣٠٩ هـ. ق (الشهر التاسع لعام ١٢٧٠ هـ. ش ـ ١٨٩١ ميلادى) بشأن قضية التنباك، هذا نصّها:
«بسم الله الرحمن الرحيم، إستعمال التُنباك والتبغ ـ بأي شكل من الأشكال ـ مُحرّم اليوم و يعتبر كمحاربة إمام العصر [الحجة‌بن الحسن العسكري] صلوات الله و سلامه عليه».
بعد إصدار هذه الفتوىٰ من قبل آية‌الله العظمىٰ الشيرازي الكبير و تشديد معارضة العلماء الكبار في ايران، اُرغم «ناصرالدين شاه» علىٰ إنهاء و إلغاء الأتفاقية المذكورة مع المستعمرين الأنجليز.

ـ منذ فترة لا يُستهان بها ـ حركة أَو نهضة من جانب الإسلام، و من هنا أُصيبوا بالغفلة والإيهام. في حين بعد مضي عدة عقود علىٰ هذه الحالة، انتصرت ثورتنا و بهذا فقد مُنيت جميع المعلومات والمعارف الإستعمارية ـ التي جمعوها و اكتنزوها طوال سنين متمادية ـ بالفشل والإحباط والفوضىٰ والبعثرة الفكرية، لأنهم ـ و علىٰ حين غرّة ـ شعروا بأنّ الإسلام قد نزل الى الساحة بصلاية و بنفس هيئته و هيبته المعهودة التي طالما كانوا يخافون منها، حيث برز بقوة هائلة و تصميم عملاق»[١].

«لابد من شجب و تنديد المخططات والمؤامرات الإستعمارية القديمة و الجديدة التي يروّج لها أَعدائنا حول فصل الدين عن السياسة و ذلك بهدف فرض العزلة على الإسلام والقرآن و لابد من جعل حضور الدين في جميع المجتمعات الإسلامية لمواجهة السياسات الإستعمارية والإستكبارية ليكون ذلك درساً عاماً لجميع الشعوب الإسلامية في مجال التصدي لمثل هذه المخططات التآمرية»[٢].

لاحظوا كيف أَنّ الحكومة التي ترتكز على أَساس القرآن، قد ظهرت في ايران و إدارة الأُمور فيها تعتمد على دستور قرآني و القوانين فيها، تقارن دوماً مع الشريعة الإسلامية بدون استثناء و إِدارة المجتمع بيد رجال الدين والعلماء، ثم إِنها تقوم بالكفاح والمقاومة والإعمار علىٰ هذا النمط، و تتحدىٰ الإستكبار العالمي، حيث كانت تواجه و تصارع في يوم ما المعسكر الشرقي والغربي معاً، فتركت ورائها ثمان سنوات خاليات من الحرب المفروضة، لهذا فالأعلان عن وجود مثل هذه الدولة بإمكانه أَن يُرعب

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ٥٠ و ٥١ ٢-نفس المصدر، ج ٥، ص ١٧

الاستكبار في العالم و من هنا ندرك الأسباب التي تدعو الأعداء الى مثل هذه المواقف والمواجهات العنيفة والتآمرية ضد الثورة الإسلامية»[١].

«لقد لاحظتم و لا زلتم تلاحظون بأنّ الأعداء يقذفون بالتهم الواهية ضدنا حول حقوق الإنسان و انتهاك حقوق الإنسان و معارضة حقوق الإنسان واللجوء الى الإغتيالات والإرهاب و ما شاكل ذلك من التهم الزائفة التي ينشرونها ليل نهار، هنا و هناك بصورة مستمرة، فكل هذه المساعي الخبيثة والعداء المستميت لم يحصل إلّا لسبب واحد، ألا و هو إثبات هذه التهم الباطلة ضدنا! في حين أنهم يعرفون ـ قبل غيرهم ـ بأنّ هذه التهم ليست إلاّ أقاويل كاذبة و أباطيل مزيّفة و كل هذا يُحاك لفصل الرأي العام العالمي عن نظام الجمهورية الإسلامية، و إحداث الشرخ والفرقة بين المسلمين و كل هذه المحاولات تقام ضدنا، بغية ألاّ يحصل أي نوع من الجاذبية والأنجذاب بين هذا الصرح الرفيع للإسلام والقرآن (في ايران) و بين المجتمعات الإسلامية الأخرىٰ، في كل أرجاء العالم، لكن الله عزوجل قد أحبط أعمالهم و أفشل كيدهم: «إنّهم يكيدون كيداً و أكيدُ كيداً»، ثم إنهم: «و مكروا و مكر الله»، ففي طوال هذه السنين الماضية، تصدىٰ لهم الله عزوجل و أحبط كل مخطط قاموا به، و على أي حال فإن العدو يقوم بعرقلة مسيرتنا المباركة و يضع أمامنا العراقيل و الموانع و يخلق لنا الأزمات والمشاكل، و هو يواجه في بعض الأحيان الخجل والفشل و الخزي والفضيحة، لكنه لايتوانىٰ عن فعلته النكراء، فعلىٰ ضوء هذا الصراع ينبغي

١- كلمة القائد (حفظه الله) في اجتماع أئمة الجمعة في البلاد، ١٣٧٤/٦/٢٠ هـ.ش، (١٩٩٥/٩/٩م)

للمسلمين أَن يتّحدوا و من هنا يمكن إِدراك المعنىٰ الحقيقي للوفاق الإسلامي والتضامن الشعبي بين المسلمين.

أُنظروا كم هي مهمة و حسّاسة هذه القضية، وتأملوا كيف أَنّ هذه المسألة حاسمة و مصيرية بالنسبة لمستقبل العالم الإسلامي، و لم تكن بالسهلة و البسيطة الىٰ درجة يمكن التغاضي أَو التغافل عنها، فالكل يجب أَن يعتبر هذا الكلام مخاطِباً له. فأنا أقول للجميع؛ لأُهل السنّة و الشيعة أَيضاً و كذلك للكتّاب والشعراء و جميع الذين يعملون في مجال الطباعة والنشر و لكل الذين لديهم قاعدة شعبية والذين يجيدون الكلام والخطاب و لديهم الكثير من المستمعين. فالجميع لابد أَن يدركوا هذه الحقيقة و يتعرفوا على العدو أَكثر فأكثر، و أُخاطبهم أَن يكونوا على حذر و يقظة تامة، لئلا يتوغل العدو الى خنادقهم، فكونوا على حذر حتىٰ لا تُرغَموا علىٰ مهاجمة الأصدقاء بدل الأعداء، كونوا على علم و اطّلاع بأوضاع الزمان؛ أَي أَنكم لابد أَن تعرفوا و تميزوا العدو من الصديق و ساحة المعركة، فهذه أَشياء مهمة جداً»[١].

«منذ سنين طويلة، كانت هناك حرب بلاهودة و ذلك للحيلولة دون رواج و انتشار القرآن في بلادنا، فتصوروا بأنهم قد أَنجزوا نجاحاً في أَن يجعلوا القرآن مهجوراً و منسيّاً، منذ سنين، ثم قامت الحكومات البائدة في ايران على شطب و إزالة درس القرآن من المراكز التعليمية و من ثم قاموا بتقليص تلاوة القرآن الكريم من برامج الإذاعة والتلفزيون، فمن الذي قام بهذه الأعمال الدنيئة يا ترىٰ؟! أَجل إنّ الذين قد استولوا على حكم البلاد،

١- كلمة القائد المعظم (حفظه الله) مع ضيوف مؤتمر الوحدة الاسلامية، بطهران، ١٣٧٦/٥/١ هـ. ش (١٩٩٧/٧/٢٣ م).

عن طريق قهر و قوة الأجانب، هم الذين قاموا بـهذه الأعـمال؛ أي النـظام الملكي البهلوي الفاسد والمـجرم، والمشـحون بـالدنس والنـجس و كـان هدفهم هو أن يقدموا البلاد، بكل مصادره الإنسانية و منابعه المادية، طواعية الى القوىٰ السلطوية العالمية؛ فهم الذين كـانوا يـخططون و يـنفذون هـذه الأعمال، حيث أنهم كانوا على علم بأنّ التعاليم والأفكار القرآنية والتـربية الاسلامية لاتسمح للخونة أن يواصلوا أعمالهم الإجرامية دون عـراقـيل و مشاكل، فمن هذا المنطلق قاموا بمكافحة و معارضة القرآن الكريم»[١].

«إنّ العداوة الشاملة و المعارضة الواسعة و الدسـائس المـبرمجة ضـد الإسلام، يعود تاريخها الى بداية ظهور الإستعمار، حيث أنّ المستعمرين في القرون الأخيرة اتخذوا من الدول الإسلامية مسرحاً للنهب والسلب والقتل والعدوان و كانوا ينظرون الى الإسلام كسدّ منيع يـحول دون إثـارة الفـتن والمشاغبات. و من هـنا اسـتُهدف الإسـلام و أصـبح عـرضة للـحملات السياسية والثقافية الشرسة و باشروا بتنفيذ مخططهم الشيطاني بشأن فصل المسلمين عن القرآن والإسلام، بالطرق الخادعة و الدسائس الماكرة و من ضمنها: ترويج و إشاعة الفساد والإبتذال والفحشاء، و لكن بـعد أنْ أشـعل بركان الثورة الإسلامية النارَ في بيادر آمال و أطماع المستعمرين و أدخل نور التفائل والأمل في قلوب المسلمين و ظلّ يبشّر بحياة جديدة للإسلام في العالم، عندها هاجمت القوىٰ الإستكبارية قلاع الاسلام بشكل شامل و مباغت و عشوائي و بطبيعة الحال، لم يكن أحد يتوقع غير هذا الذي قاموا به

١- في لقاء قائد الثورة الاسلامية المعظّم مع جماعة من حفّاظ القرآن الكريم والقـرّاء من الشباب والناشئة في البلاد ١٣٨٠/٦/٢٨ هـ.ش (٢٠٠١/٩/١٩ م)

و مما لا شك فيه أنّ السنن الالهية سوف تتحقق، بشأن إندحارهم و خزيهم ـ إن شاء الله ـ لأن القرآن يقول: «ولا يزال الذين كفروا تُصيبهم بما صنعوا قارعة» (سورة الرعد/الآية رقم ٣١)، شريطة أن يكون المؤمنون عارفون و ملتزمون بوظائفهم و واجباتهم حيال هذه المؤامرات و لا يغفلوا عنها طرفة عين أبداً»[١]

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ١، ص ٢٢٣

الفصل الثامن

مسؤولية قطاعات الشعب المختلفة في ترويج و إشاعة القرآن الكريم و ثقافته

١ ـ رجال الدولة و مؤسسات نظام الجمهورية الاسلامية:

«إذ ما تمّ التركيز على تعليم القرآن الكريم في المدارس، من خلال المناهج الدراسية و في سنوات الطفولة والصباوة والشباب، فسيكون هناك أمل أن يؤدي ذلك الى إنجاز كبير؛ فمثلاً في مجال حفظ القرآن الكريم، إذا ما تم إجراء ذلك عن طريق إعطاء نقاط ايجابية كمكافئة لأخذ الدرجات والعلامات الايجابية و ما شاكل ذلك و بهذا الأسلوب قد نتمكن من تنمية هذا الجيل الناشئ في المدارس، و بطبيعة الحال من الأفضل أن يكون حفظ القرآن، من غير برنامج خاص أو منهج مكتوب، لأنّ هناك دروساً تزيد على ساعات المنهج الدراسي الاعتيادي و لهذا قد يولّد برنامج حفظ القرآن ـ إذا ما طُرح بشكل درس مبرمج على قائمة دروس المنهج الدارسي ـ مشاكل عديدة للطلبة و لكم أيضاً [المعنيين بأمر تدريس القرآن الكريم في وزارة التربية والتعليم]»[1].

---

١ - نفس المصدر، ج ٣، ص ٣٢٨ و ٣٢٩

٢ ـ علماء الحوزات العلمية و رجال الدين وأهل التبليغ

«لازلنا بعيدين عن المجتمع الإسلامي الحقيقي الخالص الذي يضمن سعادة الدنيا والآخرة للناس بشكل شاملٍ و كامل و ذلك لاجتثاث و استئصال الفساد والانحراف والظلم والانحطاط، بل اَنّ هناك بوناً شاسعاً بيننا و بين ذلك المجتمع المثالي، و من اَجل اَن نقطع هذه المسافة و نسدّ هذه الثغرة، فنحن بحاجة الى عزم قاطع و تصميم جازم من قبل الشعب و جهد و جدّ دؤوب من قبل المسؤولين و تحقيق ذاك لايتيسر اِلاّ عن طريق تعميم قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلابد للمساجد والجوامع كقواعد روحية للتزكية والإهتداء الى الطريق المستقيم، اَن تكون اَكثر ازدهاراً و حرارة يوماً عن يوم، ثم اَنّ ظاهرة الإيمان والعمل الصالح والأخلاق الإسلامية النبيلة، لابد اَن تعمّ كل اَرجاء المجتمع كالمراكز والدوائر الحكومية والجامعات و تشجع الجميع لاتّباع التعاليم النورانية للقرآن الكريم و بهذا يحتلّ كتاب الله، مكانته الحقيقية بين الناس ثم تصبح قضية تعلّمه والتدبر والتدقيق فيه اَمراً رائجاً و شائعاً للجميع، خاصة للشباب والناشئة، ففي هذا المجال بالذات تكون مسؤولية العلماء والمطّلعين والكتّاب والخطباء واَجهزة الإعلام العامة كبيرة و خطيرة للغاية»[١].

«السبب الوحيد والعامل الفريد الذي بإمكانه اَن يُنقذ البشرية، والساعد القوي و العملاق الذي سيقوم بالاعجاز في المجتمعات ليخلّص الإنسانية، هو الإسلام الحقيقي الخالص والقرآن الكريم والأحكام السماوية، إذ اَنّ البشرية الآن ـ في الحقيقة ـ تتخبّط بين الحرج والشقاء، و اَن اَغلبية الشعوب

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ٣٢٩

في العالم قد اغتُصبت حقوقها والقسم الأعظم من طيبات و خيرات الأرض، مستأثرة من قبل الخبثاء والظالمين والعدل مفقود على وجه البسيطة، والأسوء من كل ذلك هو عدم إجراء و تطبيق العدالة والمساواة، و عدم وجود إدراك و شعور بافتقاد العدالة والأهم من كل هذا هو أنه لا يوجد أحد في العالم يعرف هذا المنقذ للإنسانية التعيسة التائهة ـ ألا و هو الإسلام والقرآن والأحكام الإلهية ـ حيث أن الإسلام، حسب ما يُستنبط من وجهة نظر القرآن الكريم و حسب الإلزام والتحليل التاريخي، لابد أن يكون المنقذ للشعوب من الضلال والشقاء»[١].

«الواجب والمسؤولية الرئيسية لرجال الدين، هو هداية الناس نحو الأهداف التي رسمها القرآن الكريم و كذلك الأنبياء(ع) طوال تاريخ النبوة، والآلية المؤثرة التي كانوا يستفيدون منها هي الإنذار: «لتكونَ للعالمين نذيراً» (سورة الفرقان/الآية رقم ١) و كذلك «أن أنذر قومك» سورة نوح/الآية رقم ١) و هكذا: «أنذرهم يوم الحسرة» (سورة مريم/الآية رقم ٣٩)؛ أجل إنّه الإنذار والتخويف، و نحن ـ رجال الدين ـ الآن في موقف الشخص الذي يريد الحفاظ على التراث الراقي والفخيم لعلماء الدين طوال الألفيّة الماضية، ثم يقوم بمواصلة هداية الناس و لهذا عليه أن يسعىٰ لتقليب القلوب و تنوير الأفكار و تقويم المسارات و تهذيب وجهات النظر و تطهير الأعمال و تبديل الضمائر والنفوس في الناس و دفعهم الى الإيمان الحقيقي و الأتصاف بالأخلاق الإسلامية السامية، فهذه هي مسؤوليتنا الأساسية و هذا هو الإنذار و سيتحقق هذا الهدف السامي الكبير، عن طريق الإنذار إن

١- نفس المصدر، ج ٥، ص ٢٨٧

شاءالله.

و إذا ما تبدّل الناس، فستتبدل الدنيا و اذا ما حصل هذا التغيير العظيم للجماهير، فستبقىٰ هذه الحركة والنهضة خالدة و مستمرة الى الأبد و إنْ تخلّقوا الناس بالأخلاق الإسلامية والقرآنية، عندها ستتحقق جميع الوعود القرآنية بصدد هذا المنهج القويم و تتواصل هذه الحركة والنهضة الإلهية حتىٰ تصل الى اَهدافها النهائية و طموحاتها الغائية. فكيف و بماذا يمكن تحقيق ذلك يا تُرىٰ؟! اَجل يمكن تحقيق ذلك باُناس مؤمنين»[١].

«علينا اَن لا نسمح للذين لا يعرفون شيئاً عن الاسلام ـ بل هم اَعداء اَلدّاء له ـ اَن يتشدقوا بأقاويل لاطائل منها في مجال الحلال والحرام في دين الله والقيام بتفسير القرآن و تحريف و تأويل المبادئ الإسلامية، حسب رغباتهم الدنيوية و مصالحهم الخاصة، على نقيض مسيرة الاسلام العظيمة والقرآن الكريم، فاذا ما قمنا بهذه المهمة بأحسن ما ينبغي ـ و سنقوم بذلك إن شاءالله و إذا ما تصدّينا لهؤلاء ـ عندها سيرفرف عَلَم الاسلام العزيز، لأنقاذ و تخليص البشرية في اَرجاء واسعة و كبيرة من العالم.»[٢]

٣ـ قرّاء القرآن الكريم والأساتذة في هذا المجال

«إنّ ما تقومون به من مساعي و جهود في مجال القرآن، سوف لن يكون بالشئ الكثير، بل حاولوا اَن تستفيدوا من الأساتذة في هذا الصدد، ثم ضاعِفوا من تعاونكم مع القرّاء القدامىٰ و ينبغي اَن تهتموا بتعليم و تفهيم و

١- نفس المصدر، ج ٦، ص ٣٠٥   ٢- نفس المصدر، ج، ٨ ص ٢٥٦

تحفيظ القرآن الكريم للصبيان والناشئة من الشباب»[١].

«أَعزائي! قرّاء القرآن الكريم يا شبابنا الثوريّ و يـا أَصـحاب القـلوب البريئة والسرائر الطاهرة! عزّزوا علاقاتكم بالقرآن أَكثر فأكثر في كل يوم؛ اُنشروا عطر القرآن بين أَجواء الأُسر والعوائل. اِقرؤوا ثم اقرؤوا القـرآن؛ و تدبروا فيه كثيراً. فالأعداء لا يحبذون أَن يرفع المسلمون الآيات القرآنـية كراية خفّاقة، لأنّ القرآن يـحسم الأمـور كـلّها و يـحدد جـميع واجـبات المسلمين؛ واجب الجهاد و كيفية الحياة والمماة الأسلامية»[٢].

«بطبيعة الحال، اِذا ما أَردنا أَن نقوم بإذاعة و اِشاعة رسم من الرسوم أَو تقليد من التقاليد، في مجتمع ما ـ أُنبّه الذين لم يثقوا تماماً بحكمة و فلسفة هذه القراءات والتشجيعات للآن، أَن ينتبهوا الى هذه النقطة جيداً ـ علينا أَن نمتلك شخصيات فذّة و أَفراد عباقرة، وصلوا الى الذروة في المجتمع؛ و اِلاّ سوف لن تكتمل عملية النشر والإشاعة لذلك الرسم والعادة؛ فلا يمكن أَن تطلبوا من جميع الناس ممارسة الرياضة الخفيفة مـثلاً لمـرونة العـضلات والجسم، لعشر دقائق يومياً، من دون أَن تشجعوا أَولاً الرياضة نفسها بشكل بهلواني وبطولي، فكيف لو أَزحتم و شطبتم هـذا النـوع مـن النشـاط فـي المجتمع تماماً، فلا يمكن العمل و لا يتوقع الوصول الى نـتائج ايـجابية و مهمة، فالناس سوف لا يمارسون الرياضة هكذا، اِذ اَنّ الحركة العامة للأمة لم تستند على الدليل والبرهان والبيان والعقلانية فحسب، بل اِنها تحتاج الى أَشياء و مستلزمات أُخرى، كالإحساسات والمشـاعرالجـيّاشة والتشـجيع المستمر و خلق الأجواء الحماسية اللازمة أَيضاً يـجب أَن تكـون مـتوفرة

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ٨٣

٢- نفس المصدر، ج ٨، ص ٢٧٤

للصعود والإرتقاء الى القمة العالية والذرورة الرفيعة، و على هذا الأساس و من هذا المنطلق، لابد أن نمتلك هذه الرموز العملاقة في الميادين المختلفة حتىٰ يتيسر للناس أن يصلوا الى السفاح والهضاب، و في هذا المجال بالذات أيضاً، إذا أردنا أن يحلّق الناس في أجواء القرآن، عالياً، فلابد أن يكون لدينا رجال قد مارسوا هذا التحليق و وصلوا الى القمة، و كذلك أنتم بالذات، حيث قام البعض منكم بالقراءة والتلاوة هنا و لم تسنح الفرصة لبقية الأخوة القرّاء أن يقدّموا تلاواتهم. نحمد الله عزوجل على هذه المنحة والعطية، و أنا شخصياً أعرف جميع الإخوة المتواجدين هنا من قريب، حتىٰ الذين لم يقوموا بأي تلاوة، لأني قد تعرفتُ مسبقاً على تلاوتكم و صوتكم، فنحمد الله عزوجل على وفور هذه النعمة في مجتمعنا»[١].

«فنحن، إذا أردنا أن تستأنس الأمة برمتها بالقرآن، علينا أن نقوم بترويج تلاوة القرآن الكريم في المجتمع، فهذا هوالسبب الذي يدعوني دوماً أن أؤكد على قراءتكم و تلاوتكم ـ أيها القرّاء الأعزّاء ـ و أهتم بذلك كثيراً، هذا و إنّ كل واحد منكم يعتبر فرداً واحداً يقوم بقراءة القرآن ـ و كلّما حاول هذا الفرد أن تكون قراءته جميلة وجيدة أو أنه على العكس لم يسع في هذا الطريق ـ فسيكون ذلك متعلقاً به من جهة، في حين أن الموضوع الذي يدفعني لأن أهتم بهذه القضية الى هذا الحدّ، هو أنّ القراء والتالين للقرآن الكريم، إذا ما تمكنوا من قراءة و تلاوة الآيات الكريمة بأنغام ملكوتية و بشكل صحيح و فصيح و بصورة مشحونة بالجمال والجاذبية، فستهوي قلوب الناس الى القرآن و سيشعروا بقرابة أكثر و انجذاب أقوىٰ نحو القرآن و

١- نفس المصدر، ج ٤، ص ٧٠

سيكتمل إستئناسهم بالقرآن، خاصة و أَنّ شعبنا متهيأ و مستعد لمثل هذه الألفة والعلاقة، لأنه شعب يختلف عن باقي الشعوب الإسلامية في هذا المجال و لأنه قد جاهد بصدق و إخلاص في سبيل القرآن و لم يكن هذا بالهزل والمزاح، لأننا قدّمنا الكثير من شبابنا شهداء و قد عانىٰ شعبنا الأمرين طوال أعوام طويلة و كان كل ذلك في سبيل القرآن و الأسلام»[١].

«لم تسنح الفرصة الاسلام الآن أن يشكّل حكومة إسلامية بصورة عملية في المجتمعات الإسلامية؛ أي أنه لا يوجد تطبيق حقيقي للأحكام الإسلامية و لم توجد الضرائب والمحاسبات المالية الإسلامية و لم تكن هناك ثقافة إسلامية حقيقية، يقام بنشرها و ترويجها و لم ينتخب الحكّام الموجودون الآن على رأس الحكومات بمعايير إسلامية، إذ أَن الكثير من هؤلاء هم من الفسقة والفجرة؛ ممن يرفضهم القرآن الكريم، فهل ياترىٰ تعلم الشعوب في مثل هذه الدول بأنهم يعيشون تحت لواء نظام غيراسلامي؟ أَلم يكن للقرآن، فى هذا المجال، وجهة نظر خاصة؟ و من هو المسؤول لنقل هذه الحكاية للشعوب و الجماهير المسلمة؟! حسب إعتقادي، قرّاء القرآن هم المقدَّمون لبيان و طرح هذه المواضيع، إذ أَن الله عزوجل قد حمّلهم هذه المسؤولية الكبيرة و هذا الشرف العظيم، نعم، هذه هي وصيتي للإخوة القرّاء»[٢].

٤ ـ الباحثون والكتّاب والخطباء و أجهزة الإعلام العامة

«المتوقع منكم أن تتعلَموا الفن بمعايير إسلامية ثم تعلّموه و تستعملوه،

١ـ نفس المصدر، ج ٧، ص ٣٣ و ٣٤ ٢ـ نفس المصدر، ج ٧، ١٤٢

حتىٰ يتنسىٰ لكم إِظهار و عرض المفاهيم و القيم الإلهية والإسلامية للناس، لأن العالم اليوم بحاجة ماسة الى الحقائق الإسلامية، فشعوب العالم اليوم تحتاج الى رؤية تلك الشمس الزاهرة في فضاء مفاهيم القرآن والمعرفة القرآنية»[١].

«مراجعة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من قبل الباحثين و أَهل التحقيق، ضرورة ملحّة في مجال سيادة و شمولية الإسلام كدين يدعو الى حياة أفضل و لهذا فالكل بحاجة ماسة اليه»[٢].

٥ ـ الشعب والشباب

«وصيتي لجميع الأُسر والعوائل و كل أبناء الشعب ـ و خاصة الشباب ـ أَن يهتموا بالصلاة و ارتياد المساجد و ممارسة المسائل العبادية و التواجد في الجلسات القرآنية، فما اكتسبناه اليوم في هذا الوطن من شموخ و عزّة و قدرة، في الواقع، لم نحصل عليه إِلاّ بفضل القرآن الكريم و تحت ظلال الإسلام الوارفة و عن طريق الالتزام و المحافظة على الصلاة و العبادة والإكثار من ذكر الله عزّوعلا؛ فعليكم أَن تهتموا بالدراسة والحياة العملية من جهة والعبادة والديانة من جهة أُخرىٰ، لأنّ الالتزام بالدين سيضمن بقاء كل هذه الأشياء، و لابد أَن تستأنسوا بالصلاة والحضور في المساجد و ممارسة العبادات و ارتياد الجلسات الدينية والقرآنية»[٣].

«لتكن علاقاتكم بالله عزوجل، علاقات وثيقة و خاصّة، أَقيموا

١- نفس المصدر، ج ٨، ص ١٧٨
٢- نفس المصدر، ج ٤، ص ٣٣
٣- نفس المصدر، ج ٨، ص ١٤٠

صلواتكم بوعي عقلي و حضور قلبي واعكفوا على النوافل و حاولوا أَن تقرؤوا القرآن ما تيسّر لكم، في كل يوم؛ ثم واظبوا أَن لا يمرّ عليكم يوم، لم تقرؤوا فيه القرآن ــ و لو كان ذلك بنسبة عشر أو خمس آيات ــ بتبصّر و تدبر، و هذا سينوّر قلوبكم. لندع هذه التوقعات جانباً و التي تقول فيما لو أَدينا الليلة بعض النوافل، فسنواجه فتحاً عظيماً و انجازاً كبيراً في غداة تلك الليلة! لا، فالقضية ليست كذلك، لأنّ الإرتباط والأتصال بالله عزوجل ــ حسب ما جاء في أَدعيتنا، هو الهدف الغائي والأمر الثابت، لكن الله عزوجل يتوجه بعنايته الخاصة الى المتضرعين والمتوسلين اليه، أَجل فالتضرع والتوسل يشمل على هذه المواصفات والخواص»[١].

١- في كلمة لقائد الثورة (حفظه الله) عند لقاءه مع رئيس الجمهورية و مجلس الوزراء بمناسبة أُسبوع الدولة، ١٣٧٦/٦/٢ هـ.ش (١٩٩٧/٨/٢٤ م)

الفصل التاسع

الوعود القرآنية و ظروف تطبيقها و تحقيقها في المجتمعات الإنسانية

«و كما أَوعدنا الله عزوجل في القرآن الكريم، مادام الايمان الإسلامي الراسخ يرافق الناس، فسوف لن يتعرض الشعب والثورة لأي خطر أو تهديد و سوف لن تقدر القوىٰ العظمىٰ اَن تصيبه بأقل صدمة أو اَن تلحق بالجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية المجيدة في ايران أي ضرر»[1].

«واظبوا على حفظ روح الوحدة والحماس والشعور بالواجب؛ إذ اَنّ القرآن يخاطب المسلمين و يقول: «و لا تهنوا و لا تحزنوا و أَنتم الأعلون، إن كنتم مؤمنين» (سورة آل عمران/الآية رقم ١٣٩)، لأنّ رمز الإيمان هو هذا الحماس والنشاط والتضامن والتواجد في الساحة الموجودة الآن بين أبناء الشعب، ثم اَن الأعداء يخافون من هذه المواصفات تماماً و طالما واصلتم حضوركم الفاعل والقوي والحماسي، فستشملكم العناية الربانية والالطاف الإلهية إن شاء الله»[2].

«جميع الوعود الإلهية، لحد الآن كانت صائبة و صحيحة و قد تمّ إنجازها

١- نفس المصدر، ج ١، ص ٢٣٤ ٢- نفس المصدر، ص ٢٥٦

بالكامل، فكّل تحليل كان يستند علـى أَسـاس المـحكمات مـن الآيـات القرآنية، قد تحقق و اُثبتت صحته و سلامته. لحد الآن لاحـظنا بـوضوح و بشكل واقعي و عمليّ، من أنّ الشعب المؤمن والموقن بالله عزوجل، إذا ما قاوم و صبر، فسوف لن يندحر، حتىٰ و لو اَقدم العالم بأسره على معارضته و محاربته؛ و نحن قد جرّبنا و مارسنا ذلك فعلاً، فكنّا نقول ذلك قبل انتصار الثورة و في بداية إنبثاق الثورة و خلال العقد الماضي، كنّا نقول و نكرر دوماً هذا الوعد القرآني العظيم، لكنّ الأحداث والمستجدات أثـبتت لنـا تـلك الوعود علىٰ أرض الواقع و بشكل حقيقي و ملموس»[١].

«لقد وعدنا الله عزوجل في آيات عديدة من القرآن الكريم بأنه سيحافظ علىٰ دينه؛ دين الحق إزاء جميع العراقيل والعداوات والحسادات والأحقاد التي يخطط لها الأعداء علىٰ مرّ الزمان، فهذه الآية المباركة في سورة الصف، هي إحدىٰ الوعود في هذا الشأن: «يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم والله متمُّ نوره و لو كره الكافرون» (الآيه رقم ٨)، جاء تشبيه «سبيل الله» و «دين الله» في هذه الآية المباركة و كأنه نور، بل هو نورالله عزوجل، اَجل إنّه نورالله لأنـه منسوب الى الباري تعالىٰ و إنه ـ بطبيعة الحال ـ اَقوىٰ من جـميع الأنـوار الاُخرىٰ التي يتصورها الانسان و تخطر على باله، كنور الشمس والكواكب والأنوار الأخرىٰ التي قد تكون اَقوىٰ من كل هذه الأنوار، فهو نور قوي على الأطلاق و الى مالانهاية، ثم شبّهت الآية الكريمة، معارضة الأعداء بـنفخة تخرج من الفم، كما هو الحال في نفخة شخص يريد إطفاء شمعة اَو سراج! فنور الله عزّوعلا اَقوى من جميع هذه الأنوار التي يتصورها الإنسان، فـاذا

١- نفس المصدر، ج ٥، ص ١٦٢ و ١٦٣

قيل بأنّ هناك شخص يريد أنْ يُطفأ نور الشمس بنفخته الضعيفة التي تخرج من فمه، فسيواجه هذا الزعم ـ من الناحية العقلية ـ بالاستهزاء والسخرية و سيوصف مدعيها بالحماقة والسذاجة، فكيف لو كان هذا الإدعاء موجَّهاً الى نور الله عزوجل.

و قد جاء في بقية هذه الآية الكريمة: «هو الذي أَرسل رسولَه بالهدىٰ و دين الحق ليظهره على الدين كلّه و لو كره المشركون» (سورة الصف/الآية رقم ٩)، النقطة التي أُريد أَن أُشير اليها هنا والتي توجد في هذه الآية الشريفة؛ هي أَنّ الآية الكريمة تقول بأنّ الله عزوجل قد قرّر تعميم و سيادة دينه ـ دين الحق والطريق الصحيح والصراط الالهي المستقيم ـ علىٰ جميع الأديان البشرية و كل المناهج والمدارس الفكرية الأُخرىٰ التي هي في متناول فكر البشر ـ و التي تسير في طريق الباطل والتيه ـ و التي كانت باطلة و ضالة أساساً، أَو تلك التي كانت حقاً و صواباً في يوم ما، اِلاّ أَنها اَضحت الآن باطلة بعد تدخل المتدخلين والمحرّفين، و بهذا سيغلب دين الله جميع الأديان الأُخرىٰ؛ أَي جميع الثقافات البشرية و جميع الأنظمة الإقتصادية و جميع النظم الحاكمة و أَساليب الحياة المرفوضة؛ و في النهاية ستُغلَب كل هذه الأديان والمدارس البشرية أَمام سبيل الله الأوحد، فدعهم يقوموا بـ«جولة»، حسب ما تقتضيه مساعي أَصحاب الباطل و ضعف أَصحاب الحق، لكنه في النهاية، سيكون لدين الله «دولة» و سيعمّ الأسلام جميع أَرجاء البسيطة و سيستمتع كل أُفراد البشر من هذا الدين القيّم، هذا هو مضمون الآية الشريفة.

لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو أَنه كيف ستتم السيادة لدين الله على الأرض؟ هل سيفرض دين الله هيمنته على جميع أَرجاء العالم عن

طريق السيف و القهر والقوة و بالقدرة السياسية والعسكرية؟ مما لا شك فيه، اَنّ الأمر سوف لن يكون كذلك، إذ لم يكن ذلك فضلاً و امتيازاً خاصاً بأن يبسط الدين أو اَي منهج فكري آخر، سيادته و هيمنته علىٰ بقية الدول والمناطق التي يتم فتحها في هذا المجال، ثم يجبرون الناس على قبول هذا الدين أو هذه العقيدة، لأنّ الديانه الباطلة والمنهج الخاطئ هوالآخر بإمكانه اَن يحمل نفس المواصفات، اَي اَنه يأتي بفرد متجبّر، فيفرض عقائده الخاطئة بالسيف والتحكّم على المجتمع البشري؛ كما حصل ذلك ـ لعدة سنين من القرن العشرين ـ في بعض البلدان، حيث اَنّ الأيدلوجية الماركسية و طريقة الحياة الشيوعية، فُرضَت على كثيرمن البلدان والشعوب و اُرغمت الجماهير على انتهاج الشيوعية في اَساليب الحياة، في حين اَنّ دين الله لا يحبذ هذه الطريقة لإخضاع الدول والشعوب في العالم، بل اَنّ دين الله سيستحوذ علىٰ القلوب، لا بالسيف والإجبار إذ لا يمكن الاستحواذ على القلوب هكذا، فلابد للقلب اَن يدرك و يفهم ثم يقبل و عندها سيخضع لمنهج اَو عقيدة ما طوعاً و رغبة و شوقاً و حبّاً في تلك العقيدة، عندها سيتمتع الإنسان بمصالح و فوائد هذا الايمان و تلك العقيدة الدينية، و بطبيعة الحال لا يتحقق هذا بالقوة والسيف، لا، لأنّ الاسلام لم يطالب اَبداً بشئ مثل هذا.

لقد تقوّل اَعداء الله و اَعداء الاسلام ـ طوال الفترات الماضية ـ في هذا الصدد و اَطلقوا إدّعاءات زائفة كثيرة، و نحن سوف لانتطرق الى تلك الأحاديث الباطلة في هذا المقام، حيث ادّعت جماعة منهم بأنّ الاسلام قد استولىٰ على العالم بالقوة و حدّ السيف، ثم جاءت طائفة اُخرىٰ بنظرية معاكسة تقول بأن الإسلام لا يمتلك القوة والسيف اَساساً. هناك خطأ فاحش

في كلتا النظريتين و كل منها يحتاج الى بحوث و دراسات وافية و أنا لا أُريد الخوض في هذا الموضوع بالذات الآن، بل إنّ كلامي في الوقت الراهن يتركز على موضوع آخر، و هو هام جداً بالنسبة لشعبنا و بلدنا و مسؤولينا. إذاً لابد من القول بأنّ دين الله و الدين الإسلامي، إنْ ادّعىٰ بأنه سينشر جناحه على جميع أساليب الحياة و جميع النظم الحكومية والسياسية السائدة و جميع المناهج الإجتماعية والثقافات المختلفة بين البشر، لم يكن معنىٰ ذلك بأنه سيستولي الأسلام علىٰ كل هذه المجالات بقوة السيف، إنْ لم يكن بالسيف، فبأي شئ سيتحقق ذلك؟ النقطة الأساسية تكمن فى جواب هذا السؤال.

أجل إنّ الاسلام يمتلك آليتين اثنتين ـ باستثناء السيف ـ و عن طريق هاتين الآلتيين، بامكانه اَن يفوز علىٰ جميع الأديان والمدارس الأُخرىٰ في العالم ثم يقوم باستقطاب القلوب والأحاسيس و جذبها الى الدين القويم و دحض الأدلة الجوفاء والمنطق الكاذب. ترىٰ ما هي تلك الآليات؟ الآلية الاولىٰ هي اَنّ الاسلام يمتلك المنطق القوي والدليل الدامغ والآلية الثانية هي العدالة، بكل ما في هذه الكلمة من معاني و بشكل حقيقي و شامل و مطلق، فهاتان الآليتان تُستخدمان لنجاح و تقدم الإسلام»[١].

«اليوم ـ في الخطبة الأولىٰ للصلاة ـ أُريد أنْ اَتحدث اليكم باختصار عن الوعود الإلهية في استجابة الدعاء؛ و كما تعلمون إنّ الدعاء، في شهر رمضان يعتبر اَمراً مؤكداً، والدعاء يقرّب الإنسان من بارئه و خالقه؛ و يؤدي الى

١ـ كلمة قائد الثورة الإسلامية (حفظه الله) في صحن المرقد الرضوي الشريف في مدينة مشهد المقدسة، ١٣٧٦/١/١ هـ.ش (١٩٩٧/٣/٢١ م)

ترسيخ و تأثير المعارف الدينية في القلب و تقوية الإيمان؛ و إضافة الى هذا كلّه فإنّ الدعاء و مضمونه هو الطلب من الله تعالىٰ و سيكون مُستجاباً ـ إن شاء الله ـ حيث تتحقق مطالب الإنسان؛ أي أنّ الدعاء يضمّ خيرات عديدة و بركات كثيرة، من عدة جهات، و لهذا نرىٰ بأن القرآن الكريم قد تطرق الى موضوع الأدعية التي طُرحت من قبل عباد الله الصالحين، و كل هذا لم يذكر إلاّ لنأخذ نحن الأتّعاظ والعبرة من ذلك، إذ أنّ الأنبياء(ع) كانوا يلجأون الى الدعاء في الأوقات العصيبة والظروف الحرجة وكانوا يطلبون الاستعانة من الله عزوجل: «فدعا ربّه أني مغلوب فانتصر» (سورة القمر/الآية رقم ١٠)، و قد جاء ذلك عن لسان سيدنا نوح عليه السلام، أو كما ذُكر عن لسان سيدنا موسىٰ عليه السلام: «فدعا ربّه أنّ هؤلاء قوم مجرمون» (سورة الدخان/الآية رقم ٢٢)، إذ أنه قد شكا أمره الى الله عزوجل و استعاذ به.

إنّ الله عزوجل قد أوعد العباد في عديد من الآيات القرآنية بأنه سيستجيب الدعاء و منها، هذه الآية المباركة التي تقول: «و قال ربّكم أُدعوني أستجب لكم» (سورة المؤمن/الآية رقم ٦٠)، و قد لا تكون الاستجابة فوراً و بقبول و إنجاز الطلبات مئة في المئة، ففي بعض الأحيان توجد سنن و قوانين في الوجود لاتقتضي أن يستجيب الله عزوجل تلك الحاجة بشكل آني و سريع لأنّ هناك بعض القوانين الطبيعية أو الإجتماعية التي تحول دون إستجابة ذلك الدعاء أو أنها سوف لن تُستجاب في القريب العاجل، في غير هذه الحالات، يكون الجواب من قبل الله عزوجل ـ بشكل عام ـ ايجابياً و بهذا تستجاب الدعوة و تقضىٰ الحاجة، حيث يشير الامام علي‌بن الحسين، زين‌العابدين(ع) في دعائه الشريف المعروف بأبي حمزة الثُمالي والذي يقرأ

عادة في أسحار شهر رمضان، الى هذه النقطة بـالذات: «و اسـئلوا الله مـن فضله، إنّ الله كان بكل شئ عليماً» (سورة النساء/الآية رقم ٣٢)، صحيح أنّ الله عليم و عارف بجميع حاجاتكم و طلباتكم، و لكن يجدر بكم أن تدعوا الله و تناشدوه و لهذا نرىٰ أن الإمام(ع) قد ذكر هذه الآية في الدعاء، بعد ذلك يقول الامام(ع): «و ليس من صفاتك يا سيدي أنْ تأمر بالسؤال و تمنع العطية»، أي أنّ الكرم الالهي والرحمة الربانية و قدرة الله المحيطة بكل شـئ تسـتوجب الإرادة، فإذا قال الباري عزوعلا «أُدعوني»، فهذا يعني أنه أراد أن يقضي لك تلك الحاجة، و هذا يجسّد تماماً الوعود الإلهية التي ذكـرتها فـي مـقدمة الخطبة و تبيّن الموضوع بشكل واضح و صريح: «و إذا سألك عبادي عني، فإني قريب، أُجيبُ دعوة الداعي إذا دعانِ» (سورة البقرة/الآية رقم ١٨٦).

أجل فكل من يدعو الله، سيلقىٰ جواباً: «لكل مسألة منك سمعٌ حاضر و جواب عتيد»؛ أي لكل سؤال سيكون جواب حاسم و قـاطع، و هـذا هـام للغاية و لابد لعباد الله المؤمنين أن يـقدّروا ذلك كـثيراً. و مـن الطـبيعي ألاّ يستفيد من هذا الموقع و هذه العناية الربانية من لا يؤمن بالله تعالىٰ ـ كبقية المواقف والفرص، إذ أن الوعود الإلهية حاسمة و قاطعة؛ أي أن الله عزوجل سيقضي كل حاجة و مسألة، و هذا وعد و بطبيعة الحال كل وعد له ظروفه الخاصة به. لقد استخرجتُ ـ في هـذا الشأن ـ الآيـات المـتعلقة بـالوعود الإلهية و لا أُريد أن أخوض في هذا الموضوع بصورة تفصيلية، لكني سأُشير الىٰ بعض النقاط بشكل عابر و موجز:

إن الله عزوجل قد وعد عباده في كثير من المجالات و إحداها هي هذه الاستجابة المذكورة في الآية، و على سبيل المثال هناك وعـد الهـي آخـر

يقول: «من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها» (سورة فصلت/الآية رقم ٤٦)، و كذلك الآية التي تقول: «إنّا لا نُضيع أجر من أحسن عملاً» (سورة الكهف/الآية رقم ٣٠) و سوف لا يلقىٰ الإنسان جزاءه في الدنيا فقط، بل سيواجه ذلك في الدنيا والآخرة، إمّا في الدنيا أو في الآخرة و أيضاً توجد وعود أُخرىٰ، منها: «من كان يريد العاجلة، عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد» (سورة الإسراء/الآية رقم ١٨)، أي من أراد الخير العاجل القريب ـ أي الدنيا ـ و قد ترك الآخرة جانباً، «عجّلنا له» أي أننا سنساعده لينال بغيته، و بطبيعة الحال، فأنّ الأمر سيقتضي شروطاً والزامات: «ما نشاء لمن نريد»، فإذا ما سعىٰ و جاهد فسينال تلك الأهداف، و كما تشاهدون فانّ بعض الشعوب التي سعت و جاهدت و عانت المشاكل و انتهجت طريق القناعة والتقشف، تمكنت من الوصول الى تلك المنازل الرفيعة، هذا و إنّ القرآن يواصل موضوع الآية الكريمة بقوله: «و مَن أراد الآخرة و سعىٰ لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً، كلاًّ نمدّ هؤلاء و هؤلاء»، (سورة الإسراء/الآية رقم ١٩)؛ أي أن الله يقول بأني أقدّم العون والمساعدة للذين ينوون كسب الدنيا و كذلك الذين يسعون لكسب الآخرة سندعمهم و نساعدهم؛ الشيئ الملفت للنظر هنا، هو أنّ المساعي الدنيوية قد تطابقت هي الأُخرىٰ مع رضا الله عزوجل و لهذا جاء في الآية: «نمدّ هؤلاء»، هذا هو قانون الخليقة و هذه هي السنن الإلهية في العالم؛ أي أنكم إذا ما قمتم بسعيكم و بذلتم مجهودكم، ستنالون أهدافكم و آمالكم قطعاً، لأن الله عزوجل لايخيّب سعي من سعىٰ، بل ستكون هناك نتيجة مرضية بعد ذلك الجدّ والجهد، والإنسان في بعض الأحيان يستطيع أن يعرف و يفهم النتيجة بنفسه، فيهدف اليها و ينالها؛ لكنه

في بعض الأوقات لايعرف النتيجة التي تترتب علىٰ عمله بشكل واضح و شفاف و لهذا نراه يبحث عن نتيجة أُخرىٰ، في حين أنّ عمله، ستتمخض عنه النتيجة الطبيعية لذلك العمل و في النهاية سينال الهدف والنتيجة؛ فمن هذا المنظور نقول بأن الله عزوجل لا يترك المساعي والجهود من غير جزاء أو مكافئة.

و هناك وعد الهي آخر يقول: «وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم» (سورة النور/الآية رقم ٥٥)، فهذا الوعد ـ أيضاً ـ هو وعد قطعي و لاشك فيه، إذ أنّ كل الأقوام والشعوب والمجتمعات التي تتحلىٰ بالايمان والعمل الصالح، ستصبح خليفة الله على الأرض؛ أي أنها ستسيطر على مراكز القدرة في العالم بشكل حتمي و قاطع و أصحاب الأيمان ـ فيما مضىٰ من الزمان ـ الذين أرفقوا إيمانهم بالعمل الصالح قد وصلوا الىٰ نفس النتيجة و هذا ماحصل في ايران الإسلام و كما أنه قد حصل في كل فترة من فترات تاريخ ايران: «ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنّنَ لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم»، فاذا كان الإيمان، لم يرافقه العمل الصالح، فسوف لن تكون هناك خلافة و لا استخلاف في الأرض، من قبل الله تعالى، لأنّ الايمان وحده، من غير أن يكون هناك عمل يحققه، عقيم، لا نتيجة فيه؛ في حين لو ترافق الايمان بالعمل، عندها سيُثمر هذا الايمان و يتحقق قطعاً.

والوعد الإلهي الآخر في القرآن هو: «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» (سورة العنكبوت/الآية رقم ٦٩)؛ أي من يسعىٰ و يجاهد في سبيل الله، فسيهديه الله عزوجل الىٰ صراط مستقيم و سواء السبيل، فهذه مقولات كنّا ـ

في عهد الشباب و في بداية تعرفنا على المعارف الإسلامية ـ نطالعها في الكتب و نرددها و كنّا نعتقد و نؤمن بها، لكننا لم نمارس هذه الأمور بشكل واضح و بصورة عملية، في حين أننا كنّا نعلم بأنّ كلام الله حق و صائب، لكننا لم نمارسه و لم نجرّبه على أرض الواقع، في حين أنّه قد جُرّب اليوم و تحقق، ففي تلك الفترات السابقة و أيام الكفاح في خضم الحركة الإسلامية في ايران ـ حيث أن الشباب لا يذكرون شيئاً من ذلك الآن و أصحاب الأعمار المتوسطة أيضاً، قد يتذكر البعض منهم والبعض الآخر لا يتذكر شيئاً ـ أجل في تلك المرحلة، إن كان يرغب شخص ما في ايران، التي تعتبر الآن مناراً و منهلاً للإسلام، و في طهران بالذات، إذا كان أحد يصمم على ممارسة حياته بصورة إسلامية؛ لم يكن ذلك ممكناً بصورة تطبيقية كانت هناك صعوبات و عراقيل و مشاكل كثيرة! أي إذا أراد شخص أن يعيش حياة إسلامية حقيقية شخصية، من دون أن يقوم بتربية و هداية الآخرين، لم يكن ذلك ميسوراً و ممكناً، حيث كانت هناك أنواع و أقسام كثيرة و عديدة من العراقيل! فإذا كان أحدٌ ما يقول ـ آنذاك ـ بأنّ هذه الحركة التي ابتدئها ذلك «السيد» في مدينة قم و قد تجمّع حوله نفر قليل من طلاب الحوزة العلمية الذين ما أن يطلقوا هتافاً أو شعاراً، يُلقىٰ القبض عليهم فوراً، فيؤخذون الى السجون و يضربون و يسحقون و يعذّبون، و بأنّ هؤلاء سيلفتون أنظار جميع قطاعات الشعب الايراني و سيستقطبون و يجذبون كل القلوب اليهم و سيدفعون بالأمة للحضور الفاعل في الساحة، إثر الصبر و المقاومة التي أبدوها الرجال المؤمنون و رجال سبيل الحق والعدل والقيادة الحكيمة الرشيدة المهدية، فاذا كان شخص يقول هذا ـ في تلك الآونة ـ لم يصدقه أحد! و إذا كان يقال

بأنّ الحكومة ستصبح حكومة اسلامية، بفضل تواجد الشعب في الساحة، لم يصدقه اَحد، لكنه كان وعد الله عزوجل و قد تحقق، لأنه قد مورسَ بصورة عملية و طُبّق على اَرض الواقع بصورة حقيقية».

«لما وَلدت اُمّ موسىٰ، ولدها؛ موسىٰ الصغير في ظلّ تلك الحكومة التعسفية الفرعونية، كانت تعلم على يقين بأن جلاوزة هذا النظام الجائر سيقتلونه، لهذا حارت هذه الأُمّ في اختيار موقفها، فإن كان الوليد بنتاً لما كانت قلقة عليه، لكنه ولد و من هنا كانت قلقة على طفلها و قد استولىٰ على قلبها حبّ جارف له، لكنها لم تزل حائرة ولاتدري ماذا تفعل في هذا الموقف الحرج، فأوحىٰ الله عزوجل لهذه الأُمّ العطوفة: «و اَوحينا الى اُمّ موسىٰ اِن اَرضعيه، فإذا خفتِ عليه، فألقيه في اليم» اَي لاتخافي، اَرضعيه و اِن اشتدّ الأمر و خفتِ من اَن يستولي عليه العدو، فلا تسمحي اَن يأخذوه منكِ، بل اَلقيه في البحر.

لقد ذكر الله عزوجل هذه القصة في مواطن عديدة من القرآن و في كل موطن، يذكر الموضوع بظرافة و لطف خاص، فهذه الأم كانت تقاسي ظروف صعبة، فهمت من خلاله بأنّ الخطر محدق، إذ داهم اَزلام فرعون منزل هذه العائلة الإسرائيلية المحترمة ليأخذوا هذا الوليد، فأدركت، اُمّ موسىٰ بأنها ستفقد طفلها في النهاية، لهذا اِضطرت لإلقائه في النيل، جاء في القرآن: «فاَلقيه في اليمّ»، لكن القرائن تشير الى أنّ المقصود من اليم (البحر) هو نهر النيل. فهذا شيئ هام و عجيب للغاية، كيف يمكن للأُمّ اَن تطيق و تتحمل هذا الإجراء بأن تقوم بوضع طفلها في صندوق ثم تلقيه في نهر هائج مائج، يبتلع و يأخذ بكل شيئ الى مكان مجهول؟! مع هذا فالوحي والايحاء الالهي

يخاطب هذه الأم قائلاً: «إِنّا رادّوه إِليكِ و جاعلوه من المـرسلين»، (ســورة القصص/الآية رقم ٧)، إِنّ الله عزوجل يعد هذه الأُمّ بوعدين: «الوعد الأول هو استرداد و إعادة هذا الوليـد الىٰ أُمـة، والوعـد الثـاني هـو أن يـجعله مـن المرسلين.

بعد أَن أَلقت الأُم ولدها وسط أَمواج هذا النهر الهادر، قالت لأُخت موسىٰ (بنتها): «و قالت لأُخته قُصّيه» أي إِذهبي خلفه حتىٰ تعلمي الى أَين سينتهي به المطاف؟ فالأُم قلقة علىٰ طفلها الرضيع و وليدها الصغير؛ الذي لا يتجاوز عمره بعض الأيام! أَجل سارت به الأمواج حتىٰ أَوصلته الىٰ قصر فرعون، عن طريق نهر النيل؛ «فالتقطعه آل فـرعون»، أي انـتشلته عـائلة فـرعون المالكة من الماء، فأَدخل الله عزوجل الرحمة في قلوبهم بأن يحتفظوا بـه، فطلبت امرأة فرعون من زوجها أَن تحتفظ به؛ «قرّة عين لي و لك»، «و حرّمنا عليه المراضع» (سورة القصص/الآية رقـم ١٢)، و كـلّما جـاءوا بـالمرضعات ليرضعنه، لم يستسلم الوليد الجديد لهن، في حين أنه كان جائع و بحاجه الىٰ حليب، ففي هذه الأثناء جاءت أُخت موسىٰ و قالت لهم: «هل أَدلّكم على بيت يكفلونه لكم» (سورة القصص/الآية رقم ١٢ و ١٣) يعني هل تريدون أَن أَجد لكم مرضعة ترضعه؟ أُنظروا كيف يمهّد الله عزوجل الطريق، إذا ما استجاب الدعاء، فسيتحقق وعده و سيوفر مثل تلك الشروط فـيُلْهم هـذه البـنت و يمنحها الشجاعة لتتقدم نحو جلاوزة فرعون و تقترح عليهم بهذا الإقتراح المناسب. فوافقوا على هذا العرض، و لهذا ذهبت البـنت و أتت بأمـها (أمّ موسىٰ) و قالت إن هذه المرأة، مرضعة، فاعطوها الوليد. فـلما شـمّ مـوسىٰ الصغير رائحة أُمه، أَخذ يمتص ثديها و يشرب منها الحليب، و لم يُـثر هـذا

الموقف و هذه المحاولة، سوءالظن لدى الفرعونيين و لم يتبادر الى أذهانهم بأن قد تكون هذه المرأة، هي أُمّ هذا الوليد، لأنّ الله عزوجل أراد أن يحقق وعده: «فرددناه الى أمه» (سورة القصص/الآية رقم ١٣)، أي أعدنا الطفل الى أُمه؛ «كي تقرّ عينها و لا تحزن» (نفس الآية) «و لتعلم أنّ وعد الله حق» (نفس الآية)، و ذلك لتفهم أُمّ موسىٰ بأنّ وعد الله حق و لا يشوبه شيئ و قد رأت بأم عينيها تحقق هذا الوعد الالهي الأول، أمّا الوعد الآخر: «و جاعلوه من المرسلين» (سورة القصص/الآية رقم ٧)؛ في الحقيقة نرىٰ أنّ البشارة ببعثة و نبوة و رسالة سيدنا موسىٰ(ع) و التي ستكون بعد سنوات كثيرة، جاءت إستباقية في هذا الموقف هنا، و ذلك ليعلم جميع بني‌اسرائيل بأنّ هذا الطفل الصغير، سيصبح نبياً و سيكون مرسلاً من قبل الله تعالىٰ و سيخلّصهم و ينقذهم من الشرك والظلم، فمن تلك اللحظة التي أوعد الله عزوجل فيها أُم موسىٰ قائلاً: «و جاعلوه من المرسلين» حتىٰ اليوم الذي استلم فيه منصب النبوة والرسالة في الطور و باشر مهمته لتخليص و إنقاذ بني‌اسرائيل من آل فرعون، هناك احتمال أن تكون هذه الفترة الزمنية قد استغرقت أربعين سنة، والروايات الإسلامية تذكر مثل هذه الموضوعات، لكن الإنسان قد لا يثق تماماً بأسناد و إرجاعات كل هذه الروايات، بل إنّ ما يمكن التوصل اليه، علىٰ ضوء الآيات القرآنية، هو أنّ الفترة كانت ثلاثين سنة تقريباً.

أعزائي و أحبائي! إعلموا بأنّ الله عزوجل يحقق وعوده بهذه الصورة و على هذا المنوال، إذ يتحقق الوعد الحق بعد انقضاء فترة زمينة معينة والوعد الالهي هو أنّ الله يريد للشعوب الإسلامية العزّة والكرامة و هذا ما لا يتحقق في ليلة و ضحاها و لا ينفّذ و لا يطبّق بدون السعي والعمل، فالوعد الالهي

يشدّد علىٰ هذه المقولة بأن لو جاهدت كل أُمة في سبيل الله و التزمت بعنصر الايمان والاعتقاد، لفازت و انتصرت على كل شئ يُعيق مسيرتها.

حسناً، أنتم يا أبناء الشعب الإيراني الأبيّ، كنتم قد آمنتم بالله عزوجل و من ثم جاهدتم في سبيله، فأصبح النصر حليفكم، و وعد الله هو أنكم ستواجهون و ستشتبكون مع أعداء الله و بعد هذا ستنالون النصر و كذلك إن واصلتم و تابعتم الصبر والجلد والمقاومة، ستنتصرون أيضاً في مواطن أُخرىٰ؛ أي أنّ هناك وعد آخر حول النصر المؤزر و وعد غيره حول الجهاد والكفاح. أجل لمّا تترسخ أركان القوة والقدرة الإلهية و كذلك قدرة الإسلام والقرآن و هكذا القوة المعنوية والخصال الروحية، ستكون الراية المحمدية خفّاقة في ذلك المكان، عندها سيبدأ العداء من قبل الذين يعارضون القضايا الروحية المعنوية والذين يمارسون الظلم والتعسف و ينشرون الفساد في الأرض و كذلك الذين لا يطيقون الدين والقيم السامية، لسبب أو لآخر؛ «و لمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله» (سورة الأحزاب/الآية رقم ٢٢)، ففي حرب الأحزاب (الخندق) جاء اليهود من جهة و جاءت قبيلة «سقيف» من جهة ثانية و طوائف كثيرة من جهة ثالثة، و قد تواجدت في المعركة و هاجمت المدينة. من جهة أُخرىٰ و قامت بمحاصرة المدينة.

في مثل هذا الموقف الحرج، انقسم الناس الىٰ قسمين: جماعة المؤمنين في جهة و غيرالمؤمنين؛ الذين «في قلوبهم مرض» في الجهة الثانية، فكان الذين في قلوبهم مرض، يقولون: «ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غروراً» (سورة الأحزاب/الآية رقم ١٢) و كانوا ينوّهون بأنهم خُدعوا و يقولون بأن الإسلام لم

يتمكن أن يمنحهم العزّة والكرامة والأمن والإستقرار و لا يقدر علىٰ مما هم فيه. أُنظروا كيف أنّ الأعداء قد حاصروا و طوقوا المؤمنين فهذه الأحزاب و التكتلات المعادية، الشرقية منها أو الغربية، جبهة اليسار أو اليمين، القريب الداني أو الغريب القاصي، كلّهم قد تعاضدوا و تظاهروا مع بعض ليشنّوا هجوماً شرساً علىٰ الدولة الإسلامية الفتية في المدينة، في حين أنّ المؤمنين كانوا يشدّدون على أنّ «هذا ما وعدنا الله و رسوله» (سورة الأحزاب/الآية رقم ٢٢)، و إننا لا نستغرب من هذه الظروف و هذا التقابل، لأن الله و رسوله قد أوعدنا بها، حيث أنّ وعدهما هو: «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت» (سورة النساء/الآية رقم ٧٢)، أجل إنّ أعدائكم أيضاً يقاتلون و يكافحون من أجل الطاغوت، لكنهم ضعفاء؛ «فقاتلوا أولياء الشيطان، إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً» (نفس الآية)، فاذا ما قاتلتم و كافحتم و قاومتم و صبرتم و لم تهنوا و تنهزموا، فأنتم المنصورون، في حين إذا تركتم الساحة و أصابكم الوهن والضعف واليأس و تراجعتم عن خنادقكم، فلا عجب، إنْ تواجد العدو على أراضيكم و قام بحملات قاسية عليكم: «هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و مازادهم إلاّ إيماناً و تسلمياً» (سورة الأحزاب/الآية رقم ٢٢)، على هذا الأساس نقول بأنّ الوعد الالهي أمر مسلّم به و لا شك فيه، يعني أنّ الوعد صادق في الجهاد والقتال، فيما لو صبرتم و قاومتم، فستحصلون على النصر و كذلك إذا ما كنتم صادقين في أقوالكم و نواياكم، فستبدأ الضغينة والعداء والحقد نحوكم، لامحالة»[١].

١- كلمة قائد الثورة الإسلامية (حفظه الله) في خطبتي صلاة الجمعة بطهران.

«هذا يوم عظيم، هو يوم ذكرىٰ مولد سيدنا المصطفىٰ، النبي الأكرم(ص) و كذلك مولد الإمام جعفربن محمد الصادق عليه السلام و يشكّل بذاته إحدىٰ المراحل التاريخية العظيمة للبشرية، ففي مثل هذا اليوم، خلق الله عزوجل خالصته و ذخيرته المقدسة، الذي تمثّلَ في الوجود القدسي للنبي الأعظم(ص)، فجاء به الى عالم الكون والمكان؛ فأصبحت هذه المرحلة، مرحلة مصيرية في حياة البشر، فلقد قيل في الأحداث والعلائم التي سبقت أو تزامنت مع هذه الولادة المباركة بأن تحطَّمَ جزء من أيوان كسرىٰ[١] و كذلك إنطفأ بيت النار المعروف بـ«آذرگشسب»[٢] في منطقة فارس بايران والذي كان مشتعلاً منذ قرون و هكذا بحيرة ساوه[٣]؛ التي كانت مقدسة لدىٰ الايرانيين آنذاك، قد جفّت و غار ماؤها فجأة! و كذلك تهاوت الأصنام والأوثان التي كانت منصوبة حول الكعبة الشريفة. و جميع هذه العلائم الرمزية، تشير الى الإرادة الإلهية والسنن الكونية في إضفاء خلعة الوجود لهذا الموجود العظيم و هذه الشخصية السامية الفريدة، فكل هذه الحوادث الرمزية ترمز الى أنّ هذا القدوم المبارك والوليد الميمون سيسحب بساط الذلّ والخنوع من تحت أقدام البشر، إثر استيلاء حكم الجبابرة والمستبدين كما كان قائماً ـ آنذاك ـ في ايران قبل الإسلام والرومان القديم و إثر عبادة غير الله، فكل هذا لابد أن يُزاح من علىٰ فوق الأرض و لابد للإنسان أن

⇦ ١٣٧٧/١٠/٤ هـ.ش (١٩٩٩/١٢/٢٥ م)

١- طاق كسرىٰ، الموجودة آثاره حالياً قرب بغداد (المدائن)

٢- معبد تاريخي قديم، في الدورة الساسانية قبل الاسلام في ايران.

٣- في ايران بالقرب من العاصمة طهران.

يتحرر بواسطة هذا الموجود المبارك، ويتخلص من قيود ظلم الحكّام الجائرين والمتعسفين ضد البشرية و تنتهي سياسة الكبت والتعذيب، على امتداد التاريخ و كذلك الخلاص و التحرر من قيد الخرافات والإعتقادات المرفوضة المذلّة، التي تدعو لإخضاع و إذلال الإنسان أمام موجودات أدنىٰ منه منزلة أَو حيال أُناس آخرين مثله، حيث أَنها تجعل منه إِنساناً خاضعاً، خانعاً، ذليلاً، يمتدح هذا و ذاك من دون استحقاق و لهذا فإنّ الآية الكريمة التي جاءت بمناسبة البعثة النبوية الشريفة تقول: «هو الذي أَرسل رسوله بالهدىٰ و دين الحق ليظهره على الدين كلّه و كفىٰ بالله شهيداً» (سورة الفتح/الآية رقم ٢٨)، «ليظهره على الدين كلّه»؛ هنا لم يتعين الزمن في الآية و لهذا فهي تشير الى الجهة المقصودة والغاية المنشودة، فالإنسانية جمعاء ـ و عن طريق هذا الحدث العظيم ـ لابد أَن تخطو نحو الحرية الروحية المعنوية والحرية الاجتماعية والحرية الحقيقية العقلانية و هذا ما قد حصل بالفعل و لا يتحقق ذلك إلاّ بأيدينا؛ نحن البشر؛ و هذه أَيضاً، تعتبر من السنن الإلهية الثابتة في الخليقة.

و إذا ما ضاعف الناس من سعيهم و عملهم و عزمهم و قاموا بتوظيف ذلك في سبيل الحق، فمن دون أَدنىٰ شك، سينالون الأهداف الالهية التي قد رسمها الله مسبقاً للعالم، بشكل أَسرع و في زمن أقل، لكنهم إذا لم يوظفوا كل الطاقات لخدمة هذه المسيرة العظيمة، بل و ركنوا الى الهوان و الضعف والإنهيار، فسيتخلّفون عن هذا الركب السائر لسنوات عديدة و أَعوام مديدة، كما حصل في قضية ضلال و ضياع بني اسرائيل: «... أَربعين سنة يتيهون في الأرض» (سورة المائدة/الآية رقم ٢٦)؛ و من هذا المنطلق نرىٰ أَنّ بني إِسرائيل

قد أُصيبوا بالتيه والحيرة في الصحاري إِثر ما قاموا به من أَعمال مُشينة في هذه المسيرة مع نبيهم موسىٰ عليه السلام، في حين كان بإمكانهم أَن يحولوا دون هذه المصاعب والمرارات و كان بإمكانهم كذلك أَن يختزلوا الزمن و يقصّروا فترة الحرج والمعاناة و كان بإمكانهم أَيضاً أَن يقوموا بتمديد هذه المرحلة بضعفهم و استهتارهم؛ و مصيرنا نحن، هو كذلك و مصير المسلمين أيضاً هو الآخر سوف لا يخرج عن نطاق نظام الخلق في المجتمع البشري والبعثات النبوية و فلسفة إِرسال الرسل و إِنزال الكتب، من قِبَل الله عزوجل الذي قد بيّن و قرر ذلك لنا مسبقاً و الناس هم الذين سيكون بإمكانهم أن يطوّلوا أو يقصّروا من هذا الطريق؛ و بإمكانهم أَن يصلوا الى تلك الغاية المنشودة في مرحلة قصيرة أو في فترة طويلة»[1].

١- كلمة لقائد الثورة الإسلامية (حفظه الله) مع المسؤولين و رجال الحكومة بمناسبة عيد ميلاد النبي الأكرم(ص) (١٧ ـ ربيع الأول)، ١٣٨١/٣/٩ هـ.ش (٢٠٠٢/٤/٣٠ م)

الفصل العاشر

إشارة الىٰ بعض النقاط المهمة في القرآن و تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة

*** العلاقة العاطفية بين الناس من جانب الله عزوجل**

«القرآن الكريم يخاطب الرسول الأعظم(ص) قائلاً: «لو اَنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما اَلَّفتَ بين قلوبهم» (سورة الأنفال/الآية رقم ٦٣)؛ يعني لو صرفت جميع اَموال الدنيا، لما كنت تستطيع أن تؤلف بين قلوب الناس الىٰ هذه الدرجة، إذ أنّ موارد النفط و عوائد العملة الصعبة ليست بالشئ المهم؛ بل حتىٰ لو اَنفقنا جميع أموال الدنيا في الدعايات و آلياتها و وسائل الإعلام العامة والأحزاب السياسية و... لما كنّا قادرين على إيجاد هذه العلاقة العاطفية و الأُلفة القلبية التي نتمتع بها اليوم في ايران؛ على هذا الأساس فالعلاقة مع الله عزوجل، هي السبب الرئيسي لهذا التواصل والتآخي الدائر بيننا الآن»[١].

١- نقلاً عن كتاب «حديث الولاية»، ج ١، ص ١٤٣

* الامام الخميني(ره)، تجسيد كامل للآية القرآنية

«غداة الليلة التي ارتحل فيها الإمام الى جوار ربه، تفألتُ بالقرآن الكريم، أثناء السحر و أنا في حالة اضطراب والتهاب و حزن و حيرة، فجاءت هذه الآية الشريفة من سورة الكهف:

«و أمّا من آمن و عمل صالحاً فله جزاءً الحسنىٰ و سنقول له من أمرنا يُسراً» (الآية رقم ٨٨)، لاحظتُ أنّ الآية جاءت دلالة واضحة و تجسيداً بارزاً لشخصية الامام(ره) فالإيمان والعمل الصالح والجزاء الحسن هو من أفضل المكافئات الالهية له»[١].

* جزاء العمل في سبيل الحصول على الدنيا أو الآخرة

«في بعض الأحيان تلاحظون بأنّ هناك بعض الأُمم لا تؤمن بالدين و لا تلتزم بالتقوىٰ الألهية و القيم الأخلاقية، إلاّ أنها تتمتع بحياة مادية رغيدة و مثالية ـ حسب الظاهر ـ و هذا يعود الى أنهم يعملون و يجهدون في أمور الدنيا بشكل جيّد و مطلوب، لكن هكذا حياة لاتنتهي الى نتيجة منشودة و عاقبة محمودة، بل سيرافقها الفساد والفحشاء و بالتالي ستؤدي الى تدمير الأمة أو الأفراد. فالمدنية المادية المعاصرة اليوم في العالم قد اختارت هذا النهج في الحياة؛ في حين أنّ الأمة المؤمنة في ايران، تواصل سعيها في طريق الحق ـ كما هو حالكم الآن ـ و مما لا شك فيه، أنّ الله عزوجل سيجزي و يكافئ هذه الأمة أيضاً و سوف لم تقتصر هذه المكافئة على الآخرة فقط، بل ستلقىٰ جزاءها في عالم الدنيا أيضاً و جزاء الدنيا هو أنها ستحصل على

١- نفس المصدر، ص ٦

السعادة والعزّة ـ حسب ما قاموا به من أعمال و سلوكيّات - و ستتخلّص من الذل والهوان والتحكّم والقسر و القهر»[١].

* سورة الأحزاب، توصيف لِعداء الأشقياء من الناس

«لاحظوا كيف كان الإسلام في مكة، حيث كان يواجه أنواع العداء والخصام والدسائس، في بداية ظهوره إذ أنّ جميع الأشقياء والمجرمين المفترسين والأنذال الأقذار كانوا قد تصدوا للنبي الأكرم(ص) والإسلام الأغر، و عندما هاجر الرسول(ص) الى المدينة، لم تنته الأحقاد والخبائث والعداوات الدموية من قبل الشريرين والسفلة، بل ظلّت هذه المواجهات الشيطانية، مستمرة الىٰ درجة أنّ هناك سورة في القرآن الكريم تسمىٰ بـ «الأحزاب»؛ حيث أنها تعكس هذه الأحداث والمواجهات، فهؤلاء الأحزاب كانوا من تكتلات مختلفة، وقفوا أمام الإسلام و قائده الأعظم فحشدوا قواهم حياله؛ و كان بينهم مشركي قريش و قبيلة سقيف و أهل الكتاب الذين ابتعدوا عن الكتاب (اليهود والنصارىٰ) والمنافقين، فاجتمعوا، و اتحدوا كيدٍ واحدة لسحق الإسلام و إبادة المسلمين.

و أثناء الحكومات الطويلة المدىٰ لسلاطين بني اُمية و بني العباس، كانوا يطاردون الذين ظلّوا ينادون بالاسلام الحقيقي والمحمدي الخالص، أي الذين كانوا يعانون أنواع الضغوط والتعذيب والكبت و أنواع الدسائس التي كانت تخطط لهم، فحياة الإمام موسىٰ بن جعفر [الإمام السابع للشيعة] و باقي الأئمة عليهم السلام و سيرة العلماء والمحدثين الكبار الذين لاقوا

١- نفس المصدر، ص ٢٥٣ و ٢٥٤

الأمرين من خلفاء الجور والظلم آنذاك و قد تمّ تعذيبهم و ضربهم بالأسواط و زجّهم في السجون والزنازين و سفك دمائهم الزكية الطاهرة، و هذه نماذج بسيطة من تلك المواجهات العنيفة»[١].

* النظام الأسلامي في ايران شجرة طيبة والأمام الخميني(ره) أصلها الثابت

«كانت ايران فيما مضىٰ، موجودة و كان الشعب الإيراني موجوداً أيضاً و كان الموقع الجغرافي للبلاد كما هو عليه الآن و كان الفقه والشريعة والقرآن و نهج‌البلاغة على حاله: لكننا لم نكن نمتلك شيئاً و كنّا نتخلّف و نتأخر يوماً عن يوم و كانت هويتنا تُضرب و تُسحق أكثر فأكثر و كانت شخصيتنا تُصاب بالتحلل والضياع، لكنّ الأمام الخميني(ره) برز و وطأت قدماه الساحة، فأصبح كالوجود الذي تتحقق الماهيّات علىٰ هامته و يمنحها الموجودية و كالشمس المشرقة التي تُظهر الأشياء و تكشف عن حقيقتها و كالروح التي تُنفخ في الأجساد الهامدة فتبعث الحياة والحيوية في أجزاءه، أجل إنه أحيانا و أخرجنا الى حيّز الظهور والبروز والحركة، عندها انكشفت القيمة الجغرافية والتاريخية لايران و ظهرت ثقافتنا السالفة و برز القرآن و نهج‌البلاغة و شعبنا قد مارس الحياة الحقيقية مرة أُخرىٰ، فأصبح عنصراً نافعاً و مفيداً في المجتمع البشري»[٢].

١- نفس المصدر، ج ١، ص ٢٨٧

٢- نفس المصدر، ص ٣٣٣

*المعوّقون و (المضحّون بحياتهم) في القرآن الكريم

«المعوّق والمضحّي بحياته في سبيل الله، هو المجاهد الذي فقد جزءً من أَعضاءه و جوارحه في سبيل لله و هو يحمل عضواً أو أَعضاءً مستشهدة معه و بقي طوال حياته و ما تبقّىٰ من عمره ملازماً للتقوىٰ و شاكراً لله عزوجل و قد قام بالأعمال الصالحة، فإنّ الله يذكر هؤلاء الجرحىٰ و معوقي الحرب في القرآن الكريم قائلاً: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أَصابهم القُرح للذين أَحسنوا واتقوا أَجرٌ عظيم» (سورة آل عمران/الآية رقم ١٧٢)، كلمة «عظيم» في انتهاء الآية الشريفة تدعو الى التأمل والتريث»[١]

* الحفاظ على النعمة والأحتفاظ بها، أهم من الحصول عليها

«هناك الكثير من الشعوب في التاريخ؛ من الذين شملتهم النعمة الألهية، لكنهم لم يتمكنوا أَن يحافظوا و يحفظوا هذه النعمة لأنفسهم، حيث نرىٰ الله عزوجل ـ في القرآن الكريم ـ يخاطب بني اسرائيل قائلاً: «و أَني فضلّتكم على العالمين «(سورة البقرة/الآية رقم ٤٧)، لكن هؤلاء بالذات، وصل بهم التيه والضياع الى مرحلة أَنّ القرآن قال في حقهم: «ضُربت عليهم الذّلة والمسكنة» (سورة البقرة/الآية رقم ٦١)، لأنهم كفروا بالنعمات الإلهية و أَضاعوا الخيرات و لم يفلحوا في الحفاظ عليها و صيانتها، فتاريخ البشر و تاريخ الشعوب مشحون بتجارب الأشخاص أو الشعوب التي حصلت على النِعَم، لكنها لم تستطع الأحتفاظ بها»[٢].

١- نفس المصدر، ج ١، ص ٣٣٧ و ٣٣٨

٢- نفس المصدر، ج ٢، ص ٧٩ و ٨٠

* منهج التهذيب والتربية في القرآن الكريم

«في بعض الأحيان، قد ترىٰ زعيماً يأمر أو يوصّي الناس بالاخلاق الحسنة والتضحية والصبر والمقاومة والثبات في سبيل الله و يطلب منهم اَن لا يظلموا، بل يمارسوا العدل والإنصاف؛ أي اَنّ الموضوع هنا يتمحور حول الوصية والأمر والتعليم و هو ضرورة ملحّة و حاجة ماسّة، حيث اَنّ النبي الأكرم(ص) كان يعلّم الناس دروساً قيّمة في المعرفة والحياة، في حين اَنّ الموضوع ـ في بعض الأوقات ـ اَكبر و اَرفع من قضية التعليم؛ أي اَنّ المعلّم يقوم بعمل و ينتهج سلوكاً يجعل من هذه الأخلاق و هذا الواجب الإسلامي في المجتمع أمراً ثابتاً و صبغة دائمة، لهذا نراه يعلن حرباً لا هوادة فيها ضد تلك الأفكار الخاطئة والمغلوطة، فتبدأ المواجهة، و يصطدم الفرد والمجتمع بهزّة نفسية عنيفة و لكن في بعض المناسبات والأحوال و بالطرق والأساليب الملائمة يعمل القائد علىٰ دمج و مزج هذه الصفات والأخلاق و كذلك المنهج السلوكي الصحيح والقويم في الأجواء الأجتماعية و محيط حياة الناس بصورة كاملة»[١].

* قضية «الإفك» في القرآن الكريم

«موضوع الإفك، يتلخّص في اَنّ إحدىٰ زوجات النبي(ص) ـ في إحدىٰ المعارك ـ تخلّفت عن القافلة، إذ اَنّ النبي كان قد أخذها معه الىٰ ساحة الحرب و عندما عاد النبي(ص) من تلك الحرب، لم يرها، و لا ندري ما كان السبب، إمّا اَن غلبَ عليها النوم، أو اَنها قد تكون ذهبت الى قضاء حاجة،

١- نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٤١ و ٢٤٢

علىٰ أيِ حال رجع المسلمون من الحرب و على حين غرّة لاحظوا بأن زوجة النبي(ص) ليست موجودة بينهم، إذ عثر عليها رجل من المسلمين و جاء بها الى المدينة.

فياترىٰ من كانت تلك الزوجة، من نساء النبي(ص)، هناك تباين و اختلاف في روايات أهل السنّة والشيعة، فالشيعة يروون بأنها كانت «مارية القبطية» في حين أن السنّة يقولون بأنها كانت «عائشة»، و أودّ أن أنوه هنا من أنّ هذه القضية في مجال تحديد زوجة النبي(ص) ليست مهمة و هي قضية لحرف الأفكار في عصرنا هذا، لأن الموضوع الرئيسي لم يكن هذا حتىٰ نُصِرّ و نؤكد على معرفة اسم زوجة الرسول(ص) التي حدث لها هذا الحادث، ثم نزلت الآيات بشأن التهم التي وُجّهتِ اليها، بل إنّ الموضوع يحمل زاوية أُخرىٰ تضم توجيهاً أخلاقياً و اجتماعياً مهماً جداً.

بعد أن عادت هذه السيدة النبيلة الى المدينة، أخذ بعض الأفراد المستهترين اللاغين والمثرترين يلمزون و يهمسون في آذان الناس و يشيعون بعض التساؤلات حول وزجة النبي(ص) بأنْ أين كانت و لماذا تخلّفت عن الركب والقافلة، ثم الذي جاء بها الى المدينة من هو و . . .؟!

نشروا و أذاعوا هذه الإشاعات والأكاذيب بين الناس، من دون أن يصرحوا بشئ معيّن أو يوجهوا تهماً محددة.

ثم إن الموضوع لم يقتصر على أنّ هذه السيدة الشريفة هي زوجة النبي(ص) و احترامها و توقيرها واجب على الجميع؛ بل إنّ المسالة في الآيات القرآنية مطروحة بشكل آخر، فالآيات المرتبطة بهذا الموضوع في سورة النور حول قضية «الإفك»، تشير الىٰ أنّ القرآن يرّد علىٰ تلك الأقاويل

الزائفة الباطلة التي نشرها و اَشاعها المنافقون والأعداء و اَصحاب القلوب المريضة، فتتالت الآيات، الواحدة تلو الأخرىٰ لتخاطب المؤمنين بلهجة لاذعة جداً و لائمة إِياهم بأن لماذا لم تتخذوا موقفاً حازماً و عنيفاً تجاه اُولئك المتقوّلين بعد اَن استمعتم الى اَحاديثهم الكاذبة و إِشاعاتهم الزائفة ـ هذا هو المستنتج من الآيات المذكورة ـ و لماذا لم تقوموا بشجب و رفض و نفي هذه الإشاعة بشكل قاطع و صريح و جريئ؟!

ففي هذه آلاية الشريفة نجد عبارتين تبدءان بـ«لولا»، إِذ اَنّ المتمرسين والمتعرفين علىٰ الأدب العربي يعلمون بأنّ استعمال «لولا» التحذيرية جاءت في محل يريد الإنسان اَن يقول لمخاطبيه، موبّخاً إِياهم بشدة: لماذا لم تقوموا بمسؤولياتكم؟ «لولا إذ سمعتموه، ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً و قالوا هذا إِفك مبين» (سورة النور/الآية رقم ١٢)، و كذلك جاء التعبير والمفهوم نفسه في آية اُخرىٰ: «و لولا إِذ سمعتوه، قلتم ما يكون لنا اَن نتكلّم بهذا، سبحانك هذا بُهتان عظيم» (سورة النور/الآية رقم ١٦)، اَي اَنّ الآيتين تخاطبان المؤمنين والمؤمنات؛ يعني المجتمع الإسلامي آنذاك و تعتبان و تعنّفان المجتمع بأن لماذا لم تستبشروا و تتفاءلوا و تُحسنوا الظن ببعض، بعد اَن وصلتكم هذه الإشاعة الكاذبة و لماذا لم تتصدوا لهامستنكرين إِياها و معتبرين الأكذوبة «إِفك مبين»؟ و لماذا لم تتخذوا موقفاً صارماً تجاهها بأن لايحق لنا اَن نتكلّم في هذا و نخوض الحديث مع الخائضين و نكرر الرواية المجعولة و نسمح لأنفسنا اَن نوسّع من رقعة الإشاعة المزيفة و لماذا لم تقولوا بأنّ هذه التهمة «بهتان عظيم».

بعد ذلك يقول الله عزوجل في آخر هذه الآيات: «يعظكم الله اَن تعودوا

لمثله أبداً، إنْ كنتم مؤمنين» (سورة النور/الآية رقم ١٧)، أي أنّ شرط الإيمان في المجتمع الإسلامي هو عدم التورط في مثل هذه الدسائس الدنيئة مرة أُخرىٰ أبداً.

* العزّة، كلّ العزّة للمسلمين والمؤمنين

«حافظَ شعبنا على عزته و كرامته أمام القوىٰ العالمية؛ أي أنّه قد حقّق نفس الشيّ الذي يطالب به القرآن و يناشد به المسلمين: «و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين» (سورة المنافقون/الآية رقم ٨)، العزّة تتعلق بالمؤمن، لأنّ المؤمن هوالشخص الوحيد الذي يكافح و يقاوم كل حركة يستشم منها رائحة الشيطان والظلم والفساد و لا يخضع الاّ لعبودية الله و لا يصبح عبداً إلاّ لله عزوجل، و منذ أنْ تمكّن الشعب الإيراني عن طريق إنتصاره في الثورة الأسلامية أن يبلور و يجدد دين الله و الإسلام في إطار نظام إجتماعي حديث و متطور، استولىٰ الخوف والهلع من الإسلام في قلوب المستكبرين و من هذا المنطلق بدؤوا يسعون لمحاربة النظام الأسلامي و يستغلون وسائل الإعلام الجماعية و ينفقون الأموال الطائلة ضد الإسلام»(١).

* مفهوم الولاية والتوحيد في المجتمع الإسلامي

«إذا ما دققنا في القرآن الكريم نراه يقول: «يهدي به الله مَن اتَّبع رضوانه سبل السلام» (سورة المائدة/الآية رقم ١٦)، أي أنّ الذين يؤمنون بالله، فسيهديهم الله و سيأخذ بأيديهم الى طرق السلام والتعايش السلمي، فهذا

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ١٣

يعود الى المبادئ والأسس التوحيدية في الجـمتمع االإسـلامي و الولايـة أيضاً تحمل نفس الطابع و المفهوم، إذ أنّ الولاية معناها الإتصال والإرتباط والتلاحم القوي والتضامن الحقيقي الذي لا يـقبل الإنـفصال والإنـفكاك، فالمجتمع الاسلامي يتمتّع بالولاية، فمعنىٰ ذلك أنّ جيمع أجزاءه في ترابط و اتّصال تامّ مع بعضه من جهة و مع المحور والمركز لهذا المجتمع ـ أي الولي الفقيه ـ من جهة أُخرىٰ و من مستلزمات هذا الترابط والتكاتف، هو أن يكون المجتمع الإسلامي واحد و موّحد في داخله و قد اتّحد و ائتلف كل جزء منه مع باقي الأجزاء من الداخل، و فـي الخـارج يـبادر هـذا المـجتمع عـلى استقطاب و جذب الأجزاء الخارجية الملائمة والمتناسبة معه، أمّا الأجزاء المعادية والمعارضة، فيطردها و يدفعها من حواليه ثم يقوم بانتهاج أُسلوب: «أشدّاء على الكفار، رُحماء بينهم» (سورة الفتح/الآية رقم ٢٩)، و هذا هو شرط الولاية والتوحيد في المجتمع الإسلامي»[١].

* مقولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النظام الإسلامي

«علينا أن نرتقي بأنفسنا الى منهل الإسلام الأغر، حتىٰ تحلو لنا الحياة تماماً. فالقرآن الكريم يقول: «الذين إنْ مكّناهم في الأرض، أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر» (سورة الحج/الآية رقـم ٤١). لهذا يسرني هنا أن أذكّركم و أُذكّر الشعب الإيراني بفريضة منسيّة من فرائض الإسلام؛ ألا و هي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. إذ لابد لجميع أفراد الشعب أن يقوم بمهمة الأمر بالأعمال الحسنة الفاضلة والنهي عن الأفـعال

١– نفس المصدر، ص ٨٥ و ٨٦

السيئة الرذيلة، لأن ذلك سيضمن و يؤمّن الحياة الطيبة للشعب في النظام الإسلامي، فلابد من العمل والتطبيق حتىٰ نشاهد الآثار والإنجازات في المجتمع، هذا و يتمّ الأمر بالمعروف في مرحلتين: مرحلة الكلام و مرحلة العمل؛ و المقصود من مرحلة العمل هو الإقدام باليد و عن طريق القوة، فهذه المرحلة ـ اليوم ـ على عاتق الحكومة و لابد أن تكون بإذن من جانب الدولة فقط، في حين أنّ الأمر بالمعروف عن طريق اللّسان، فرض واجب على الجميع و لابد للكلّ أن يقوموا بتأديته، من دون أي مجاملة أو خجل.

إذا كان أحد يرتكب ذنباً أو خطيئة في النظام الملكي السابق البائد، فيعترض عليه الآخر، كان النظام الحاكم آنذاك يتصدىٰ لهذه المعارضة و يقوم بأبادتها، فنحن قد رأينا في تلك الأيام بأنّ الذي يباشر بارتكاب الجرائم والذنوب، كان يكافأ على جريمته و جريرته؛ في حين أنّ الذي كان يعترض و ينتقد هذه الأنتهاكات، كان يُسحق و يُعاقب! أمّا اليوم فالقضية معكوسة، لا أقول بأن الجُنَح والجرائم ليست موجودة الآن في المجتمع، لا، بل توجد ذنوب و جرائم، ففي زمن حكومة الإمام علي عليه السلام أيضاً كانت هناك ذنوب و جرائم تُرتكب، لكنّ المهم هو أنّ النظام الحاكم في المجتمع، و القائمين علىٰ إدارة البلاد والذين يخططون لأُمور الدولة، يسيرون في طريق الفلاح والصلاح و يعارضون ارتكاب الذنوب والتمرد عن القيم والفضائل»[1].

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ١٤٠ و ١٤١

*** تصحيح و تبيين مكانة المرأة من وجهة نظر القرآن الكريم**

«لا فرق بين المرأة والرجل، خاصة لمّا نرىٰ أنّ الله عزوجل في القرآن الكريم، يطرح مثالاًو نموذجاً يُمثّل الشخصية الإيجابية المطلوبة و يقول: «و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون» (سورة التحريم/الآية رقم ١١)، حيث كان هناك مؤمنون كثيرون في زمن سيدنا موسىٰ عليه السلام، من الذين جاهدوا و ضحّوا في سبيل الايمان، لكن الله لم يذكرهم هنا، بل يطرح نموذجاً آخر و هي المرأة؛ ما هو السبب في هذا الإختيار يا ترىٰ؟ هل أراد الله عزوجل أن يدافع عن المرأة، أم أنّ المسألة تعود الى أسباب أُخرىٰ؟ الموضوع هو أنّ هذه المرأة [زوجة فرعون] قد وصلت في رحلتها و مسيرتها المعنوية و طيرانها الروحي الى المستوىٰ الذي لا يُضاهيها شخص آخر غيرها أبداً، فهذه المرأة كانت تعيش في عصر يسبق زمن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) و مريم الكبرىٰ؛ أُمّ المسيح عليهما السلام بكثير و كانت تتعلق بتلك الفترة الزمنية و هي زوجة فرعون و لم تكن من أحد الأنبياء و لا من أولاد الأنبياء و لا هي بزوجة نبي و لم تترعرع في بيت نبي، بل إنّ التربية والتهذيب المعنوي والرشاد الروحي والنماء النفسي لهذه المرأة، هو الذي قد أوصلها الى هذه الدرجة من العزّة والرفعة»[١].

و بالمقابل أيضاً، هناك نموذجا آخر يرمز الىٰ الشخصية السلبية اللامطلوبة، فإن الله عزوجل يختار المرأة كمثال و نموذج في كلتا الحالتين، فهناك مثال بارز حولِ امرأة فرعون و مثال آخر حول إمرأتي نوح و لوط (عليهما السلام): «و ضرب الله مثلاً، للذين آمنوا امرأة فرعون» (سورة

١- نفس المصدر، ج ٨، ص ٥٧ و ٥٨

التحريم/الآية رقم ١١)، كشخصية إيجابية و هكذا: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط، كانتا تحت عبدَيْن من عبادنا صالحين، فخانتاهما...» (سورة التحريم/الآية رقم ١٠)، يذكرهما الله عزوجل كشخصيتيْن سلبيتيْن، شقيتيْن، مُنحرفتين منتكستيْن، و بالتالي إنسانتين قد خرجتا عن جادة الصواب و تحركتا في طريق الضلال.

هناك سؤال يطرح نفسه في هذا الموقف و هو لماذا لم يختر الله عزوجل مثاله من الرجال، أَو أنه لماذا لم يضرب مثلاً برجل و امرأة علىٰ السواء، لا، لم يكن الأمر هكذا، بل إنّ الله عزوجل ـ في جميع آيات القرآن الكريم ـ عندما يذكر عبارة: «ضربَ الله مثلاً للذين آمنوا...» و هكذا: «ضربَ الله مثلاً للذين كفروا...» يأتي بالمثال والنموذج من النساء. الم يكن ذلك بمعنىٰ أننا قد أخطأنا ـ حسب نظرية القرآن الكريم ـ في وجهة نظرنا الغير صحيحة بالنسبة للمرأة و التي ظلّت مستمرة، للأسف، على امتداد تاريخ البشرية حتىٰ الآن. فالإسلام هو الذي ينهض من مكانه ليقوم بتصحيح هذا النظرة والطريقة في التعامل و كذلك أُسلوب الفهم الخاطئ حول المرأة طوال الأعصار الماضية»[١].

* تأثير التقوىٰ في قلب الإنسان و حياته

«التقوىٰ، هي الوصية الأولىٰ والأخيرة للأنبياء إذ أَنكم تقرؤون في القرآن الكريم بأنّ أول كلام الأنبياء للناس، هو الوصية بالتقوىٰ، فإن تواجدت التقوىٰ، تواجدت الهداية الإلهية، و إذا لم تتواجد التقوىٰ، عندها

١- نفس المصدر، ج ٣، ص ١٤٩

سوف لا يتمكن الإنسان والمجتمع اَن يستفيد من الهداية بصورة كاملة، فالصوم مثلاً هو تمهيد للتقوىٰ: «كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم، لعلّكم تتقون» (سورة البقرة/الآية رقم ١٨٣).

و كذلك في آيات اُخرىٰ، يقول الله عزوجل بأنّ التقوىٰ تضفي نوراً الىٰ قلب و حياة و سبيل الإنسان حتىٰ يتمكن من السير على ضوء ذلك النور و يجد سبيل الحياة، إذ اَنّ البشرية ليس بإمكانها اَن تتحرك في الصراط القويم عن طريق التيه والضلال والتخبط، فمن دون معرفة المقصد والمقصود و كذلك الهدف والغاية، سوف لاتتيسر الحركة في الموكب الإنساني العظيم، لهذا نرىٰ القرآن يقول: «يا اَيها الذين آمنوا، اتقوا الله و آمنوا برسوله، يؤتكم كفليْن من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به» (سورة الحديد/الآية رقم ٢٨).[١]

* سورة النمل، مشهد يعكس طرفي التكبّر والتواضع معاً

«اِنّ الأنانية، هي التي تُفسد الإنسان و تُبدد حياته و سيكون فساد و إفساد هذا الإنسان اَكثر وقعاً و تأثيراً، فيما لو كان صاحب قوة و قدرة و ستكون النسبة طردية بينهما، فمن هذا المنطلق يقول القرآن الكريم: «اَليس في جهنم مثوى للمتكبرين» (سورة الزمر/الآية رقم ٦٠)، فنار جهنم هي المأوىٰ والمثوىٰ للمتغطرسين والمتكبرين، إذ اَنّ الذنب والسلوك الفاسد والشقاء المطبق، لا ينشأ إلاّ عن الكبر والغرور و هو بدوره يخلق عالماً يحكمه الشيطان، في باطن و سريرة هؤلاء الأشخاص المتكبرين اَولاً، ثم في محيط و اَجواء حياتهم الاجتماعية ثانياً.

١ـ نفس المصدر، ج ٤، ص ٤٢

لقد تأملتُ في سورة النمل المباركة و رأيتُ أَنّ قصة سيدنا سليمان علىٰ نبينا و عليه أَفضل الصلاة و السلام، و التي جاء قسم منها في هذه السورة فهي قصة عجيبة جداً، و يمكن القول بأن جميع القضايا فيها تدور حول هذا المحور، فالسورة تبدأ بقصة سيدنا موسىٰ عليه السلام و تنتهي بصفات فرعون الذي تذكره السورة المباركة بالإستعلاء والإستكبار؛ أَي أَنّ هناك شخص يفخر و يتباهىٰ بقدرته و عزّته الظاهرية، الى درجة أنّه يدّعي خلق عالم آخر كما قد خُلق و وُجد هذا العالم أَيضاً من فرعون، و بعد ذلك تدخل السورة في قضايا تتعلق بسيدنا بسليمان و داود(ع): «و لقد آتينا داود و سليمان علماً» (سورة النمل/الآية رقم ١٦)، إِذ أَن الله عزوجل قد أَعطىٰ العلم والملك والقوة لهؤلاء الأنبياء، الى درجة أَنّ سليمان(ع) كان يتحدث الىٰ الناس الذين كانوا حواليه بهذه الصيغة و يقول لهم: «و أُوتينا من كل شيئ» (سورة النمل/الآية رقم ١٦)، لأن الله عزوجل قد منحه جميع ما هو ضروري للقدرة والقوة المتفردة التي لا ينازعها فيها منازع، بل هو سيد الموقف في كل المجالات، و لابد من التذكير هنا، بأنّ ملك سيدنا سليمان(ع) و حكومته قد تمخضت عن مساعي و جهود طويلة لبني إِسرائيل دامت لعدة قرون؛ أَي أَن الحقّ هو نفس الحقّ الذي طرحه سيدنا موسىٰ(ع) على فرعون إِلاّ أَنّ الكلمة التوحيدية التي ركّز عليها بنوإسرائيل و قد تمّ مواصلتها من قبلهم لعدة سنين طويلة، هي التي انتخبت هذه الحكومة الحق والكلمة التوحيدية؛ أَلا و هي حكومة داود(ع)، ثم ظهرت بعد ذلك حكومة سليمان (ع) الرائعة العجيبة»[1].

١- نفس المصدر، ص ١٠٨

* تَبسَّمَ سليمان(ع) لكلام النملة و شكرَ ربّه علىٰ هذه النعمة

«ظهرت طائفة من المفسرين والمتنورين ـ قبل قرن تقريباً ـ في الهند و مصر، بأفكار مادية بحتة، تنفي القيم الروحية والمعنوية، لأنهم قد تعرفوا على اَفكار الأوروبيين في القرن التاسع عشر و انشغفوا بها، و لهذا كانوا يفسّرون جميع المواضيع الروحانية بأُسلوب مادي، في حين لا حاجة الى مثل هذه التبريرات والتأويلات المادية، لأنّ التقدم العلمي قد كشف و اَثبت لنا الكثير من القضايا، بحيث اَننا اليوم نفهم الموضوعات المطروحة في القرآن الكريم، و لهذا بدؤوا يدّعون بأنهم قد فهموا ذلك و اَدركوه اَيضاً! و على اَي حال فالقرآن ناطق صريح لم يعتريه اَي شبهة أو خلل و نحن واثقون و مؤمنون به تماماً، و من هذا المنطلق ندرك ما يطرح في القرآن الكريم من مواضيع علمية.

و بعد اَن سمع سليمان(ع) ـ صاحب تلك القدرة والشوكة العظيمة ـ كلام النملة تبسَّم! «فتبسّمَ ضاحكاً من قولها» (سورة النمل/الآية رقم ١٩)، فهذه إِشارة رمزيّة رائعة و جميلة، فالنملة هنا تعتبر رمزاً للضعف والصِغَر والمهانة، في حين اَنّ سليمان كان تجسيداً للقدرة البشرية والعظمة الإنسانية، فهل يمكن اَن نتصور اَن تكون هناك قدرة و عظمة اَضخم من هذا»[١].

* الغرور والغطرسة، من اَكبر البلايا الخطيرة

«الأمر الخطير بالنسبة للإنسان هو الشعور بالإستغناء والإكتفاء بقدراته

١- نفس المصدر، ج ٤، ص ١١٢

الشخصية والاعتماد على معلوماته الذاتية، و القرآن الكريم ينقل لنا ـ في هذا المجال ـ قصة قارون حيث كان ينصحه الناصحون لكنه كان يردّ عليهم: «إنّما اُوتيته علىٰ علم» (سورة القصص/الآية رقم ٧٨)؛ اَي اَنه كان يؤكد بأنّ هذه الأموال والكنوز التي جمعها، هي نتيجة علمه و معرفته بالأمور و هي متعلقة به، فهذا الغرور والإستكبار و هذه هي المفاخرة والغطرسة والإتكاء على الذات، دون الله ـ في حين اَنّ الذي يمتلكه الأنسان ما هو اِلاّ بالشئ الضئيل والقليل، لكن الإنسان يتصوره شيئاً كثيراً و هائلاً ـ فهذا الإعتماد على النفس بشكل استقلالي يعتبر كارثة عظيمة و بلية كبيرة للأنسان»[١].

* تهذيب و إصلاح النفس، نقطة محورية لإصلاح العالم

«الركيزة الأساسية والنقطة المحورية لإصلاح العالم ـ من وجهة نظر الإسلام والقرآن ـ هي إصلاح النفس الإنسانية؛ لأنّ كل شئ يبدأ من هنا، لهذا نرىٰ القرآن الكريم يقول لتلك اليد القوية العملاقة التي اَرادت اَن تُغيّر التاريخ: «قُوا اَنفسكم» (سورة التحريم/الآية رقم ٦) و «عليكم اَنفسكم» (سورة المائدة/الآية رقم ١٠٥)؛ اَي اهتموا بأنفسكم و حافظوا على اَنفسكم و قوموا باصلاحها و تزكيتها؛ لأنه «قد اَفلح من زكّيها» (سورة الشمس/الآية رقم ٩)، فاذا لم يهذّب و يزكّي المجتمع الإسلامي نفسه في الصدر الأول للإسلام، و اِنْ لم يكن في ذاك المجتمع اَشخاص مخلصون و طاهرون و طيبو السريرة والضمير، لَما كان بمقدور الإسلام اَن ينشأ و ينمو و لَما توسّع نطاق رقعته و لم يكن بإمكانه اَن ينتصر على مذاهب الشرك في العالم و لَما تحرّك التاريخ

١- نفس المصدر، ص ١١٥

على خط الإسلام، و إن لم تكن هناك شخصيات زاكية و مهذبة، لما كان الجهاد موجوداً»[١].

* تبلور آيات الجهاد في الثورة الإسلامية

«لقد جاء في القرآن الكريم بأنّ الذي يجاهد في سبيل الله، فهو في الحقيقة يجاهد من أجل نفسه: «و من جاهد فإنما يجاهد لنفسه» (سورة العنكبوت/الآية رقم ٦)، فهذه الآيات هي آيات الهية و لقد كنّا نؤمن بها من قبل، في حين أنّ الإيمان شيئ والإحساس به شيئ آخر، فنحن الآن نشعر و نحسّ بهذه الآيات، ففي مرحلة النهضة والثورة و بعد انتصار الثورة الإسلامية، و خلال ثمان سنوات من مرحلة الحرب المفروضة و كذلك خلال هاتين السنتين بعد الحرب، و بالمجموع خلال هذه السنوات الإحدىٰ عشر أوالإثنىٰ عشر، بعد إنبثاق الثورة الإسلامية، في الثاني والعشرين من شهر بَهمن سنة ١٣٥٧ هـ.ش (المصادف ١٩٧٩/٢/١١ م) حتىٰ يومنا هذا، لقد قمنا بممارسة و إحساس ذلك و أدركناه خطوة فخطوة، أي أنّ شعبنا يدرك تلك الآيات جيداً»[٢].

* تأسيس الدولة و تطبيق العدالة، هو الهدف المنشود للأديان الإلهية

«إنْ كان رجال الدين و علماء الإسلام يقرّون بأنّ القرآن الكريم يؤكد و يقول: «و ما أرسلنا من رسول إلاّ ليُطاع بأذن الله» (سورة النساء/الآية رقم ٦٤)؛

١- نفس المصدر، ج ٥، ص ٨٤و ٨٥ ٢- نفس المصدر، ج ٥، ص ١٦٢

أَي اَنّ الأنبياء لم تكن مهمتهم تقديم النصائح و بعض الإرشادات فقط، ثم اَنّ الناس اَيضاً يواصلون بعد ذلك اَعمالهم الإعتيادية و يكنّون له الإحترام والتوقير، بل اِنهم جاءوا ليُطاعوا و ليهدوا المجتمع والحياة نحو الكمال، ثم يقوموا بتشكيل النظام والحكومة و يدفعوا بالناس صوب اَهداف الحياة السامية المنشودة و إذا و افق و سلّم علماء الإسلام بأنّ القرآن الكريم يقول: «لقد اَرسلنا رسلنا بالبينات و اَنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» (سورة الحديد/الآية رقم ٢٥)، لأنّ هدف الأديان هو إقامة القسط والعدل و إلغاء الظلم والإضطهاد و إنشاء حياة كريمة و صحيحة للبشرية، لهذا فلابد اَن تكون الحركة و الإتجاه نحو سيادة الإسلام في الحكومة و في هذا المجال و البلدان والمجتمعات الإسلامية، و هذا اَمرٌ ممكن»[١].

* جميع أرجاء العالم مشهد و محضرلله عزوجل

«عندما يطالع الإنسان بعض الآيات في القرآن، يُصاب بهزّة عنيفة: «وقفوهم اِنّهم مسؤولون» (سورة الصافات/الآية رقم ٢٤)، اَجل اَوقفوهم لأنّ الربّ الجليل لا يسمح لهؤلاء اَن يرفعوا خطاهم نحو الأمام، ففي ذلك المشهد العجيب والهائل، ستتجدد و تتجسّد جميع الأعمال والحركات والأفعال والأقوال و حتىٰ التصورات التي قمنا بها في الدنيا، ستقع تحت المجهر الألهي في الأخرة: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، و من يعمل مثقال ذرة شرّاً يره» (سورة الزلزال/الآية رقم ٧ و ٨)؛ اَي اَنكم سترون الخير والشر على واقعه و حقيقته الكاملة في القيامة و ستشاهدون نفس العمل

١- نفس المصدر، ص ٢٤٤

الذي قمتم به و قد تجسّد حيّاً حاضراً أمامكم.

فكل لحظة من لحظات حياتنا، تقع تحت إشراف العلم النافذ والبصيرة الشاملة لله عزوجل، حيث جاء نفس التعبير على لسان تلك الشخصية الفذّة والعرفانية التي انطلقت من البصيرة الكاملة لذلك الإنسان الرباني والعبد الصالح [الامام الخميني الراحل(ره)] لمّا قال: «الدنيا مشهد و محضرلله»؛ فنحن الآن في حضرة ربنا و هو يعلم جميع زوايا أفكارنا، فنحن رجال الدولة الإسلامية لابد أن نلتفت الىٰ واجبنا في هذه المرحلة الحسّاسة و نثابر على العمل بتلك الوظائف والواجبات»[1].

* الإستعداد واليقظة الى أقصىٰ درجة ممكنة

«لقد تكررت هذه المسألة لمرات عديدة في القرآن الكريم و ذلك بأنّ ضرورة الواجب الإسلامي يفرض على المسلم أن يكون واعياً معبئاً و مستعداً. فالمسلم لم يركن الى الصمت والسكون والسكوت حتىٰ يداهمه الخطر، فيقوم في حينها مرتبكاً و مستعجلاً ليجد حلاً لهذا التحدي أو ذاك. بل إنّ المسلم الحقيقي ـ طبقاً لما جاء في القرآن الكريم: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل» (سورة الأنفال/الآية رقم ٦٠) ـ يهيأ و يعبأ نفسه علىٰ مستويات عالية تمكّنه للمواجهة المحتملة مسبقاً. فنحن لابد أن نفهم حكم «أعدّوا لهم» بالمعنىٰ الدقيق للكلمة و هكذا لابد أن نقوم بتطبيق ذلك عملياً، لأنّ نظام الجمهورية الإسلامية و كذلك وطننا العزيز مهدد دوماً، فهناك تحديات مستمرة تحوم في أطرافنا بلاانقطاع، و لهذا يجب علينا أن

١- نفس المصدر، ج ٦، ص ٤٦

نستعدّ من الناحية العسكرية، و في الدرجة الأولىٰ الجيش و حرس الثورة، ثم جميع قطاعات الشعب، لأنّ من واجب الجيش والحرس أن ينهضا بهذه المهمة التي تكون على عاتقهم من ناحية التنظيم أولاً، في حين أنّ الدعم والدفاع عن الجيش والحرس، فهي من واجب الجميع و قوات التعبئة (البسيج) و التي تعني مجموعة القوىٰ الشعبية التي بإمكانها أنْ تدافع عن الوطن والنظام[١].

* الإستغناء من الله هي، المعاناة والمأساة العظمىٰ للبشرية

«من أول لحظات البعثة النبوية الشريفة و نزول الوحي على الرسول الأعظم(ص) كانت هناك عناية خاصة من قبل الله تعالىٰ، في الآيات القرآنية حول عملية الصلاح والإصلاح في المجتمعات الإنسانية و قد تهيأت جميع الأسباب والوسائل لهذا الإجراء الخطير، ففي سورة العلق المباركة، بعد ذكر اسم الله عزوجل و مطالبة النبي الأكرم(ص) بالقراءة، تشير الآية الىٰ: «خلقَ الإنسان من علق» (سورة العلق/الآية رقم ٢)، فهذا الإنسان الذي يعاني من أكبر الأمراض والأسقام النفسيّة و هي الأنانية والطغيان والإستكبار والإستغناء، فيذكّره القرآن بأن: «خلق الإنسان من علق»؛ أي أنّ منبتك و مصدرك الأول هو «العلق»، و الله هو الذي ألبسك ثوب الوجود والكمال والعزّة والكرامة، و من هنا فلابد أن تشعر دوماً إزاءه بالعبودية و لا تطغىٰ على غيرك و لاتتمرد على القيم الإلهية؛ و لا تحسب نفسك جالس محل اقتدار الله عزوجل، فتقوم بإدارة و قيادة محيط الحياة البشرية، فهذه أول كلمة تطلقها سورة العلق بعد

١- نفس المصدر، ج ٦، ص ٦٦ و ٦٧

ذكر آيتين أو ثلاث آيات في ابتداء السورة، حيث تقول: «كلاّ إنّ الإنسان ليطغىٰ. أن رآه استغنىٰ» (سورة العلق/الآية رقم ٦ و ٧)، فعندما يرىٰ الإنسان نفسه غنياً و يشعر بالإستغناء، فهذا سيدفعه نحو الطغيان لامحالة»[١].

* الحياة: تعني الجهاد والحركة

«هناك آية في القرآن الكريم، يخاطب الله عزوجل النبي(ص) فيها قائلاً: «لينذر من كان حيّاً» (سورة يٰس/الآية رقم ٧٠)؛ أي أنّ الإنذار لا يكون إلاّ لأصحاب النفوس والقلوب الحيّة؛ فهذه الحياة والحيوية، لا تحصل إلّا عن طريق الثورة والحركة والجهاد في المجتمع، فبعض المفسرين يقولون في تفسير الآية: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول أذا ادعاكم لما يُحييكم» (سورة الأنفال/الآية رقم ٢٤) ـ و قد يكون قولهم مستنداً على رواية ـ بأنّ عبارة «لما يُحييكم» تعني الجهاد، واليوم بفضل الجهاد العام المتفشي بين الشعب، فهذه «الحياة» الكريمة موجودة بين شعبنا أيضاً. و من هنا نرىٰ أنّ عملية الإنذار، لها تأثير أكثر علىٰ مستوىٰ التطبيق، فإذاكان المقصود من مقولة «لما يُحييكم» هو القرآن، فنحن نرىٰ اليوم بأنّ القرآن أصبح جارياً و سائراً في مجتمعنا حيث أنّ الشعب أصبح متعرفاً و مستأنساً ـ بعض الشئ ـ بالقرآن الكريم، لهذا فالإنذار سيكون أكثر تأثيراً و فاعلية من حيث التطبيق»[٢]

١- نفس المصدر، ص ٢٣٣ و ٢٣٤ ٢- نفس المصدر، ص ٣٠٧

* الإعتبار والإتّعاظ من أحداث معركة أُحد، على ضوء القرآن

«لقد منحنا القرآن الكريم بشأن معركة أُحد، درساً كبيراً يتعلق بجميع المراحل والأزمنة، و خلاصة الموضوع هو أنّ الله عزوجل قد أوعد المسلمين بأنه سيدعمهم و يساعدهم في هذه المعركة، ثم يتحقق هذا الوعد أثناء تلك المعركة فعلاً: «و لقد صدقكم الله وعده» (سورة آل‌عمران/الآية رقم ١٥٢)، أجل لقد تحقق الوعد و أحرز المسلمون الفوز والنصر فاضطر العدو على الأنسحاب الى الوراء، في حين أنّ المشكلة بدأت من جبهة المسلمين.

و من هذا المنطلق، فإنّ القرآن الكريم يعلّمنا بأنْ نستغفر الله فيما فرطنا و تطرفنا في أمورنا: «ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا في أمرنا» (سورة آل عمران/الآية رقم ١٤٧).

لقد أخطأ المؤمنون في معركة أُحد، بعد أن أراهم الله طليعة النصر: «من بعد ما أراكم ما تحبون» (سورة آل عمران/الآية رقم ١٥٢)، لكنهم على أي حال كانوا مؤمنين بالله عزوجل و لم ييأسوا من رحمته و عونه و لأنهم كانوا يحبون أهداف الإسلام السامية و لأنهم كانوا صادقين في ايمانهم بالله، لهذا: «و لقد عفا عنكم» (نفس الآية)، أي أنه قد غفر لكم و عفا عنكم و سيدعمكم «و الله ذو فضل على المؤمنين» (نفس الآية)، و هذه هي الموعظة المؤثرة من معركة أُحد»[١]

* ما معنى شكر النعمة؟

«أُنظروا كيف أنّ القرآن الكريم يشدّد على العلم والتأمل والتدبر

١- نفس المصدر، ج ٧، ص ٢٤٩ و ٢٥٠

والإعتبار من الماضي و لاحظوا كيف يولي القرآن اهتماماً كبيراً لشكر النعمة و عرفان الجميل و لكن ما معنىٰ شكر النعمة؟ المقصود بشكر النعمة هو أن نتعرف أولاً علىٰ النعمة التي أنعم الله علينا بها، ثم نقوم بتوظيفها و استثمارها بشكل أمثل، طبقاً للحكمة والغاية التي حددها الله عزوجل لها»(١)

* نقاش أهل الحق بالأدلة الدامغة، مع أئمة الكفر والإلحاد

«التعبير القرآني الذي يقول» إنّا اليكم مرسلون» في (سورة يٰس/الآية رقم ١٤ و ١٦) يرتكز على الايجاز والتلخيص و هي كلمة واحدة، لأنّ الأنبياء لم يطرحوا شيئاً سوىٰ هذه الكلمة، بأننا قد أُرسلنا اليكم، فمثلاً لم يكن الأمر بهذه الصورة بأن جمع هؤلاء الثلاثة(٢) من الأنبياء قد جمعوا الناس في مدينة «أنطاكية»(٣) ثم ألقوا عليهم خطاباً و قالوا لهم: «إنّا اليكم مرسلون»، لا بل إنّ هذه الكلمة قد أُلقيت بنفس الصورة التي خاطب فيها الإمام الراحل(ره) العالم خلال السنوات العشرة التي عاشها بعد انتصار الثورة الإسلامية، حيث أنّ رسالة الامام(ره) لم تكن سوىٰ «إنّا اليكم مرسلون»؛ أي أنها تقول: أيها البشر الساهي الغافل! و أنت أيها الإنسان الأسير بيد عوائل و أُسر سياسية و اقتصادية و صناعية معدودة في العالم! أيتها الشعوب

١- نفس المصدر، ج ٨ ص ٣٦

٢- إشارة الىٰ موضوع الآية رقم ١٤ في سورة يٰس (إذ أرسلنا اليهم إثنين، فكذّبوهما، فعززنا بثالث...)

٣- مدينة في تركيا الحالية تطلّ عىٰ بحر الروم و كانت عاصمة للسلوكيين (ملوك ايزان) في الأدوار الماضية.

المضطهدة المستحقرة! لقد اَتينا لننقذكم، لقد اَتينا لنتكلّم معكم. هـذه هـي رسالة الامام الراحل(ره) التي طالما وجهّها طوال عشر سنوات قائلاً: «اِنّـا اليكم مرسلون»، و لعل الأنبياء اَيضاً كانوا يطلقون هذه العبارة بهذه الصورة طوال مهمتهم الرسالية اَي اَنها لم تكن مجرد عبارة عابرة.

«قالوا ما اَنتم اِلاّ بشر مثلنا و مـا اَنـزل الرحـمٰن مـن شـيءٍ، اِنْ اَنـتم اِلاّ تكذبون» (سورة يٰس/الآية رقم ۱۵)، فكان المعارضون ـ بالمقابل ـ يكذّبون و يسخرون و يستحقرون و يـتقوّلون عـلى الأنـبياء، فـيرفضون اَقـوالهـم و يتشدّقون و يتحجّجون بأن: ماهي كلمتكم الجديدة للإنسانية؟! فأنتم كبقية الناس؛ إنكم تطرحون نظرية دينيّه اسلامية تخصّكم اَنتم فـقط و تـرددون كلاماً يخصّكم بالذات، هذا هو نفس الأسلوب الذي طالما تحدّث به أئمة الكفر والإلحاد المظلم والمنحوس في العالم، مع الثورة الإسلامية والإمـام الراحل(ره) و دُعاة الحقيقة، الذين رفعوا رايات الحق خفّاقة عالية.

«قالوا ما اَنتم اِلاّ بشر مثلنا و ما اَنزل الرحمٰن من شيءٍ، اِنْ اَنتم اِلاّ تكذبون. قالوا ربّنا يعلم اِنّا اليكم لمرسلون، و ما علينا اِلاّ البلاغ المبين» (سورة يٰس/ الآية رقم ۱۵ و ۱٦ و ۱۷)، فهذه تعني حملة فكرية اُخرىٰ مـن قـبل الأنـبياء: فنحن نستشهد بالقيم والمقدسات و نقول لكم بأننا لا نتكلّم اِلّا لصالحكم و خيركم، نحن رسل الله عزوجل، لنا معكم كلام و حديث، راجعوا ضمائركم، طالعوا اَديانكم السابقة، و اسئلوا من علماءكم، اَصـحاب الضـمائر الحـيّة والقلوب الواعية؛ إن كان بينكم مثل هؤلاء العلماء.»[1]

۱- نفس المصدر، ص ۳۹ و ٤٠

* العلماء العبيد؛ المتثاقلون الى الأرض

«إذا كان العالم العارف من طلاّب الراحة والعيش الرغيد و من أتباع اللّذات النفسانية، فسيكون خطره و ضرره أكبر و انزلاقه و انحرافه أشدّ وقعاً و مخاطرة من بقية الناس.

إنّ الله عز وجل ضرب لنا مثلاً؛ «بلعم باعورا» في القرآن الكريم: «و لكنه أخلد الى الأرض و اتّبع هواه» (سورة الأعراف/الآية رقم ١٧٦)؛ حيث كان هذا الشخص مطّلعاً على المعارف الإلهية، لكنه التصق بالأرض؛ أي أنه تشبث بيومين أكثر من حياته الدنيوية والاستمتاع بالأكل اللذيذ و بالحياة الدنيوية الدنيئة و برغباته الشهوانية، فكانت نتيجة هذا العمل أن وقع في المذلة والمهانة والضياع»[١].

* الفوز والإنتصار حليف القيم الإلهية في النهاية

«القرآن الكريم يعد المؤمنين بصراحة: «ليظهره على الدين كلّه» (سورة التوبة/الآية رقم ٣٣). لقد اكّد القرآن الكريم و بأشكال مختلفة بأنّ هذه الحقيقة و هذه القيم في تاريخ الإنسانية، ستتفوق و تنتصر على القيم الباهتة الفاشلة أو القيم السلبية المنحطّة، و لهذا نرى القرآن يصرّح بأنّ: «العاقبة للمتقين» (سورة الأعراف/الآية رقم ١٢٨)؛ فالنهاية المنشودة والعاقبة إذاً للمؤمنين والأتقياء، فكيف يتمكن الإسلام - إذا كان على الهامش و منعزلاً عن الحياة - أن يفوز و ينتصر على النظريات الجوفاء والعقائد المفروضة والقيم السافلة

١- نفس المصدر، ج ٨، ص ١٣٧ و ١٣٨

التي استولت على البشرية المضطهدة عنوة؟!»[١]

* العمل الصالح، بعد الايمان بالله عزوجل

«علينا أن نُرضي الله عزوجل بأعمالنا الصالحة عن أنفسنا. فالعمل والصلاح توأمان مع بعض، فلا صلاح من دون عمل، إذ أنّ القرآن يأتي بالعمل الصالح بعد الايمان؛ و لو أنّ الايمان ـ كما جاء في بعض الروايات ـ هو العمل: «الايمان هو العمل»، أي أنه عمل بالجوارح والقلب؛ و إرادة يجعلها الإنسان أن تسيطر علىٰ قلبه و روحه، والإرادة أو التصميم في بعض الأحيان ـ و قد تكون دائماً ـ أصعب و أثقل من العمل بالجوارح و أعضاء الجسم و أحياناً تكمن صعوبة المشكلة هنا، إذ لابد من العمل الملتزم بخط الصلاح و الفلاح»[٢].

* لابقاء للجهاد والجُرح إلاّ بتقوىٰ الله عزوجل

«يقول القرآن الكريم بشأن المجاهدين الذين أُصيبوا بجراح في الحروب و المعارك و هذا شيئ رائع جداً، حيث أنّ المؤمن يذهب الى ساحة الوغىٰ، فيجاهد ثم يُجرح؛ كهؤلاء الأعزاء المضحّين والمعّوقين جرّاء الحرب المفروضة، فيقول القرآن: «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القُرح، و للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم». (سورة آل‌عمران/الآية رقم ١٧٢)، فاذا ما داوموا على الإحسان و واصلوا التقوىٰ في أنفسهم، فستبقىٰ هذه المكافئة الكبيرة لديهم و سيظل ذلك الجزاء الجليل لهم، و

١- نفس المصدر، ج ٨، ص ١٤٢ ٢- نفس المصدر، ص ٣٧

خلافاً لهذا لو فرضنا بأنّ الإنسان يقوم بواجبه في الجهاد، ثم يكسب تلك القيم الروحية والمعنوية، لكنه ـ لاسامح الله ـ لم يعمل على صيانة تلك القيم القيمة، فهذه هي الخسارة، فما هو العامل والدافع الذي بإمكانه اَن يحفظ لنا تلك القيم؟ التقوىٰ، هو العامل الرئيسي والسبب الحقيقي، و لهذا نرىٰ بأنّ التذكير بالتقوىٰ يأتي في صلوات الجمعه و في كل سورة من القرآن الكريم بشكل مستمر لئلا ننسىٰ ذلك و لقد جاء ذكر التقوىٰ في بداية القرآن الكريم: «ذلك الكتاب، لاريب فيه، هدى للمتقين» (سورة البقرة/الآية رقم ٢)»[١].

* نظرة القرآن الكريم الى التاريخ و اَهمية ذلك

«إنْ لم يكن التاريخ موضوعاً أساسياً، لما اَدخله القرآن المجيد ـ و هو كتاب يبرمج لتربية الإنسان والبشرية ـ بين طياته؛ في حين اَنكم تلاحظون بأنّ القضايا التاريخيّة موجودة في القرآن و بطبيعة الحال إنها قطع من التاريخ استثمرت لخدمة اَهداف القرآن، و في النهاية لابد من القول باَنّ الإنسان العاقل الحكيم يختار لنفسه الأشياء التي تنفعه من مجموعة الأشياء الموجودة اَمامه، والقرآن الكريم اَيضاً يختار ما يراه نافعاً و مفيداً للأنسانية و لهذا نلاخط اَنه قد ترك ـ في بعض المواقف ـ التفاصيل، لأنّ التفاصيل والجزئيات ليست مفيدة بالنسبة له، فمثلاً في قضية امرأة فرعون، الأساس هو اَنّها «إمرأة»، بل و إنّها «امرأة فرعون»؛ و من هذا المنطلق نراه يذكر اسم إمرأة فرعون، خاصة و اَنه يؤكد بأنّ هذا العمل، قامت به امرأة فرعون و هذا القول نطقت به امرأة فرعون؛ اَي اَنّ القرآن الكريم لايمرّ علىٰ شخصيتها مرّ

١- نفس المصدر، ج ٨، ص ١٢٧ و ١٢٨

الكرام، في حين اَنّ الموضوع أمر جزئي[١] و كذلك في قضية المؤمن الذي تذكره سورة يٰس: «و جاء من اَقصى المدينة رجلٌ يسعىٰ» (الآية رقم ٢٠)، فمن كان هذا الرجل يا ترىٰ؟ و كم كان عمره و من اَي مدينة كان و الى اَي طبقة اِجتماعية ينتمي؟ فهذه ليست مهمة اَبداً؛ لأنّ القرآن الكريم لايركّز عليها في هذا الموقف، بل اَنّ الموضوع الذي يسلط القرآن الضوء عليه هنا، هو اَنّ رجلاً جاء من اَقصىٰ المدينة يسعىٰ و يهرول، ليصل الى الجمع المحتشد في مركز المدينة، ليقول لهم: «يا قوم اتبعوا المرسلين» (سورة يٰس/الآية رقم ٢٠)، فالقرآن يختار قسماً يحتاج اليه من التاريخ و ثم يقوم بتوظيفه، فيعرضه بأحلىٰ حلّة و اَعذب بيان، لكنه لم يتطرق الى جزئياته و دقائقه، في حين اَنه يسرد التفاصيل، لأن هذه التفاصيل والجزئيات هي التي قد تكون مهمة و نافعة بالنسبة له أولاً. إذاً فالتاريخ مهم و لا يمكن غضّ النظر عن اَهميته، لانّه عبرة و موعظة»[٢].

* روّاد البناء والإعمار

«الشعب الذي يتصالح مع الله عزوجل و لاينسىٰ التضرع والتوسل اليه، سيكون رائداً لإعادة البناء والإعمار في وطنه و علىٰ أرضه و سيكون هذا البناء و الأعمار أسهل بالنسبة له: «و يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه، يُرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم» (سورة هود/الآية رقم ٥٢)؛ هكذا يعلّمنا القرآن، يعلّمنا الإستغفار والإنابة الى الله عزوجل و مراعاة

١- إشارة الىٰ سورة القصص/الآية رقم ٩ و سورة التحريم/الآية رقم ١١
٢- نفس المصدر، ص ٢١٩

الأوامر و النواهي الإلهية و مراعاة العفّة والتقوىٰ والصدق و روح الأخوة والمساواة و الإحسان الى الضعفاء والمحرومين والتواضع اَمام الأخوة والأخوات من المسلمين و تقديم العون الى المساكين و عبادة الباري تعالىٰ و تأدية النوافل و تلاوة القرآن والدعاء والتوسل والتضرع الى الله عزوجل.

فاذا كانت هذه الأمور موجودة في بلد و بين شعب ما و إذا رافقه العامل الثاني اَيضاً ـ و هو السعي والجهاد ـ فسوف لن يتمكن شيْ أو اَحد في العالم اَن يحول دون حركة و انتفاضة هذا الشعب في طريق السعادة والصلاح والفلاح، فكونوا على حذر و اعلموا بأنّ مرحلة الإعمار والبناء هي مرحلة الجهاد الأكبر في ذات الوقت،، مرحلة بناء الذات و مكافحة الشيطان و محاربة النفس الأمارة والتوبة الى الله عزوجل»[١].

* الحركة الثقافية التي انتهجها النبي(ص) ضد اليهود

«اِذا ما دققتم في القسم الأعظم من سورة البقرة و بعض السور الأخرىٰ في القرآن الكريم، ستلاحظون عندها بأنّ هناك مواجهة و صراع و حرب ثقافيّة من قبل النبي الأكرم مع اليهود؛ لأنّ اليهود كانوا يحملون اَفكاراً ثقافية و كانت لديهم بعض المعلومات ـ كما اَشرنا سابقاً ـ فكانوا يؤثّرون علىٰ اَفكار و عقائد الناس الضعيفة أثراً كبيراً، فكانوا يدّبرون المؤامرات و يخطّطون للمشاغبات و يبثّون بروح اليأس والفشل بين الناس و يعملون على النفاق والشقاق بينهم، فهؤلاء هم الأعداء المنظّمون، فكان النبي(ص)

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية (حفظه الله) في اول يوم من زيارته لمدينة ساري [شمال ايران]؛ ١٣٧٤/٧/٢٢ هـ.ش (١٩٩٥/٩/١٤ م)

يجاريهم الىٰ أقصىٰ حد يمكن فيها المجاراة، لكنه لمّا شاهد بأنهم لا يعبأون بهذه المراعاة والمجاراة، حاربهم و عاقبهم. في حين أنّ النبي(ص) لم يذهب الى هؤلاء من بدون سبب و من دون سابق إنذار، بل كل واحدة من تلك القبائل اليهودية الثلاثة المعروفة ارتكبت ذنباً و خطأً فادحاً و لهذا فقد عاقبهم النبي(ص) حسب تلك الجريمة»[١].

* النفاق هو اللّسان الناطق بالإسلام والقلب الفارغ منه

«العدو الأخطر والطابور الخامس هو ذلك العدو الذي يعشعش في قلب المسلمين والمؤمنين و هو الأكثر تحدياً من بقية الأعداء؛ فهذا العدو ساكن فينا و ينطلق من رغباتنا النفسانية و أنانياتنا الأُحادية الجانب و إندفاعنا نحو الإنحراف والضلال والإنزالاقات الأخلاقية التي نمهّد لها بأنفسنا و لهذا فقد حارب النبي(ص) هذا العدو أيضاً، لكن محاربة هذا العدو لم يكن بالسيف. بل عن طريق التربية والتزكية والتعليم والتحذير والإنذار، و لهذا قال النبي(ص) لأصحابه بعد أن عادوا من متاعب و مصاعب حرب مضنية: لقد رجعتم من الجهاد الأصغر، فعليكم بالجهاد الأكبر، فسأل الأصحاب: يا للعجب يا رسول الله و ما الجهاد الأكبر؟ فنحن قد خُضنا هذه الحرب الطاحنة و هذا الجهاد الهائل و عانينا الكثير من المصاعب، فهل هناك جهاد أكبر و أضخم من هذا؟ قال(ص): «أجل، هو الجهاد مع أنفسكم.[٢] و اذا رأيتم أنّ

١- كلمة قائد الثورة المعظّم (حفظه الله) في خطبتي صلاة الجمعة بطهران: ١٣٨٠/٢/٢٨ هـ. ش (٢٠٠١/٤/١٧ م)

٢- مضمون الحديث.

القرآن يقول: «الذين في قلوبهم مرض»، فلابد اَن تعلموا بأنّ هؤلاء ليسوا منافقين ولو اَنّ بعض المنافقين، تنطبق عليهم الآية المذكورة، اِلاّ اَنّ جميع «الذين في قلوبهم مرض» لم يكونوا من جملة المنافقين، بل قد يكون المرء فيهم، مؤمناً في بعض الأحيان لكنه مريض القلب، فما هذا المرض يا ترىٰ؟ إنه التحلّل الأخلاقي والضعف في الشخصية والتهوّس والإندفاع نحو الأهواء النفسانية المختلفة، فاذا لم يتم التصدي لها و لم تقم بمكافحتها، ستسلب منك الأيمان و ستجعلك أجوف مفرّغ من الداخل، و لمّا سرقت منك الأيمان، عندها سيصبح قلبك من دون إيمان لكنّ ظاهرك سيبقىٰ مصطبغ بصبغة الأيمان؛ و لهذا يطلق إسم المنافق على هكذا شخص، فإذا ما فرغت قلوبنا ـ لا سامح الله ـ من الايمان، و كان ظاهرنا يشير الى الايمان فقط؛ عندها قد فقدنا الإلتزام والعلائق الإعتقادية والإيمانية، لكن لساننا سيبقىٰ يتشدق بنفس الكلمات الايمانية التي طالما كان يصرّح بها و يرددها، فهذا هو النفاق الذي يشكّل خطراً على شخصية الإنسان. القرآن الكريم يقول: «ثم كان عاقبة الذين اَساؤوا السوأىٰ اَن كذبوا بآيات الله.» (سورة الروم/الآية رقم ١٠)؛ فمن يعمل سوءً لاينال اِلاّ اَسوء من ذلك، فما هو هذا الأسوء يا ترىٰ؟ هو تكذيب آيات الرحمن، و في مكان آخر يقول القرآن الكريم: «فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الىٰ يوم يلقونه بما اَخلفوا الله ما وعدوه» (سورة التوبة/الآية رقم ٧٧)، فالذين لم يحملوا هذه المسؤولية الكبيرة علىٰ عواتقهم و لم ينفقوا في سبيل الله و لم يعملوا بها، سيدخل النفاق في قلوبهم، لأنهم اَخلفوا وعدهم مع الله عزوجل، فهذا هو الخطر والتهديد الكبير في المجتمع الإسلامي، و في كل فترة من فترات التاريخ، فان رأيتم المجتمع

الإسلامي قد انحرف عن طريقه السويّ، إنّما كان انحرافه من هذه الناحية بالذات.

و قد يغزو و يداهم العدو الخارجي المجتمع فيسحق و يدمّر و يُهزم و يُبدد المسلمين، لكنه لا يتمكن من إبادتهم بشكل نهائي، لأنّ الايمان سيبقىٰ على أي حال و سيظهر مرفوع الرأس في مكان ما و سينبع ثانية في محلّ آخر، في حين إذا كان هذا الغازي والمداهم هو جيش عدو داخلي للإنسان، فسيهاجمه و يجعله أجوفاً من الداخل، و هنا سيضيع و يضلّ عن الطريق و أينما وُجد الضلال والإنحراف، ستجده ينشأ من نفس النقطة و لهذا نرى الأنبياء(ع) كانوا يحاربون هذا العدو الداخلي الخطرِ بشدة»[1]

* الأعتبار و الأتّعاظ و مدى تأثيره في إصلاح و إسعاد الشعوب والمجتمعات

«هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم، تشير الى: «إنَّ في ذلك لعبرة» أو: «فاعتبروا يا أُولي الأبصار» (سورة الحشر/الآية رقم ٢) و... فهذا الإعتبار والإتعاظ هو درس الحياة و لا يقتصر معناه من أن يتمكن الإنسان عن طريق هذا الدرس أن يقوم بإصلاح و تنظيم معاشه و حياته الدنيوية القصيرة فحسب، بل إنّ هذا الدرس بإمكانه أنْ يُصلح و يضمن هذه الحياة في عالم الدنيا و علىٰ مستوىٰ أعلىٰ بامكانه أن يؤمّن الحياة الأُخرىٰ أيضاً، لأنّ الحياة الحقيقية تتمثّل في الآخرة والواقع هو أنّ هذه الحياة سينطوي سجلها

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية (حفظه الله) في خطبتي صلاة الجمعه بطهران، ١٣٨٠/٢/٢٨ هـ. ش (١٨/٥/٢٠٠٠ م)

في طرفة عين، و لهذا فانّ الحياة الأُخرىٰ هي الأصل والأساس، حيث أَنّ الإنسان سيشهدها فور رحيله و مغادرته هذا العالم الىٰ يوم القيامة الكبرىٰ و سيمارس هناك حياة مشحونة بالسعادة والسلامة أو مليئة بالعذاب والشقاء. و كم يسعىٰ و يجهد الإنسان في هذه الدنيا لينال لحظة من الإبتهاج والغبطة؟ و لهذا فعليه أَن يتحمل عناء أكبر و جهداً أكثر في سبيل تلك البهجة والسعادة الأبدية، و كل ذلك يمكن تأمينه و ضمانه عن طريق «العبرة» و من هنا نفهم مدىٰ تأكيد القرآن الكريم على العبرة والإعتبار في الحياة الدنيا.

عبارة الامام علي عليه السلام في نهج‌البلاغة ـ بهذا الصدد بالذات ـ مهمة جداً، حين يقول فيها: «إِنّ مَن صرّحت له العِبَر عمّا بين يديه من المثلات»؛ أي أَنّ الإنسان الذي بامكانه أَن يشاهد البلايا والرزايا والأحداث الجسيمة والمصاعب المُضنية برؤية اعتبار و اتّعاظ، «حجزته التقوىٰ عن تقحّم الشبهات» عندها ستمنعه التقوىٰ والصيانة الذاتية من أَن يقع في السيّئ من الأعمال والقبيح من الأفعال و كلّ ما يؤدي الى شقاء الإنسان والتخبّط في حياته، بل سيتجنب الشبهات في الأعمال والأقوال أَيضاً»[١].

* عدم المساومة مع الأعداء، ركن متين في الحكومة والولاية الإسلامية

«جميع المواضيع التي أَشرنا اليها ـ بل و حتىٰ تلك التي كانت أكثر من ذلك بمئة مرة ـ قد جاءت في كلمة واحدة لله عزوجل، عبر القرآن الكريم:

---

١ - كلمة القائد (حفظه الله) في لقاءه مع القادة والمسؤولين في حرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٤/٦/٢٩ هـ.ش (١٩٩٥/٩/٢٠م)

«و لا تهنوا و لا تحزنوا و اَنتم الأعلون، إنْ كنتم مؤمنين» (سورة آل‌عمران/الآية رقم ١٣٩)، و في آية اُخرىٰ: «و لا تهنوا و تدعوا الى السلم» (سورة محمد(ص)/الآية رقم ٣٥)، اَي اَنّ القرآن يُحذّر المسلمين من التكاسل والتخاذل واللجوء الى المصالحة والمساومة مع الأعداء اَو الاستجابة لدعوة التساوم مع العدو اللّدود والخصم العنود، في حين اَنّ المصالحة و ترك المخاصمة مع الأشخاص العاديين الطيبين و حتىٰ اَنّ المصالحة مع الذين لا يحبونكم و لا يكنّون لكم العداء اَيضاً، مقبولة، لأنّ الله عزّوعلا يقول: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يُخرجوكم من ديـاركم، اَنْ تبرّوهم و تُقسطوا اليهم» (سورة الممتحنة/الآية رقم ٨)، في حين لاينبغي القيام بالمساومة مع الذين يرفضون وجودكم اَصلاً و يعارضون كيانكم و إيمانكم و حكومتكم الإسلامية و ولايتكم الإلهية: «لا تدعوا الى السلم» و لا تركنوا الى المساومة والمصالحة، بل كونوا حذرين، فأي ميدان و اَي محاضرة بإمكانه اَن يقدم للإنسان العبرة والموعظة، أفضل و أمثل من هذا؟!»[1].

* لابد من الدقة والتأمل اَكثر فأكثر في الأمثلة القرآنية

«علينا اَن ندقق اَكثر في الأمثال التي يذكرها الله عزوجل في القرآن: «إنّ الله لا يستحيي اَن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» (سورة البقرة/الآية رقم ٢٦)، لأنّ القرآن الكريم يقدم لنا ـ في مثل هذه الأمور ـ الحقيقة الكبرىٰ والخالدة، عن طريق مثال محسوس و ملموس، فاذا كنّا اَصحاب عقول و اَلباب، فلابد اَن نُدرك و نفهم هذا و إحداها تكون في هذه الحالة بالذات،

١- نفس المصدر السابق.

فأنتم مثلاً تنظرون الى شجرة عادية قد قمتم بشتلها في تربة خصبة ثم اعتنيتم بها و طردتم الآفات عنها و بعد ذلك سوف لن يصيبكم القلق والأرق، لأنها: سـ«تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربّها» (سورة ابراهيم/الآية رقم ٢٥)، و عند ما يحين الفصل، ستحملون السلّة و تذهبون اليها لتقطفوا من ثمارها. أَجل هذا مثال رمزيّ والكلمة الطيبة أَيضاً كهذه الشجرة، فكل الحقائق الحقيقية في العالم هي الكلمة الطيبة و هي من كلمات الله عزوجل و نحن سنجد الكلمة الطيبة في المجالات التي تعنينا، و أَودّ أَنْ أَقول هنا بأنّ جيش الجمهورية الإسلامية هو الكلمة الطيبة»[1].

* ما المقصود بـ«متاع الدنيا» في القرآن الكريم؟

«عند ما يقول القرآن: «متاع الحياة الدنيا»، لم تعني هذه العبارة بأنّ «المتاع» شيئ سيئ و مذموم، لا، بل إنه «متاع» و قد خلقه الله عزوجل لكم، لكنكم إذا ما انجذبتم الى هذا المتاع و هذه اللذائذ الدنيوية ـ لا سامح الله ـ بحيث لم تتمكنوا من الإنفصال عن تلك الرغبات، أَثناء مواجهة الوظائف والمسؤوليات الصعبة، في هذه الحالة الموضوع يختلف، و حتىٰ أَنه ستكون الرؤية الى هذا المتاع سلبية و إلاّ فأنتم ستستثمرون هذا المتاع و تستمتعون به و إن دار الأمر بين الإحتفاظ بهذا المتاع والإختبار العسير، سيكون بإمكانكم أَن تتخلصوا من هذه التعلقات بسهولة و من دون معاناة، ثم أَنّ

١- كلمة القائد (حفظه الله) في لقاءه مع عدد من القادة العسكريين والعاملين في جيش الجمهورية الإسلامية، بمناسبة أُسبوع الدفاع المقدس: ١٣٧٤/٧/٥ هـ.ش (١٩٩٥/١٠/٢٧م)

أَنصار الحق ينقسمون الى قسمين: إِنتبهوا الىٰ هذه الأمور جيداً لأنها تحتاج الى فكر وقّاد و الىٰ دقّة و دراسة و لا يمكن بهذه السهولة أَن نؤمّن الحياة الكريمة للإنسان و المجتمع والنظام والثورة، فلابد من التحقيق والدراسة والعقلانية، ففي كل مجتمع يوجد صنفان من الناس و هكذا صنفان من أَنصار الحقّ، فاذا كان القسم الأمثل من أَنصار الحق ـ أي الذين بإمكانهم أَن يرفعوا أَيديهم عن المتاع الدنيوي في وقت الضرورة ـ أَكثر عدداً في المجتمع، فسوف لن يُواجه المجتمع في مسيرته ظروفاً متأزمة كظروف الإمام الحسين(ع)، فكونوا على اطمئنان بأنه سوف لا يحصل ذلك و سيكون التأمين والضمان ساري المفعول الى النهاية، في حين لو كان هؤلاء قلّة و كان الفريق الآخر من أَنصار الحق هم الأكثرية ـ أَي أُولئك الذين كانوا يعرفون الحق و حتىٰ أَنهم كانوا يناصرون الحق، لكنهم قد انشغفوا بالدنيا و تهاوت إِراداتهم أَمام غواية الدنيا! فما هي الدنيا يا ترىٰ؟ الدنيا هي الأموال والنقود والبيوت والقصور والشهرة والصيت والمناصب والرئاسات و صيانة الذات و حفظ النفس. فعلىٰ هذا الأساس، يجدر بهم أَن يقولوا الحق، لكنهم لم ينطقوا به لأنّ أَرواحهم و نفوسهم ستكون في خطر أَو أَنهم يستنكفون عن قول الحق من أَجل الإحتفاظ بمناصبهم أَو مسؤولياتهم أَو أَموالهم أَو حبّ أَولادهم و عوائلهم و أَقربائهم و أَصدقائهم، و لهذا يتركون سبيل الله جانباً: «قل إِنْ كان آباؤكم و أَبناؤكم و إِخوانكم و أَزواجكم و عشيرتكم و أَموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أَحبّ اليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله، فتربصوا حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين» (سورة التوبة/الآية رقم ٢٤)، فإذا ما كان هؤلاء هم الأكثرية في

المجتمع، فهنا تحصل الكارثة! و سيُؤخذ عندها الحسين بن علي عليه السلام و أمثاله الى مذبحة كربلاء و سيُحاصرون في مقاتلهم! و سيَحكم يزيد و من علىٰ شاكلته علىٰ رقاب الناس و ستستأثر بني أُمية بالسلطة والحكومة ـ تلك الحكومة والدولة التي أنشأها رسول الله(ص) ـ لفترة طالت لألف شهر و ستتحول فيها الولاية والإمامة والخلافة الىٰ حكومة سلطوية و سلطنة و عائلة مالكة و ملوكية!»[١].

* ما معنىٰ الإستكبار من وجهة نظر القرآن؟

«هناك معاني واسعة للإستكبار و قد استعملت تصريفات و مشتقات هذه الكلمة، إضافة الى المصطلح ذاته (استكبار)؛ بصورة مكررة في القرآن الكريم، و يبدو أَن كلمة «الإستكبار» تختلف عن الكِبْر والتكبّر و لعلّ صفة الكبر والتكبر، في أكثر ما تكون، صفة قلبية و نفسية؛ أي أَنّ الإنسان المتكبر يعتبر نفسه أَفضل من الآخرين، في حين أَنّ الإستكبار يصبّ لصالح الجوانب العملية للكِبر والتكبر، أي أَنّ الذي يتكبّر و يعتبر نفسه أَعلىٰ و أَفضل من غيره، سيتخذ سلوكاً متغطرساً مع الآخرين و سيقوم بتنظيم علاقاته بالآخرين علىٰ غرار و سياق هذا الكبر والتكبّر و سيتّضح ذلك من الناحية العملية و على أَرض الواقع، إذ أَنه يستحقر الآخرين و يستهين بالناس و يتدخل في أُمورهم و يظهر في المجتمع و كأنه صاحب القرار الأول والأخير.

١- كلمة قائد الثورة المعظّم (حفظه الله) في اجتماع قادة الفيلق ٢٧ (محمد رسول الله(ص))، التابع لحرس الثورة الإسلامية، ١٣٧٥/٣/٢٠ هـ.ش (١٩٩٦/٦/١٠ م)

هذا هو معنىٰ الإستكبار و قد جاء الموضوع على هذا النمط في الآية الكريمة التي تقول: «فما جاءهم نذير، مازادهم إلاّ نفوراً، استكباراً في الأرض و مكرالسيئ» (سورة الفاطر/الآية رقم ٤٢ و ٤٣)، أي أنهم كانوا يستكبرون أمام الرسل(ع) و قول الحق، في حين أنهم ما كانوا يدّعون في كلامهم بأنهم أكبر و أفضل من الآخرين، بل كانوا يعكسون هذا الإستعلاء والإستكبار والاستحقاق الزائف الذي يتصورونه لأنفسهم في تصرفاتهم و كانوا يقتطعون حصة الأسد لمصالحهم الفردية، و هذا يعني استمرار تلك الحروب والمعارك الطاحنة بين جبهة الكفر والعناد والطغيان من جهة و جبهة رسالة الحقّ والمعنوية والنور والهداية من جهة أُخرىٰ، أجل هذا هو الإستكبار»[١].

* القرآن يعتبر التقوىٰ نقيضاً للغفلة

«عندما يعدّد أهل السلوك الأخلاقي والعرفان الروحي، منازل هذا السلوك والتهذيب النفسي، يصلون الى المنزل الذي يحاول السالك فيها الخروج من الغفلة و تسمىٰ بـ «اليقظة».

و في مسار المصطلحات القرآنية نرىٰ أنّ التقوىٰ هي نقيضة الغفلة، معناها اليقظة والوعي المستمر والمراقبة والصيانة الذاتية الدائمة. فاذا كان الإنسان غافلاً ساهياً ستصدر منه عشرات الذنوب، ثم لايشعر بأنه قد ارتكب هذه الذنوب، في حين أنّ الشخص المتقي سيكون في الجهة

١- كلمة قائد الثورة (حفظه الله) بمناسبة يوم مكافحة الاستكبار العالمي؛ ١٣٧٥/٨/٩ هـش (١٩٩٦/١/٣١م)

المخالفة تماماً و على نقيض الأنسان الغافل، و لهذا فإن عـرضت له هـفوة صغيرة أو ذنب طفيف سيتذكر فوراً و يتّعظ من دون تأخير لأنه ارتكب ذنباً، فيحاول ـ عندها ـ جاهداً اَن يتدارك الأمر: «اِنّ الذين اتّقوا، إذا مَسّهم طائف من الشيطان تذكّروا» (سورة الاعراف/الآية رقم ٢٠١)، اَي بمجرد اَنّ الشـيطان يمرّ من جانبه و يمسه ريح الشيطان، يشعر فوراً بأنه قد تورّط في دسيسة الشيطان، فارتكب الخطأ و اَصابته الغفلة و لهـذا يُـدرك هـذا الإنـزلاق و يستيقظ من غفلته و رقدته: «فاذا هم مبصرون» و ستتفتح عيناه نتيجة هذا الوعي و هذه اليقظة، اَجل هذا هو المتقي»[١]

كفاح الأنبياء ضد المستكبرين تشغل مساحة ملفتة و لها جاذبية هائلة في القرآن الكريم

«لمّا تمّ بعث و إرسال الرسل والأنبياء(ع) من قبل الله تعالىٰ و على امتداد التاريخ، لاحظ الأنبياء بأن هناك مستكبرين يقفون اَمامهم، دققوا في القرآن الكريم الذي يضم اَقساماً طريفة للغاية و جذّابة جداً حول كفاح الأنبياء ضد المستكبرين حيث اَنّ الفوز والنصر قد كان حليفاً للأنبياء في النهاية و هذا الأمر كان يحدث دون اَي استثناء و بـإمكانكم أن تـلاحظوا القـرآن، مـرة أُخرىٰ، و بطبيعة الحال، قد يستشهد ذلك النبي في مـنتصف الطـريق أو أن يرتحل الى جوار ربّه، لكن جبهة النبي تنتصر أمام جبهة اَعـداءه مـن دون استثناء، و كلما تنظرون الى التاريخ، فستتجدون هذه القاعدة الثابتة: «اِنّـا

١- قائد الثورة (حفظه الله) في خطبتي صلاة الجـمعة بـطهران، ١٣٧٥/١٠/٢٨ هـ.ش (١٩٩٦/١/١٨م)

لننصرُ رسلنا»؛ اَي اَنّ النصر يتعلق بالأنبياء لا محالة.

اِحدىٰ المواضيع والأعمال التي كانت تتصدر اَعمال المستكبرين اِزاء الأنبياء، هي اَنهم كانوا يستحقرون الأنبياءو يستهزؤون بهم، اِذ اَنّ الله عزوجل يقول لنبينا محمد(ص): «و لقد استُهزيء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون» (سورة الأنعام/الآية رقم ١٠)، فنرىٰ اَنّ الله عزوجل يواسي حبيبه و يطمأنه بأنّ اُسلوب الإستهزاء والسخرية من قبل قادة الإستكبار، عمل رائج و دائم تجاه الأنبياء.

بطبيعة الحال، اِنّ هذه الآية لا تهدف الى جميع الأنبياء، كما يبدو اَنّ هناك آية اُخرىٰ في القرآن الكريم تشير الى استهزاء جميع الأنبياء(ع)، في حين اَنّ هذه الآية تقول لنبينا(ص) بأنّ الأنبياء الذين سبقوك قد واجهوا استهزاء من جانب المستكبرين؛ اَي الكثير من الأنبياء و من ضمنهم الأنبياء العظام كسيدنا عيسىٰ و موسىٰ و ابراهيم و نوح الذين استهزؤوا من قبلك؛ و ليس في هذا اِستغراب: اِلاّ اَن جميع المستهزئين الذين كانوا يسخرون من دين الله، واجهوا اِحباطاً فتحطموا و انهاروا اَمام هذا الدين و نفس الموضوع يحدث اليوم اَيضاً، اِذ اَنّ هذه الحركة والثورة هي الاُخرىٰ كحركة الأنبياء ثم اَنّ الحركة التي اَوجدها الامام الخميني الكبير(ره) في هذا البلد تشبه الى حد بعيد حركة الأنبياء.»[1]

١- كلمة القائد (حفظه‌الله) في خطبتي صلاة الجمعة في طهران، ١٣٧٥/١١/١٢ هـ. ش، (١٩٩٦/١/٣١ م).

حقيقة الغدير و معنىٰ الولاية

«الشيء الذي بإمكانه اَن يبقىٰ ثابتاً و خالداً بشكل تيار سيّال و علىٰ طول الأيام والسنين، ثم اَنّ أفراد البشر اَيضاً يتمكنون اَن يتخذوه نبراساً و يصيغوا حياتهم المستقبلية على غراره، هو ذلك المضمون والمحتوىٰ الذي يكمن في واقعة الغدير. نفس هذا الموضوع في حدّ ذاته مهم للغاية و يعتبر درساً كبيراً و يغطّي مساحة مهمة من الإسلام، إذ اَنّ الله عزوجل قد اَصدر اَمراً خاصاً هناك و على اَساس ذلك، يقوم النبي الاكرم(ص) بتعيين شخص خاصّ لتصدي منصب الولاية ـ خاصة و إنه شخص كعلي عليه السلام ـ و لعلّ اَساس الاسلام و ركنه الحقيقي يتجسد في هذا الموضوع بالذات، إذ اَنّ منزلة الغدير من الأهمية بمكان، حيث تقول الآية القرآنية: «و إنْ لم تفعل فما بلّغت رسالته» (سورة المائدة/الآية رقم ٦٧).

فما هي حقيقة الغدير و ما هي حقيقة هذا المنصب الذي حصل علىٰ هكذا اَهمية في القرآن و عندالله عزوجل ياترىٰ فلهذه المسألة اَبعاد مختلفة، إحداها تعني اَنّ إدارة و تسيير اُمور البشر لابد اَن يكون على اَساس الأوامر والنواهي الإلهية و لا ينبغي اَن تكون ضمن القوانين البشرية و هي تختلف عن جميع قضايا الإنسان، قد يستغل البعض هذا الجانب من الموضوع بشكل غير مبرر، حيث اَنهم ينسبوا اَغلبية اَفعالهم البذيئة و سلوكهم الشاذّ الىٰ ارتباطهم و اتصالهم بالله عزوجل، بطبيعة الحال، هناك احتمال بأن يحصل مثل هذا الاستغلال في مجال جميع حقائق العالم، حتىٰ اَنّ البعض قد استغل قضية النبوة اَيضاً لصالحه، فادّعىٰ النبوة و اَضلّ اَفراداً كثيرين من الناس و لا يجوز لنا اَن نتعامل مع هذه الأمور بشكل يكون موقفنا تجاه تلك

العظمة والشوكة موقفاً باهتاً مزلزلاً و ساذجاً. فهذه نقطه مـهمة، حـيث اَنّ موضوع إدارة اُمور المجتمع والصيرورة والمصير و ما يتمثل في صنع حياة البشر، موضوع يعود الى جوهر الإرادة الإلهية، ثم يرتبط بـقضية الاِتـصال بالله، فهذا اَحد اَبعاد هذا الموضوع.

امّا البعد الثاني الذي كنت اَنوي التأكيد عليه شيئاً ما هو التوضيح حول كلمة «الولاية» و مفهومها، حيث اَنها قد تكررت في واقعة الغدير: «من كنتُ مولاه، فهذا علي مولاه»، إذ اَنّ النبي الأكـرم(ص) عـبّر فـي هـذا الحـدث التاريخي والتنصيب العظيم، عن الحكومة بـ«الولاية»، و هناك تعابير مختلفة في اللغة العربية واللّغات الاُخرىٰ، لظاهرة الحكومة و الأخذ بزمام الأمـور والقدرة ـ اَي اَنّ شخصاً اَو جماعة تحكم مجتمعاً و تصدّر الأوامر والنواهي فيه ـ هذا و كل تعبير من هذه التعابير يشير الىٰ جهة خاصة و بعد خـاص، فمثلاً كلمة «حكومة» تشير الىٰ اَنّ هناك شخصاً اَو جماعة قد استولوا علىٰ رأس السلطة و هم الذين يحكمون الناس، لهذا من جـهته يـقوم المـجتمع والأفراد بالأطاعة والأمتثال لحكم رجال الحكومة، و كـذلك هـناك تـعبير آخر يسمىٰ السلطنة اَو الملوكيّة و هذا يعني التسلط والاقـتدار والسـيطرة علىٰ الأمور، و لابد من التذكير هنا باَنّ هذه التعبيرات مـوجودة فـي اللـغة الفارسية اَيضاً، إذ اَنّ كل كلمة و تعبير يرمز الىٰ جانب و زاوية خـاصة مـن مقولة «الحكومة»، في حين اَنّ الاسلام يؤكد علىٰ كلمة «الولاية» اَكثر من اَي تعبير آخر، و كـما اَسـلفنا جـاءت كـلمة الولايـة عـلى لسـان النـبي الأعظم(ص) بمعنىٰ الحكومة و كذلك في هذه الآية الشريفة: «إنما وليكم الله و رسوله...» (سورة المائدة/الآية رقم ٥٥) قد جاء التعبير عـن الحكـومة تـحت

عنوان «الولاية».

كلمة «الولاية» لها معاني عجيبة و رائعة و اَصل المفهوم في هذه الكلمة من حيث اللغة هو التقارب بين شيئيْن، و على سبيل المثال، اِفرضوا لو اَننا جئنا بحبليْن و فتلناهما مع بعض بشكل يصعب انفصالهما عن بعض، فهذا يقال له «ولاية» في اللّغة العربية. فالولاية معناها الاتصال والارتباط و اقتراب شيئيْن يمسّ اَحدهما الآخر و يتعانق معه بقوة. هذا و جميع المعاني المذكورة لكلمة «الولاية» في قواميس اللّغة ـ كالمحبة والرعاية والقيّومية و باقي المعاني الاُخرىٰ و التي تمتد الىٰ سبع اَو ثمانِ معاني في اللغة العربية ـ تدلّ بشكل اَو بآخر الىٰ بُعد من اَبعاد هذا التقارب والتواصل بين طرفي «الولاية». فمثلاً، «الولاية» تعني المحبة، لأنّ هناك ارتباط و اتصال معنوي و روحي بين المحبّ والمحبوب و لا يمكن فصلهما عن بعض.

والاسلام يأتي بكلمة «الولاية» ليعبّر عن الحكومة و لهذا يعتبر و يعرّف الشخص الأول والحاكم في المجتمع الأسلامي بـ «الوالي» و «الوليّ» و «المولىٰ» و هي من اشتقاقات كلمة «الولاية». فما معنىٰ هذه التعابير يا ترىٰ؟ معناها اَنّ الذي يترأس القدرة والحكومة والسلطة و كذلك بالنسبة لبقية العناصر التي بيدها زمام الأمور ـ حسب النظام السياسي في الاسلام ـ مرتبطة و متصلة و مندمجة مع الشعب والجماهير بحيث لا يمكن فصلها عن بعض، و من هذا المنطلق نحصل علىٰ الفلسفة السياسية للإسلام في مجال الحكومة، و كذلك نفهم بأن الحكومات التي لم تتصف بهذا التواصل والتقارب، لا تحمل صفة «الولاية»؛ اَي اَنها لم تنطبق على تلك المواصفات التي مهّد لها الاسلام في مضمار الحكومة. فلو فرضنا اَنّ هناك جماعة تحكم

الناس، لكنها لم ترتبط و لم تتصل بالشعب، فهذه ليست «ولاية»، و إذا كان هذا الأرتباط والأتصال يستند علىٰ قاعدة الخوف والرعب والمطاردة و بعيداً عن المحبة والوئام والأندماج، فهذه ليست بالولاية أيضاً. و إن تمكنت جماعة أن تستولي علىٰ زمام الأمور عن طريق الانقلاب، أو أن شخصاً إرتقىٰ أريكة السلطة والسلطنة عن طريق الوراثة والوصاية والنيابة، من دون أن يكون جديراً و حريّاً بالمواصفات الضرورية للحكومة ـ و هو شيء هام جداً في الحكومة ـ فهذه ليست «ولاية» أيضاً. بل إنّ الولاية لا تتحقق و لا تتبلور بشكل حقيقيّ إلاّ أن يكون هناك ارتباط و ثيق و عزيز و ودّي بين هذه الحكومة والشعب الذي سيحكمه و كما كان الأمر بالنسبة الىٰ النبي الأكرم(ص): «بعث من أنفسهم» و «بعث منهم»؛ أي أن يكون الحاكم والوالي منبعثاً من أنفسهم و منطلقاً من بينهم، أيّ من بين أفراد الشعب، ثم يأتي و يتبنىٰ قضية الولاية والحكومة. هذا هو أساس النظام في الحكومة الاسلامية.»[١]

حقيقة شكر النعمة و عرفان الجميل

«النقطة الهامة هنا هي أنّ العبد يتلقىٰ من ربّه النعمة، فلابد من التدقيق في كيفية تصرفه إزاء هذه النعمة، فنحن نقرأ في سورة الفاتحة: «... صراط الذين أنعمتَ عليهم، غير المغضوب عليهم ولاالضالين»، أي أنّ الذين يتلقون النعمة

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية المعظّم في لقاء له مع المسؤولين و رجال الدولة لنظام الجمهورية الاسلامية الايرانية، بمناسبة عيد غدير السعيد، ١٣٧٦/٢/٦ هـ.ش، (١٩٩٧/٤/٢٥ م).

أيضاً، قد يتحولون الىٰ «مغضوب عليهم» أو «الضالين»؛ كقوم بني اسرائيل، حيث قال لهم الله عزوجل مراراً و تكراراً: «أُذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم» (سورة البقرة/الآية رقم ٤٠)، ثم أنّ الله عزوجل قد أنعم عليهم بنِعَمه، في حين أن المقصود بـ«المغضوب عليهم» في سورة الفاتحة هم بني اسرائيل. لهذا لابد أن نكون حذرين ثم نراعي هذا الموضوع جيداً، فيما لو استلمنا النعمة من الله عزوجل، علينا أن نكون شاكرين لتلك النعمة، لئلا نصبح من «المغضوب عليهم» أو «الضالين» والحلّ يكمن في أن نشكر الله عزوجل على نعمه و منّه علينا.

أولادي الأعزاء! حقيقة الشكر هي أنّ الأنسان ينظر الى النعمة من أنها من جانب الله عزوجل، و هذا لا يعني أن يكتفي بذكر الشكر بلسانه فقط؛ بل لابد أن يصدّق ذلك كل أعضاءه و جوارحه و يقوم بالشكر بكل كيانه و يؤمن من أنّ النعم التي يتمتع بها هي من عندالله، و لا يسمح لنفسه أن يتصور بأنّه هو الذي قد هيّأ هذه النعم، لأنّ هذا التصور والتوهم سيؤدي الى الغضب من جانب الباري عزوجل والحرمان من النعم الالهية: «إنّما أُوتيته علىٰ علم» (سورة القصص/الآية رقم ٧٨)، فاذا زعمنا بأننا نحن الذين قد حصلنا علىٰ هذه المعلومات و هذه الأمكانات، هذا خطأ بطبيعة الحال، لأنّ القرآن الكريم يقول: «ما أصابك من حسنة فمن الله» (سورة النساء/الآية رقم ٧٩)، أي أن جميع النعم والحسنات التي تتلقونها، فهي من جانب الله عزوجل؛ أيضاً: «و ما بكم من نعمة فمن الله» و لقد علّمونا أن نردد في الدعاء هذا الكلام: «ما بنا من نعمة فمنك، لا اله الاّ أنت وحدك، لا شريك لك»، إذاً فكل النعم التي نمتلكها هي من الله عزوجل و أكثر ما في الأمر هو أننا قد نكون جديرين و محافظين

لتلك النعمة الالهية.

فهذا الشكر أمر مهم للغاية، ثم الشعور بأنّ النعم هي من جانب الله عزوجل، سيؤدي الىٰ حل و تسوية الخلافات والمعضلات، و ستسلب من الأنسان الغرور و الغطرسة والتفرعن والمفاخرة، من أجل امتلاك مثل هذه النعم، لأن الإنسان يشعر بأنه لم يكن صاحب هذه النعمة و لم تأتِ نتيجة مساعيه و جهوده بالذات و بصورة استقلالية، بل ما هو موجود يتعلق بوجود الباري عزوجل لأن الواهب الحقيقي هو و لابد أن يكون الطلب منه و استمرار النعمة منه أيضاً، و لابد أن نلتجأ و نتوسل اليه و نتضرع عنده، فهذا هو الطريق القويم والصحيح.»(١)

لا إدارة للعالم إلاّ بالورع والتقوىٰ

إنّ التقوىٰ ـ هذا العنصر والسبب العظيم ـ يؤثر في جميع مجالات الحياة، فانظروا كم تطرق القرآن الكريم حول التقوىٰ و لم يقتصر الموضوع علىٰ أنكم لمّا ترحلون من هذه الدنيا الىٰ عالم الآخرة، سيوافيكم الله عزوجل بالجزاء الحسن جراء تقواكم و ورعكم، لا لم يكن الأمر هكذا فحسب، بل إنّ التقوىٰ تقوم بادارة هذه الدنيا والأدارة الصحيحة لهذا العالم هي التي ستصنع تلك الحياة الأخروية، إذ أنّ افتقاد التقوىٰ سيؤدي الىٰ غفلة الأنسان والغفلة هذه سترديه صريعاً على الأرض و ستطيح برأسه مقلوباً و منكوساً.

إنّ الامام علي عليه السلام يشبّه التقوىٰ بالمطية السريعة والحصان

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية في لقاءه مع نوّاب مجلس الشورىٰ الاسلامي في ١٣٧٦/٣/٧ هـ. ش، (١٩٩٧/٦/٢٧ م).

النجيب الذي لا ينفر و لا يتمرد حيث يركبه صاحبه و يوجهه الى اَين يريد، و هذا الحصان بدوره يأخذ بصاحبه الىٰ المكان المقرر والمتفق عليه، من دون اَي تخوف اَو تشكيك و بالمقابل فقد شبّه(ع) الخطأ والعصيان بالفرس الجامح المطعون في اَصله والمتعثر في سيره، الذي ينتزع من يده الرسن والزمام و سيأخذه الىٰ مكان مجهول، لا يبغيه ثم يضرب به الأرض.»(١)

الاستسلام للظلم لا يقلّ سوءً عن القيام بالظلم والأضطهاد

اِنّ من يؤمن بالأسلام و من يلتزم بالدين ولو بشكل بسيط و قليل، لا يمكن له، اَن يخضع للتحكّم و يرضىٰ بالظلم والأضطهاد. و سوف لن يكون ذلك مبرراً منه لأنّ الاسلام يعتبر الظلم والتعدي والتجاوز أمراً مرفوضاً و شنيعاً بقدر ما يعتبر الأستسلام والخضوع للظلم، اَمراً غيرمقبول و مرفوض، فأنتم تلاحظون الامام السجّاد (عليبن الحسين) عليه السلام في دعاء «مكارم الأخلاق» يقول: «و لا اَظلِمنَّ و اَنت قادر علىٰ القبض مني و لا اُظلَمنَّ و اَنت مطيق للدفع عنّي»، فلا يمكن اَن يكون الشخص مسلماً، مؤمناً بالأسلام و في نفس الوقت يرضخ لظلم و جور هذا و ذاك، فكيف لو كان هذا الظلم والأجحاف من قبل العدو القديم للشعب الايراني، اَي اَمريكا المجرمة التي طالما سعت علىٰ إصابة هذا الشعب بضرباتها الغاشمة، إذ لم يكن ذلك صحيحاً و هم يعلمون هذا بالكامل و من هذا المنطلق نرىٰ اَنهم يكرهون و يعادون نظام الجمهورية الاسلامية بكل وجودهم و يتحيّنون الأوقات و

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية في لقاءه مع القادة والعاملين في حرس الثورة الاسلامية في ١٣٧٦/٦/٢٦ هـ. ش، (١٩٩٧/٩/١٦).

ينتهزون الفرص لمعارضته و محاربته؛ لأنهم يوقنون بأن الشعب الايراني و نـــظام الجـمهورية الأسـلامية سـوف لن يـرضخ لمـظالهم و تـحكّماتهم التعسفيّة.»(١)

النقاط الهامة في البعثة النبوية الشريفة

«بامكاننا أن نحصل على الرسالة التي توجهها البعثة النبوية الشريفة لنا من القرآن الكريم مباشرة و بهذه المناسبة سأشـير الى جـانبين مـن هـذه الرسالة الخالدة، حتىٰ تدركوا مدىٰ أهمية هذه البـعثة بـالنسبة لنـا. نـحن المسلمين و كيف أن البعثة النبوية تضع أمامنا المنهج والطريق الأمثل:

الجانب الأول من هذه الرسالة التي قد أشار اليها القرآن الكريم في بعض الآيات و من جملتها هذه الآية التي تقول «بسم الله الرحـمن الرحـيم، آلـر، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور» (سورة ابراهيم/الآية رقم ١ و ٢)، إذ أنّ الرسالة هنا هي الخروج من الظلمة والدخول الىٰ النور.

لم يكن النور والظلمة بالشيء المعقد في المجالات‌المختلفة حتىٰ يكون هناك التباس أو اشتباه، لأن الاسلام و رسالة البعثة النـبوية يـعملان عـلىٰ خروج الانسان من ظلمات الجهل والآداب والتـقاليد السـيئة والأخـلاق المذمومة والفتن الرائجة بين البشر والخرافات التي تسـتولي عـلى أفكـار الناس و تؤدي الىٰ انحرافهم عن الطريق السويّ، و ظلمات الظلم و الطغيان، و كل هذه ظلمة و ظلام والاسلام يأتي ليخرج الإنسان مـنها و يـهديه الىٰ

١- لقاء قائد الثورة الاسلامية المعظّم مع ثلّة من الشـباب، بـمناسبة أُسبوع الشـباب، ١٣٧٧/٢/٧ هـ. ش، (١٩٩٨/٤/٢٦ م).

النور الذي يسطع و يتوهج أمامه.»[١]

أهل التقوىٰ، هم أصحاب القرار في صياغة جميع الحركات والتصميمات المستقبلية

«هناك نقطة أساسية و مهمة جداً في القرآن الكريم ـ و لا بأس أن أذكرها لكم؛ أعزائي الشباب ـ و هي التركيز علىٰ التقوىٰ، عند ما يريد شخص أن يجسّد التقوىٰ عند نفسه، تترأىٰ له الصلاة والصيام والعبادة والأذكار والأدعية، و قد تكون جميع هذه الأعمال مرتبطة بالتقوىٰ، لكنها لا تعكس و لا تفسّر التقوىٰ بشكل كامل و شامل، بل إنّ التقوىٰ تعني أن يكون الإنسان مراقباً على نفسه و كذلك التقوىٰ تعني أنّ الأنسان يكون على علم بما يقوم به و بما يفعله أو يقوله، ثم يختار كل حركة تصدر منه تحت إشراف إرادته و فكرته و تصميمه؛ كالذي قد ركب حصاناً سريع الجري، فأمسك بلجامه و هو يعلم الىٰ أين سيذهب؛ هذه هي التقوىٰ، في حين أنّ الذي لم يتحلىٰ بالتقوىٰ، فسوف لا تكون حركاته و قراراته و مستقبله تحت اختياره و كما جاء في بيان الامام عليبن ابيطالب عليه السلام في إحدىٰ خطبه في نهجالبلاغة، فهو كشخص قد أجلسوه علىٰ فرس جامحة، لا أن يكون قد ركبها بنفسه و حتىٰ و لو ركبها بنفسه، لكنه لا يجيد الفروسية و ركوب الخيل، تراه قد أمسك بلجام هذا الفرس، في حين أنه لا يعرف كيف يتصرف و لا يعلم الىٰ أين سيذهب به، و الىٰ أي جهة سيأخذه، فهو سيكون مجبر

١- لقاء قائد الثورة الاسلامية المعظم مع جمع غفير من طلبة المدارس والجامعات بمناسبة يوم الطالب؛ ١٣٧٦/٨/١٣ هـ. ش، (١٩٩٧/١١/٣ م).

للذهاب الیٰ اینما ذهب!، و سوف لن ینجو من هذه المخمصة اَبداً، لأن هذا الحصان اَیضاً (النفس الأمّارة) جـامح مـارد و لا یـمکن التـحکم فـیه اِلاّ بالتقویٰ.»[۱]

الهدف من تکرار اسم الشیطان و مفهوم الشیطنة في القرآن

من اَجل اَن یتمکن الاسلام اَن یضمن السعادة للـناس، فـلابد اَن یـقوم بمحاربة و مکافحة العوامل والعناصر التي تتصدیٰ ضد الانسانیة والأنسان و تستمد حیاتها عن طریق هذه المعارضة، و لهذا فهناك جهاد و کفاح مریر في الاسلام و لقد جاء اسم الشیطان و مفهوم الشیطنة في جمیع اَقسام القرآن اَکثر من غیره من المفاهیم والتعابیر، حتیٰ لا ینسَ الناس الشیطان و حضوره في الحیاة البشریة.»[۲]

من هم المنـافقون؟

القرآن یتکلم عن بعض الأشخاص ـ في صـدر الاسـلام، اِبّـان طـلوع الاسلام ـو یصفهم بالمنافقین: «في قلوبهم مرض»، فهؤلاء اُناس محایدون، لا یقومون بأي عمل، جبناء و منعزلین عن معترك الحیاة و من طلاّب العیش الرغید في اَوقات الحرج والظروف الصعبة و عند مواجهة الأعداء و مـا اَن

۱- لقاء قائد الثورة الاسلامیة المعظّم مع رجال الدولة بـمناسبة عـید المـبعث النـبوي الشریف، ۱۳۷٦/۹/۷ هـ. ش، (۱۹۹۷/۱۱/۲۷ م).

۲- کلمة القائد المعظّم في حشد کبیر مـن الجـماهیر بـمدینة «آمـل»/شـمال ایـران، ۱۳۷۷/۳/۲۱ هـ. ش، (۱۹۹۸/٦/۱۰ م).

تشتد الأزمات و تتفاقم المشكلات في المجتمع، يغيبون عن الساحة! «فاذا جاء الخوف، رأيتهم ينظرون اليك» (سورة الأحزاب/الآية رقم ١٩)، أي أَنهم يشخّصون أَنظارهم اليك و كأن الموت قد تماثل أَمامهم! لماذا؟ لأنهم يخافون من الموت! و لأنهم يشعرون بالخطر المحدق، و ما أَن ينتهي إِنذار الخطر و لمّا لم تكن هناك ساحة تُظهر الجوهرة الحقيقية للإنسان و عندما كانت الساحة انتهازية: «فاذا ذهب الخوف، سلقوكم بألسنة حدادٍ، أَشحَّةً على الخير» نفس السورة والآية.

فهؤلاء هم الذين يغيبون و يختفون عن ساحات المروءة والبسالة و يفرون من ميادين الجهاد والمقاومة والتضحية! في حين تراهم يتواجدون في مشاهد و مواقف لا تهددهم بخطر ـ في ظاهر الأمر ـ فيتطاولون بألسنتهم علىٰ المؤمنين و علىٰ الشباب التعبويين (أَعضاء البسيج) و عوائل الشهداء، فهذه المواقف لم تكن منعطفات مشرفة حتىٰ ينظر اليها القرآن الكريم باعجاب و قبول.»[١]

التحرر من الالتزامات والتحالفات المفروضة والقيود والتقاليد الاجتماعية الخاطئة

«قضية «الحرية»، مقولة جاءت في القرآن الكريم و كلام الأئمة المعصومين عليهم السلام بصورة مؤكدة و مكررة، بطبيعة الحال إن ما نقصده هنا حول الحرية، لم يكن بمعنىٰ الحرية المطلقة السائبة التي لا يشجعها أَحد في العالم و لا يتبع نهجها شخص علىٰ وجه الأرض، لا أَتصور أَن يكون هناك

١- نفس المصدر.

فرد في الدنيا يدعو الى الحرية المطلقة ،بل لا نقصد أيضاً تلك الحرية المعنوية الموجودة في الاسلام و هي في أعلىٰ مستويات المعارف الإسلامية، حيث أنها لم تكن في إطار موضوعنا الآن. فالحرية المعنوية شيء يقبلها جميع الذين يؤمنون بالقيم والمعنويات و لم تكن محل رفض أو شك، بل إنّ «الحرية» التي نقصدها هنا، هي «الحرية الاجتماعية»، كحقّ إنساني يسمح بالتفكير والتعبير عن الرأي والاختيار و ما شاكلها من الممارسات الأُخرىٰ، حيث أنّ هذا الموضوع قد أُشيد به في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فالآية رقم ١٥٧ من سورة الأعراف تقول: «الذين يتّبعون الرسول النبي الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل، يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يُحلّ لهم الطيبات و يحرّم عليهم الخبائث، و يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم»، إنّ الله قد جعل من مواصفات الأنبياء(ع) أن يرفعوا عن أعناق الناس الأغلال والقيود و يُبعدوا عنهم «الأصر»، أي الالتزامات التعسفية المفروضة علىٰ الناس، إذ أنّ هذا التعبير له مفهوم عجيب و وسيع جداً، فاذا ما تصورنا أوضاع المجتمعات الدينية و غيرالدينية في تلك الفترة، و كما تعلمون إنّ «الأصر» ـ أي التعهدات والتحالفات المفروضة على الناس ـ تشمل على الكثير من الأفكار والعقائد الخرافية الباطلة والكثير من القيود الاجتماعية الخاطئة التي فرضت على الناس عن طريق الأستبداد أو التحريف أو التحميق، ثم أن المقصود من «الأغلال» أيضاً واضحة.»[١]

١ـ كلمة قائد الثورة المعظّم في حفل تخرج بعض الطلاب من جامعة «تربيت مدرس»، ١٣٧٧/٦/١٢ هـ. ش، (١٩٩٨/٩/٢ م).

الحرية الاجتماعية في القرآن الكريم هي لصالح القيم والمعنويات و ارتقاء المجتمع الىٰ حياة افضل

«الحرية الاجتماعية التي يدعو اليها القرآن و يقيّمها الاسلام، إذا ما أَصبحت في خدمة تهشيم و تبديد الانجازات القيّمة، المادية أو المعنوية لشعب و استخدمت بشكل سلبي، فستكون ضارّة و مخربة، لحياة الأنسان تماماً: «من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً» (سورة المائدة/الآية رقم ٣٢)، حسب منطق القرآن الكريم، يعتبر قتل الشخص الواحد كقتل جميع الناس، و هذا مفهوم عجيب للغاية. فالذي يمدّ يده ليقتل إنساناً واحداً، كالذي قام بقتل جميع الأنسانية، لأنّ هذا العمل هو انتهاك لحريم البشرية جمعاء، في حين أَنّ هناك استثناءات يشير اليها القرآن: «بغير نفس أو فساد في الأرض» و هذا طبعاً لا يقيد الحرية، كما أَنه لم يقيّد حق الحياة أَيضاً ذلك لأنّ القيم والحقائق ثابتة و بديهية.»[١]

حدود و ثغور الحرية

«ليست الحرية كذبة أو خدعة و ليست الحرية نشر و بثّ الأشاعات والأخبار المزعجة المزيفة، و في هذا المجال، لي عتاب على الأخوة المفكرين والباحثين، لماذا لا يراجعون المصادر والموضوعات الاسلامية بصدد قضية الحرية، حيث أَنّ القرآن، يقول في (سورة الأحزاب، الآية رقم ٦٠) «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمُرجفون في المدينة، لنغرينَّك بهم»، فأنت ترىٰ المُرجفين و المنافقين والذين في قلوبهم مرض،

١- نفس المصدر.

في خندق واحد؛ أي أنّ هذه التكتلات الثلاثة في جبهة واحدة و مع بعض، والمقصود بالمرجفين؛ هم الذين يُرعبون و يخيفون الناس دوماً.

أمامنا مجتمع فتي، قد وقف على سوقه توّاً، لكن أعداءه كثيرون و أعضاء قوات التعبئة؛ (البسيج) الموالين للقرآن والسائرين على درب النبي(ص)، لابد أن يكونوا مستعدين من ناحية المعنويات للدفاع عن الوطن و عن هذا النظام العظيم الشعبي، لكن هناك جماعة تهاجم الناس كالجذام لتصادر أملهم و استبشارهم بالخير، فتثبط من عزائمهم و تثني شموخهم و صلابتهم، هؤلاء هم المرجفون، حيث أنّ القرآن الكريم يقول: إن لم ينته المرجفون الذين يُشيعون الشائعات و يهددون الشعب بشكل مستمر و يقتلون الأمل في قلوبهم و يمنعون الناس من الحضور في الساحة والإقدام أثناء المعركة، فان لم ينته هؤلاء «لنغرينك بهم» أي سنجعلك تحمل عليهم و تقوم بمهاجمتهم، هذه هي حدود الحرية و على هذا الأساس نقول بأن الحرية ـ حسب منطق الاسلام ـ تختلف عن باقي أنواع الحريات لأنها تعتمد حدود القيم والأخلاقيات.

والفرق الآخر للحرية الإسلامية مع الحرية ـ حسب النظرية الليبرالية الغربية ـ هو معارضتها مع «الواجب»، فالحرية الغربية تعني التخلص والتحرر من «الواجب»، في حين أن الحرية الاسلامية هي الوجه الثاني لمسكوك «الواجب»، والناس أحرار أصلاً لأنهم مكلّفون و إن لم يكونوا مكلفين، لما كانت الحرية ضرورية و لكانوا كالملائكة.»[١]

١- نفس المصدر.

الشهادة منحة اِلهيّة و عطية ربانيّة

«التعبير عن الشهادة عندالله عزوجل، هو تعبير خاص، فمن وجهة نظر القرآن، القتل في سبيل الله لم يكن موتاً: «اَفإن مات أو قُتل» و لا يساوي بين القتل في سبيل الله والموت العادي، بل حسب المعيار الإلهي و من وجهة نظر الدين الأسلامي والقرآن، فإن القتل في سبيل الله يحمل مفهوماً آخر و يتصف بالمعنىٰ الراقي والمفهوم السامي للموت، و علىٰ هذا الأساس، فمن تشمله هذه العطية والهدية الألهية والعناية الربانية ليكون شهيداً في سبيل الله و لهذا، فسيكون شاكراً لله عزوجل.»[١]

الثقافة؛ هي الهوية الجماعية للشعب

الثقافة، مجموعة سيّالة ترتبط بالإنسان مباشرة و هي نتيجة الرسوم والتقاليد والاعتقادات التي تخصّ المجتمع، و مما لا شك فيه، اَنّ بعض هذه العادات والاعتقادات قد تكون تلقائية، جاءت من الأجيال السالفة الىٰ الجيل الحاضر والبعض الآخر منها اكتسابية و هي من معطيات مساعي الجيل الحاضر؛ و في الحقيقة اَنّ الثقافة هي الهوية والجنسية الجماعية للشعب؛ الهوية الجماعية التي تفرض علىٰ الجميع اَن يحافظوا عليها و يقوموا بحراستها و يدافعوا عنها و بامكاننا اَن نرىٰ هذه المفاهيم في القرآن الكريم: «ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن اَسلحتكم و اَمتعتكم فيميلون عليكم

١- كلمة لقائد الثورة الاسلامية المعظَّم بين جمع غفير من عوائل الشهداء في القوات المسلحة و مؤسسة «جهاد الاعمار و إعادة البناء»، ١٣٧٧/٧/٥ هـ. ش. (١٩٩٨/٩/٢٦).

ميلة واحدة» (سورة النساء/الآية رقم ١٠٢)، أي أنّ عدوكم يرغب في أن تغفلوا عن شيئين: «أسلحتكم»، التي ترمز الى الدفاع والاستعداد العسكري و «أمتعتكم» التي تمثل ـ في الحقيقة ـ كلّ ما تملكون من رؤوس أموالكم و...، لهذا فإن غفلتم أو تغافلتم عن حقيقة «الدفاع» و جوهرة «رأس المال»، حينئذ: «فيميلون عليكم ميلة واحدة» و سيكون الهجوم مباغتاً و ستكون الغارة الليلية الجبانة من قبل الأعداء جماعية، حيث لا توجد تحصينات و دروع بشرية تدافع عن الحدود والثغور والبلاد والمدن و لهذا سيكون التوغل والهجوم سهلاً و ممكناً.»[١]

القرآن يُفتي في الأزمات العائلية

«نحن نشاهد في تاريخ الاسلام بأنّ أول شهيد من المسلمين، هو «إمرأة»، و نحن نرىٰ الكثير من هذا العطف والالتفات من جانب الدين الأسلامي للمرأة، و عندما تحدث بعض الأزمات الحادّة للنساء في إطار العائلة، تأتي مداخلة لطيفة من الدين و عن طريق القرآن الكريم كأُطروحة لحل الأزمة ـ و قد جاء ذكر هذه الأُطروحة بأشكال مختلفة و مكررة ـ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» (سورة البقرة/الآية رقم ٢٢٩)، حيث يؤكد القرآن علىٰ هذه النقطة بأنّ الحياة العائلية لابد أن ترتكز على هذا الأسلوب والمنهج، والدين سوف لا يرضىٰ بشيء غير هذا، إمّا أنْ يكون هناك استمرار و مواصلة للحياة العائلية على أساس التعامل بالمعروف

---

١ ـ كلمة القائد المعظّم مع جماعة من النسوة بمناسبة عيد ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ١٣٧٧/٧/١٨ هـ. ش، (١٩٩٨/١٠/٩ م).

والسعادة والبهجة و إمّا الانفصال والطلاق؛ لكن الطلاق هذا أيضاً يجب أن يكون علىٰ طريقة العدل والإحسان.»[١]

الألتزام بالدين يؤدي الىٰ السكينة والطمأنينة

«إنّ من إحدىٰ وظائف و واجبات رجال الدين والعلماء المذهبيين ـ حيث أنّ هذه المسؤولية أيضاً تعتبر من مصداقيات عملية التبليغ ـ هو أن يبعثُوا بالطمأنينة والسكينة في قلوب المؤمنين: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» (سورة الفتح/الآية رقم ٤) السكينة تعني الإستقرار النفسي والفكري والحالة المناقضة لهذا الإستقرار والإطمئنان هو التوتر الفكري والإضطراب النفسي و عدم التحكّم في الأفكار والإحساسات الموجودة لدىٰ الشخص، حيث تدفع به الىٰ أنواع الشقاء الفردي والأضطراب الاجتماعي، فلو اطّلعتم اليوم علىٰ القضايا الجديدة في العالم المتطور والمشحون بالتقنيات والعلوم والصناعات المتفوقة والتقدم العلمي في الدول التي تدّعي زعامة العالم ـ أي أُوروبا و أمريكا ـ لأدركتم بأنّ من أكبر المشاكل التي يعاني منها الغرب الآن، هي أزمة افتقاد حالة السكينة والاطمئنان.

و لابد من التذكير هنا بأن السكينة والاطمئنان الذي يعلمنا القرآن و يوصينا به، تختلف تماماً عن حالة الشخص الذي أخلد الى النوم مثلاً أو أنّ النوم قد أخذه و استولىٰ عليه، و كذلك تختلف عن حالة التخدير والغيبوبة، و أهمية الدين الحقيقي والسليم هو أنه لايكون كالمخدّر للناس، بل بالعكس،

١- نفس المصدر.

يسلب منهم حالة التخدير الفكري والنفسي التي أُصيبوا بها، تحت ظروف و عوامل مختلفة، حيث يقوم بازالة هذه الغفلة لأيجاد اليقظة والوعي فيهم، فيرجعوا الىٰ أنفسهم و في نفس الوقت تعمل علىٰ إنقاذهم من التخبّط والتشويش الفكري. والدين الصحيح السليم يبعث على السكينة والاطمئنان والهدوء والثقة بالنفس والاتّكال علىٰ الله والاستبشار بالمستقبل في الأنسان، و لهذا فانّ إيحاء و إلقاء هذه الحالة في المؤمنين والمخاطبين و اَفراد الشعب، لهي من الوظائف و الواجبات المهمة التي يجب اَن يقوم به المبلغون.»[١]

المارقون و الهاربون من الألتزامات الدينية

«المارق يعني الفارّ والهارب، و قد جاءت هذه التسمية للخوارج و يقال بأنهم كانوا يتهربون و يفرون من الدين، كما يفرّ السهم من القوس، فعندما تضعون السهم في القوس، ثم تبادرون بالأطلاق، عندها سينطلق السهم فارّاً من مكانه، فيندفع الىٰ الأمام و يبتعد عن محل إنطلاقه. فهؤلاء اَيضاً قد تباعدوا عن الدين بهذا الشكل، بطبيعة الحال، هؤلاء كانوا متمسكين بظواهر الدين و يكررون ذكر الدين، و هؤلاء هم الخوارج، اَي تلك الجماعة التي أسست قواعد و مباديء اَعمالها علىٰ الفهم والإدراك الأنحرافي و هو شيء خطير للغاية، حيث اَنهم لم يتعلموا الدين من الامام علي‌بن ابي‌طالب عليه السلام الذي كان مفسّراً للقرآن و عالماً بعلم الكتاب، في حين اَن تنظيمهم و

١- لقاء قائد الثورة الاسلامية المعظّم مع جماعة من رجال الدين والمبلّغين، على أعتاب حلول شهر رمضان المبارك في ١٣٧٧/٩/٢٣ هـ. ش، (١٩٩٨/١١/٢٩ م).

تنسيقهم كان بحاجة الى سياسات خاصة و هذه السياسة كانت توجه اليهم من مكان آخر. الموضوع المهم هنا هو اَنّ اَعضاء هـذه الفـئة كـانت عـلى استعداد تام لتجيب عن كل سؤال بآية من آيات القرآن و كانوا يحضرون في صـلاة الامـام عـلي عـليه السـلام، ثـم يـقرؤون آيـة تـمسّ بكـرامـة اميرالمؤمنين(ع) و كانوا يتواجدون في المجلس الذي كان يخطب فيه الامام علي(ع)، ثم ينهضون من مكانهم لتلاوة آية تؤدي الى جرح كرامـة الامـام علي عليه السلام، و كانوا يشدّدون على شعار «لا حكم اِلّا لله» و معنىٰ ذلك هواَتنا؛ نحن لم نؤيد حكومتک، بل نحن نوالي حكومة الله.»[١]

ذكرىٰ و مواصفات القوىٰ الشريرة في القرآن الكريم

«الشيطان في القرآن، هو انعكاس للقوىٰ الشـريرة والمـفسدة الفـاسدة المنحطّة، التي تصطف اَمام الأنبياء(ع): «و كذلك جعلنا لكـلّ نـبي عـدوّاً شياطين الأنـس والجن» (سورة الأنعام/الآية رقم ١١٢) و قد تكررت ذكرىٰ و مواصفات الشياطين في القرآن كثيراً و قد جاء ذكرهم طوال نزول الوحـي علىٰ قلب الرسول(ص) و هذا يشير الى أننا يجب اَن لا ننسىٰ و لا نغفل عن ذكر هذا العدو في المجتمعات الاسلامية.»[٢]اط

١- كلام قائد الثورة الاسلامية المعظّم في صلاة جمعة طهران، ١٣٧٧/١٠/١٨ هـ. ش، (١٩٩٨/١/٧ م).

٢- نقلاً عن رسالة قائد الثورة الاسلامية المعظّم لحجّاج بيت الله الحرام، ١٣٧٧/١/١٢ هـ. ش، (١٩٩٨/٣/٣١ م).

التقوىٰ؛ هي المراقبة و عدم الضلال والضياع

«الشيئ المهم بالنسبة للإنسان هو أن تتمحور حياته علىٰ الوعي والمراقبة و عدم الضلالة والابتعاد عن الهدف والتحرّف عن السبيل والتصميم والعزيمة القوية الحاسمة للوصول الى الأهداف والغايات المرسومة، فهذه المراقبة التي تؤدي الىٰ الحركة والمضي بشكل صحيح و سليم، هي تلك الحالة التي تسمىٰ في العرف الاسلامي و في الثقافة القرآنية بـ «التقوىٰ»، فاذا ما تأملتم القرآن الكريم ستجدون جميع الخيرات والبركات مرتبطة و مرتكزة علىٰ التقوىٰ، الخيرات الأخروية والمعنوية والروحية من جهة و كذلك الخيرات المادية والاجتماعية الدنيوية، كلها متصلة بالتقوىٰ: «ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» (سورة الأعراف/الآية رقم ٩٦) أجل فإنّ التقوىٰ تجعل الحياة حلوة و بهيجة و ستنتهي الى مرحلة العزّة والكرامة للمؤمنين و اليأس والفشل للمعادين، فالمقصود من المراقبة التي جاءت في الكتاب والسنة، هي هذه التقوىٰ.»[١]

آثار و نتائج التقوىٰ في حياة الانسان

«إنّ من إحدىٰ آثار و نتائج التقوىٰ، هي أنّ الله عزوجل يبارك في أعمالنا، فاذا ما لاحظَ الإنسان تلك الآثار التي يذكرها القرآن الكريم إثر التقوىٰ؛ سيستلم ردّاً شافياً و جواباً كافياً لجميع احتمالاته و خواطره و وساوسه الفكرية: «و من يتق الله، يجعل فرقاناً» (سورةالأنفال/الآية رقم٢٩) أي أنّ الله

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية في لقاءه مع القوات النظامية بمناسبة يوم الجيش، ١٣٧٨/١/٢٥هـ. ش، (١٩٩٩/٤/١٣م).

عزوجل يمنح حالة الفرقان للمتقين و هي حالة البصيرة التي يفرّق فيها الأنسان بين الحق والباطل و من هنا سوف لا يختلط علينا طريق الحق والباطل، بل سيكون الطريق مفتوحاً، لأنّ الانسان عندما يعرف الحق و الباطل، فستكون حركته نحو الهدف بمعنويات عالية و شجاعة كبيرة: «و من يتق الله يجعل له مخرجاً» (سورة الطلاق/الآية ٢)، هذه الحالة تخلّص الإنسان من الضيق والحرج و تهيأ له طريق النجاة والفرج: «و يرزقه من حيث لا يحتسب» (نفس السورة/الآية رقم ٣)، أي أنّ الله عزوجل سيسوق اليه الرزق من حيث لم يفتح له حساب و لم يقدّر له تقدير.»[١]

القلوب المختومة والأفئدة المغلقة

«إنّ الله عزوجل يخاطب بني‌اسرائيل في إحدىٰ الآيات القرآنية قائلاً: «فما زلتم في شك مما جائكم به» (سورة المؤمن/الآية رقم ٣٤)، حتىٰ أن يوسف عليه السلام لمّا كان في ذروة الاقتدار و كان الحق الالهي يسطعُ من وجهه الكريم و من ذاك النظام اليوسفيّ المتين كالشمس الزاهرة، لكن جماعة من بني‌اسرائيل كانوا لا يفهمونه، حتىٰ إرتحل يوسف عليه السلام الى رحمة الله، فقالوا: سوف لا يأتي نبي بعد يوسف! فبعض القلوب مختومة و مغلقة لا تقبل الحق، ثم تواصل الآية حديثها: «كذلك يطبعُ الله علىٰ كل قلب متكبّر جبّار» (نفس السورة/الآية رقم ٣٥)، أو «من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» (نفس السورة/الآية رقم ٢٧)»[٢]

١- كلمة قائد الثورة الاسلامية في لقاءه مع رئيس الجمهورية و مجلس الوزراء بمناسبة أُسبوع الحكومة، ١٣٧٨/٦/٢ هـ. ش، (١٩٩٩/٨/٢٣ م).

٢- كلمة قائد الثورة الاسلامية المعظّم في لقاءه مع القادة و جمع غفير من أعضاء حرس

الحقائق القرآنية

«المشكلة التي تعاني منها الشعوب اليوم، هي أنهم يشعرون بالضعف والتخاذل عندما يصطف أمامهم الأعداء الأقوياء، أنظروا الىٰ الترتيبات الأمنية والعلاقات الدبلوماسية في ميادين الجغرافيا السياسية للعالم، ثم دققوا في تلك القوىٰ التي تعتبر كل أشياء العالم تابع لها، ثم أن الشعوب ليس لها محل من الأعراب! و قد استولوا و اغتصبوا جميع المصادر الإنسانية والمادية و استأثروا بها ـ أي أنّ ذلك لا يحدث سوىٰ عن طريق القوىٰ الاستكبارية ـ تأملوا مليّاً حتىٰ تفهموا و تدركوا بأنّ هذه القوىٰ العالمية الاستكبارية علىٰ أي شيء ترتكز و تستند؟ إنّ من أهم الأشياء التي يتكئون عليها بالدرجة الأولىٰ هي التظاهر للشعوب بأنّ قدرتهم و قوتهم لا تنثني و لا يمكن معارضتها أوالوقوف أمامها. فاذا ما خاطبتم المثقفين في بلدان العالم الثالث ـ و من ضمنها الدول الإسلامية ـ أو رجال السياسة أو افراد الشعب، لو سألتهم: لماذا لاتقومون بحركة و نهضة، تستعيدون فيها حقوقكم الوطنية المضيّعة، الجواب الذي ستسمعونه هو أننا لا نقدر على ذلك، لأننا ليست لدينا القدرة والقوة الكافية للقيام بهذه الحركة والنهضة و لأن أصحاب القوىٰ الكبرىٰ قد أخذوا منّا كل شيء و لهذا ليس بإمكاننا أن نثبت ذاتنا و نبرز شخصيتنا أمام هذه القوىٰ التعسفية! فهذا هو منطق الذين يتخبطون في المواقف المتخاذلة الضعيفة في دول العالم، لكن الحقيقة القرآنية تعلن عكس هذا الموضوع و تقول بأن الناس، إذا ما استندوا علىٰ طاقاتهم الذاتية

⇦ الثورة الاسلامية بمناسبة عيد ميلاد الأمام الحسين‌بن علي(ع) (الثالث من شعبان؛ يوم الحرس)، ١٣٧٨/٨/٢٢ هـ. ش، (١٩٩٩/١١/١٢ م).

ـ أي أنهم اعتمدوا الايمان و والإرادة والاتحاد والتضحية ـ فسوف لن تتمكن أي قدرة أن تطيق الصمود أمامهم، ففي عهد الطاغوت (نظام الشاه البائد في ايران)، لقد رتكبنا ـ نحن أبناء الشعب الايراني ـ هذا الخطأ الكبير؛ أي لو كان أحد يسأل منّا في تلك الفترة بأن نظام الطاغية قد سرق النفط من البلاد و استأثر بالمصادر والمنابع الأُخرىٰ و قد قام بتسليط أمريكا علىٰ ايران، بل و أخذ كل القيم و أفسد تاريخ هذا الشعب، فلماذا لا تنهضون و لا تقاومون هذا التيار المخرّب. الجواب الذي كنتم تسمعونه من المثقفين والسياسيين آنذاك هو: ليس باليدحيلة و ليس بمقدورنا أن نفعل شيئاً!

لكن حركة الامام (ره) والدرس الكبير الذي قدمه، بل و أكبر خدمة قدّمها الامام الراحل(ره) للشعب الايراني و باقي الشعوب الأُخرىٰ هي أن أثبت سماحته(ره) عكس هذه الرؤية الفاشلة، و لهذا خاطب الشعب الأيراني بأنكم تقدرون و لديكم قدرة القيام على ذلك، لابد أن تصمموا و تعقدوا العزم والعزيمة، لابد أن تتخذوا القرار و تستعملوا إرادتكم الراسخة، لابد للنخبة والرموز والذين يؤثرون علىٰ أفراد الشعب أن يدخلوا الساحة و لابد للناس أن يستعدوا للتضحية والفداء، في تلك الحالة، سيتحقق كل شيء و ستحصلون علىٰ جميع أنواع النجاح والانتصار و قد كان سماحة الامام(ره) أول شخص دخل الساحة و خاض المعركة.»(١)

١- كلمة القائد المعظّم في اجتماع مواكب العزاء الضخمة في الصحن المطهر لمرقد الامام الخميني(ره) بمناسبة ذكر ارتحاله المؤلم ١٣٧٩/٣/١٤ هـ. ش، (٢٠٠٠/٦/٣ م).

الصلاح والإصلاح بعد القيام بالتوبة

«بعض الأعمال تحتاج الىٰ التوبة والبعض الآخر لا تحتاج الى التوبة، لأن الصلاح والإصلاح فيه مستحيل، اُنظروا الى القرآن الكريم كيف يذكر عبارة «و اَصلحوا» بعد موضوع التوبة «اِلاّ الذين تابوا و اَصلحوا». ففي بعض الأحيان، تتعلق التوبة بأعمالنا الشخصية، حيث اَننا نرتكب مثلاً بعض الأخطاء والذنوب في القضايا الفردية و لهذا نتوجه الى الله تعالىٰ و نقول: «ربنا لا تؤاخذنا اِنْ نسينا اَو اَخطأنا واعفو عنا و ارحمنا...» (سورة البقرة/الآية رقم ٢٨٦)؛ و بهذا ينتهي الموضوع و يغلق الملف، في حين اَن هناك بعض الذنوب تؤثر في المجتمع بصورة مباشرة، فتؤدي الىٰ ايجاد بعض الحالات الجديدة أو تنتهي الىٰ اِزالة بعض الحالات الاُخرىٰ والتوبة في هذا المجال هو اَن يظهر الاصلاح في مثل هذه الحالات السلوكية الشاذة، و لكن هل يمكن اَن نقوم بالاصلاح دوماً؟ و هل يمكن اَن نُعيد الأمور الىٰ مجاريها العادية بصورة دائمة؟ و علىٰ هذا الأساس، فلابد من التدقيق والمراقبة اكثر فأكثر.»[١]

الغربيون، متأخرون عن الاخلاق والمعنويات، اَكثر من ١٣ قرناً قياساً بالاسلام

«اِنّ النساء رائدات في الحركات المعنوية ـ علىٰ الصعيد الاجتماعي و

١ـ كلمة القائد المعظّم في لقاءه مع المسؤولين في السلطة القضائية و عوائل شهداء فاجعة السابع من تير، [ذكرىٰ استشهاد الدكتور بهشتي و ٧٢ آخرين من كبار المسؤولين و النوّاب في المجلس] ١٣٧٩/٤/٧ هـ. ش، (٢٠٠٠/٦/٢٧ م).

الإنساني ـ باتجاه التقدم والرقي و لهذا فعندما يريد القرآن الكريم أَن يذكر نموذجاً للإنسان المؤمن يقول: «و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا، امرأة فرعون» (سورة التحريم/الآية رقم ١١)، جاءت العينة والمثال هنا من نموذج المرأة و عندما يأتي دور الايمان والاسلام والصبر والصدق والجهاد في سبيل الله و في مجال كسب القيم الإنسانية والإسلامية والمعنوية، يقول القرآن الكريم: «إِنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات...» (سورة الأحزاب/الآية رقم ٣٥)، في هذه الآية الكريمة، نرىٰ عشرة عناوين من القيم المعنوية هي: الاسلام، الايمان، القنوت، الصدق، الصبر، الخشوع و... حيث أَننا نلاحظ المرأة والرجل يسيران في هذا الميدان جنباً الىٰ جنب و يتقدمان نحو المستقبل، والقرآن يذكر الاثنان سواسية، ثم يقوم بتحطيم هذه الوثنية التي تعطي الأصالة للرجل والتي كان يروّج لها الرجال و تؤيدها النساء في عهد الجاهلية، جاء الاسلام و حطّم هذه الفكرة عن طريق هذه الآيات و كذلك في القضايا السياسية والاجتماعية حيث قرر الإسلام بيعة النساء كأمر ضروري و عملي في المجال الاجتماعي.

أُنظروا الىٰ الأوضاع الاجتماعية في العالم الغربي و في هذه الدول الأروبية التي تدعي الدفاع عن حقوق النساء ـ و هي زائفة بشكل كامل تقريباً ـ و حتىٰ العقود الأولىٰ من هذا القرن الذي انقضىٰ توّاً، حيث أَنّ النساء لم يكن لهنّ حق الكلام والتصويت والاقتراع والملكية، أَي أَنّ المرأة لم يحق لها أَن تمتلك أَموالها الشخصية بل كان زوجها هو المالك لكل شيء يتعلق بها! في حين أَنّ البيعة والملكية و حضور المرأة في المجالات المهمة

السياسية والاجتماعية، قد تقرر في الاسلام بشكل شامل: «إذا جائك المؤمنات يبايعنك علىٰ أن لا يشركن بالله» (سورة ممتحنة/الآية رقم ١٢)، حيث كانت النساء يأتين الى النبي(ص) و يبايعنه و لم يمانع الرسول(ص) من ذلك و لم يقل بأن الرجال هم الذين يبايعونني فقط و من ثم النساء مجبرات على انتهاج نفس السبيل الذي ينتهجه الرجال و عليهن قبول أو رفض كلّما يوافق عليه أو يرفضه الرجال، لا، لم يقل هكذا، بل قال(ص) أن النساء أيضاً بامكانهن البيعة و لهذا ستكون لهن مشاركة في قبول هذه الحكومة و هذا النظام الاجتماعي السياسي و من هنا نفهم أنّ الغربيين متخلّفين عن الاسلام لمدة تفوق ١٣٠٠ سنة، لكنهم مع هذا نراهم يتشدقون بهذه المزاعم! بصدد الملكية والقضايا الأخرىٰ التي تتعلق بالمجالات الاجتماعية والسياسية للمرأة، فالوضع هكذا دوماً للأسف.»[١]

لو لم يكن الأيمان بالله موجوداً بين الناس، لما انتظمت الأمور

«إنّ الله عزوجل يقول في القرآن الكريم: «إنّا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً، لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزروه و توقروه و تسبحوه بكرة و أصيلاً» (سورة الفتح/الآية رقم ٨ و ٩) و معنىٰ هذه الآية هو أنه لو لم يكن الايمان بالله والرسول(ص) موجوداً بين الناس، لما سارت الأمور علىٰ خطها الطبيعي، لابد أن تضعوا هذه النقطة نصب أعينكم، ثم تدققوا ملياً في الذين يحالون التوغل والتدخل في إيمان المجتمع ـ و هم يسعون دائما في هذا السبيل ـ

١- كلمة القائد المعظّم في لقاء جمع غفير من الأخوات، ١٣٧٩/٦/٣٠ هـ. ش، (٢٠٠٠/٩/٢٠ م).

حتىٰ تكتشفوا نواياهم و غاياتهم، و يـجب اَن تـعلموا بأن الركـن المـتين للسعادة والعزة لهذا الشعب، هو الايمان. و من هنا نقول بأنّ كل عنصر و كل مبلّغ يسعىٰ لتهميش اَعمدة هذا الايمان ـ بأي صورة كانت و بأي اُسـلوب كان ـ اِمّا عن طريق التشكيك والتـرديد والوسـاوس الشـيطانية أو سـوق المجتمع الىٰ حالة عدم الالتزام والإستهتار والتسويف، فهو بعمله هذا، فـي الواقع، ينتهج ذلك الطريق الشيطاني المنحط؛ اَي اَنه يواجه و يحارب العزة القومية والمفاخر الوطنية والسعادة الشعبية.»[١]

اَصالة الإنسان من وجهة نظر الاسلام

«اَصالة الإنسان في الاسلام، لا ترتبط بأصالة الانسان من وجهة نـظر الأروبيين (هيومانيسيم) بل و تختلف عنها تماماً: «اَلم تروا اَن الله سخّر لكم ما في السموات و ما في الأرض» (سورة لقـمان/الآيـة رقـم ٢٠)، اَي اَن الذي ينظر و يدقق في القرآن الكريم و نهج‌البلاغة و بقية الكتب الديـنية، سـوف يكتسب هذه الرؤية بأنّ الاسلام لا يقيم لمجموعة الخليقة وزناً اِلاّ اَن تكون حول مركزية الإنسان، و هذه هي نظرية اَصالة الإنسان. هناك آيات كـثيرة تشير الى اَنّ الشمس مسخّرة لكم والقمر اَيضاً و كذلك البحار. لكن القرآن يعرض آيتين تشيران الى هذا التعبير الذي ذكرته الآن: «سخّر لكم ما فـي

---

١ ـ كلمة القائد المعظّم في لقاءه مع جمع غفير من قادة الحرس والمـضحّين و طـلاّب المدارس والجامعات، بمناسبة يوم الحرس، يوم المضحي و يوم الطالب ١٣٧٩/٨/١١ هـ. ش، (٢٠٠٠/١١/١ م).

السموات و ما في الأرض»؛ أي أن جميع الموجودات في العالم مسخّرة لكم. والآن دعونا نتسائل: ما معنىٰ أنها مسخّرة لكم؟ أي أنها مسخّرة لكم من حيث الحقيقة والاستعداد، في حين أنكم مسخرون لها في الوقت الحاضر و ليس بامكانكم أن تؤثروا عليها، لكنّ الحقيقة الكامنة في الأنسان و في جميع العوالم والكائنات هي أنها قد خلقت بشكل يؤدي الىٰ أن تكون جمعيها، في النهاية مسخرة لكم، فما معنىٰ التسخير يا ترىٰ؟ أي أنها ستكون تحت استيلائكم و تصرفكم و بامكانكم أن تستثمروا جميعها بأحسن شكل ممكن، و هذا يدل علىٰ أنّ الإنسان عزيز جداً و محبوب للغاية من منظور الخلق والإنشاء الالهي، لأنه موجود يتمكن من تسخّير السماء والأرض والنجم والشمس والقمر و نحن نشاهد هذه العزّة والمحبوبية للإنسان و قد جاءت صريحة في القرآن الكريم: «و لقد كرمنا بني آدم» (سورة اسرائيل/الآية رقم ٧٠) والتكريم هذا هو تكريم تشريعي و تكريم تكويني، في نفس الوقت و قدبُني علىٰ أساس القواعد الانسانية التي عينها النظام الاسلامي والحكومة الاسلامية.»(١)

ما معنىٰ مرض القلوب؟

«لقد عاد المجاهدون من حرب طاحنة و معاناة صعبة، فخاطبهم النبي(ص) قائلاً لقد رجعتم من الجهاد الأصغر و عليكم بالجهاد الأكبر، فاستغرب المؤمنون و تعجبوا كثيراً! و قالوا و ما الجهاد الاكبر يا رسول‌الله؟ لقد قمنا بهذا الجهاد الهائل العظيم، و هل هناك جهاد أكبر من هذا؟ قال(ص):

١- نفس المصدر.

نعم، الجهاد مع أنفسكم، فاذا ترون بأن القرآن الكريم يقول: «الذين في قلوبهم مرض»، فهؤلاء ليسوا منافقين، بطبيعة الحال هناك بعض المنافقين تشملهم الآية التي تقول: «الذين في قلوبهم مرض»، في حين لا يمكن أن نعدّ جميع «الذين في قلوبهم مرض» من المنافقين؛ بل قد يكونوا في بعض الأحيان من المؤمنين الذين في قلوبهم المرض، فما معنىٰ هذا المرض؟ أي أن هناك بعض النقائص الأخلاقية والانتكاسات الفردية والنزعات الشهوانية والرغبات الأنانية المختلفة، و إن لم تتصدىٰ لها و لم تحاربها بنفسك، ستسلب منك الايمان، في حين أن ظاهرك سيبدو طافحاً بالايمان، و لهذا يمكن تسمية هذا الشخص بالمنافق، فان تفرّغ قلبنا ـ لا سامح الله ـ من الايمان، في حين ظلّ ظاهرنا يبدو إيمانياً، عندها سنفقد المحبة الاعتقادية والرغبات الايمانية، لكن لساننا لا زال يواصل الحديث عن الايمان، و هذا هو النفاق و هو يشكل خطراً كبيراً علىٰ الإنسان والمجتمع و لهذا يقول القرآن الكريم: «ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأىٰ أن كذبوا بآيات الله» (سورة الروم/الآية رقم ١٠)، فماذا هذا السوء يا ترىٰ؟ هو تكذيب الآيات الالهية و في محل آخر، يقول القرآن الكريم: «فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه» (سورة التوبة/الآية رقم ٧٧)، لماذا؟ لأنهم أخلفوا وعدهم مع الله و لم يقوموا بمسؤوليتهم الكبيرة ـ و هي الانفاق في سبيل الله ـ و لهذا فظهر النفاق في قلوبهم، و هذا هو الخطر الكبير للمجتمعات الاسلامية و كلّما ترون الانزلاق والانحراف عن المسير الحقيقي في تاريخ الاسلام، فهو ناشيء من هذه النقطة بالذات، إذ قد يهاجم العدو الخارجي المؤمنين ثم يقوم بسحقهم والتغلب عليهم و تبديدهم، لكنه

لا يتمكن من إبادتهم تماماً لأن الايمان سيبقىٰ و سيعاود المؤمن الحياة والحيوية والنماء والنشاط مرة أُخرىٰ في محل آخر و لكن متىٰ ما هوجم الإنسان من قبل الجيش الداخلي الذي يقوم بتفريغ ضمير الانسان من القيم، هنا سيحصل انحرافاً في الطريق و أينما كان الانحراف، لا يحصل إلاّ عن هذه النقطة بالذات و لهذا فقد قام النبي(ص) بمحاربة هذا العدو اللدود.»[١]

أهمية القيم والمعنويات في مسار الحفاظ علىٰ الهوية القومية والوطنية

«إنّ العمل علىٰ سيادة القيم و القضايا المعنوية والحيلولة دون مظاهر الفساد أو إشاعة الفساد والالحاد و خاصة التظاهر والتفاخر بذلك، أمر واجب و ضروري، والله عزوجل يقول في كتابه العزيز: «و إذا أردنا أنْ نهلك قرية، أمرنا مُترفيها، ففسقوا فيها» (سورة الإسراء/الآية رقم ١٦)، أي أننا لو أردنا أن نبدّد و نهلك مجتمعاً، حيث أنّ الطريق الىٰ ذلك حسب القوانين والسنن الالهية هو تهيئة الظروف لتقوم طبقة الأثرياء والمترفين بالفسق والفساد: «فحق عليهم القول، فدمّرناها تدميراً» نفس الآية، أي أنّ عذاب الله ينصبّ عليهم و يأتيهم العقاب، بعد فسقهم و فسادهم و هذا قانون لا جدل فيه و ينطبق علىٰ جميع المجتمعات، إلاّ أنه يتوقف الموضوع علىٰ مدىٰ وجود عناصر و عوامل الصيانة في ذلك المجتمع، فهناك بعض المجتمعات تحمل في بطنها عناصر الإبادة والاضمحلال والتدمير، لكنها في نفس الوقت لديها

١- قائد الثورة الإسلامية المعظّم في صلاة الجمعة، طهران، ١٣٨٠/٢/٢٨ هـ. ش، (٢٠٠١/٥/١٧ م).

عناصر الصيانة التي تحفظها و تحافظ عليها من الزوال والاندثار: كالعلوم الواسعة والثروات الطائلة و رجال السياسة المحنكين والموقع الجغرافي أو التاريخي المناسب، و بهذا سيحصل نوع من الاستدراج والتحرك البطيء نحو الإنهيار والإنهدام و أنتم الآن إذا ما نظرتم بدقة في المجتمع الأمريكي، سترون بأنه يتوجه نحو الاندثار والإضمحلال، لأنهم قد فسقوا فيها، إضافة الىٰ عوامل كثيرة أُخرىٰ، و بالمقابل توجد هناك بعض المجتمعات التي تفتقد الىٰ عناصر الصيانة؛ أي أنها لا تمتلك العلم والثروة والسياسة الحكيمة و هي في نفس الوقت تحمل معها العناصر المخرّبة التي تؤدي في النهاية الى انهيارها و اضمحلالها، فاذا ما دخلت هذه المجتمعات الشقيّة في هذا المستنقع، سيتم إندثارها بسرعة اكثر و بطبيعة الحال فانّ هذا الإندثار لا يعني موت الملايين من الناس بصورة مفاجئة؛ بل معناها أنّ ذلك الشعب قد افتقد هويته الوطنية القومية، فهو يسير نحو الفناء، فيصبح ضعيفاً متخاذلاً و متخاضعاً لهذا أو ذاك و سوف لا يكترث به أحد في العالم و سيصاب بكوارث و فجائع عديدة. من هنا نفهم أنّ الأمور المعنوية مهمة جداً في حياة الأنسان.»[١]

لابد من العودة الىٰ القرآن الكريم والعمل به

«من واجب المسلمين في العالم أن يعودوا الى القرآن الكريم بشكل متزايد، خاصة و أنّ العداء والأعداء يزداد من كل صوب و حدب، لأنّ القرآن هو الذي سيشفينا من جميع الأمراض، فاذا كانت هناك نقائص تدل على

١- كلمة قائد الثورة الإسلامية المعظّم في لقاء مع رئيس الجمهورية والمجلس الوزاري في ١٣٨٠/٦/٥ هـ. ش، (٢٠٠١/٨/٢٦ م).

الضعف والذلة والتأخر في العالم الاسلامي، فهو نتيجة إبتعادنا وانفصالنا عن القرآن الكريم و علينا ـ نحن في ايران و جميع الدول الاسلامية ـ أن نقترب أكثر فأكثر من القرآن الكريم.

إنّ أول وصايا القرآن، هي التوحيد والرجوع الى الله عزوجل و تحطيم أوثان الثروة والقوة التي تتواجد بأشكال مختلفة، ثم الوصية الثانية التي يقدمها القرآن الكريم لجميع المسلمين هي الوحدة والتضامن. فاذا لم نكترث نحن لنهي القرآن و تحذيره الذي يقول: «و لا تفرقوا»، بل نقوم بتوسيع نطاق الشرخ و رقعة الافتراق بيننا ـ تحت معاذير مختلفة و حجج مفتعلة ـ ثم نصبّ اهتمامنا علىٰ تقطيع أوصال الأُمة الاسلامية، ستسفر هذه الأعمال الى ما نراه بيننا الآن: إذ أنّ العدو يهاجم عضواً عزيزاً من الجسد الاسلامي، في حين أن باقي الأعضاء لا تعتني بذلك و كأنها غارقة في حلم جميل! فهذه هي الفرقة و هذا هو الانفصال والتجزؤ، فلابد أن نعود الى القرآن الكريم والعودة الى القرآن ـ طبعاً ـ لن يقتصر علىٰ القراءة والتلاوة والحفظ، بل من المفروض أن تكون هذه مقدمة و تمهيد لفهم القرآن الكريم والعمل به.

هذه التلاوات التي تقدمونها ـ أنتم ـ بأُسلوب جميل و رائع، هي بطبيعة الحال، جذّابة و قيمة و تدعو الى الشوق والذوق و تأخذ بيد الشباب صوب القرآن و على هذا فنحن نشجّع مثل هذه البرامج والمسابقات القرآنية و نسعىٰ لإجراء و إقامة هذه المجالس والمحافل القرآنية بشكل جديّ و حماسي و مليء بالحيوية.

نسأل الله عزوجل أن يصلح شؤون الأُمة الإسلامية و أن يجعلنا من

المتمسكين بالقرآن الكريم و ينوّر قلوبنا بنور القرآن و اَن لا يفصلنا ـ إن شاءالله ـ في حياتنا و مماتنا، في هذا العالم والعالم الآخر، عن القرآن.»[١]

في ظلال آية واحدة من آيات سورة آل‌عمران المباركة

«لقد اخترتُ لكم آية واحدة من سورة آل‌عمران المباركة، لنقوم بدراستها معكم ـ أيها الأعزاء ـ و نتقدم قليلاً في ظل هذه الآية الكريمة، الآية هي: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. ربّنا إننا سمعنا منادياً ينادي للأيمان أن آمنوا بربكم، فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفّر عنّا سيّئاتنا و توفّنا مع الأبرار» (سورة آل‌عمران/الآية رقم ١٩٣)، لعلّ الحضّار الكرام، المتواجدين في هذا المجلس هم بالذات من مصاديق هذه الآية الشريفة و مضمون الآية هو كلام جماعة من اُولي الألباب و اَهل العقل والحكمة، فهؤلاء هم الذين يتوجهون الىٰ الباري عزوجل و يقولون: ربنا و الٰهنا! إننا قد سمعنا صوت ذلك المنادي الذي دعانا الىٰ الأيمان، ثم استجبنا له و آمنّا.

بامكاننا اَن نفهم من هذا بأنّ الايمان لم يكن إيماناً بالقلب فقط، بل هو إيمان بالقلب واللسان و الجوارح و الأعمال و هذا النوع من الايمان ـ طبعاً ـ له درجات و مراتب؛ قد يصبح كاملاً أو أكمل من هذا و قد يكون ناقصاً و مثلوماً بعض الشيء. و هذا يتوقف علىٰ أننا قد قبلنا الموضوع من الناحية النظرية فقط، أم لا، أو اَننا قد بدأنا نسير فعلاً في طريق الايمان.

ما هي طلبات و مطالب هذه الجماعة، إزاء تقديم هذا التقرير عن الوضع

١- كلمة القائد المعظّم في المراسم الختامية للدورة الثامنة عشرة لمسابقات القرآن الكريم في ١٣٨٠/٧/٢٦ هـ. ش، (٢٠٠١/١٠/١٧ م).

الواقع على الأرض، إنهم يقولون: «ربنا فاغفر لنا ذنوبنا»، أي في البداية لابد أن تشملنا مغفرة الله عزوجل و لا نحاول أن نقول، من أجل أي ذنب نطلب الاستغفار من الله؟ لأننا غارقون في الخطايا والذنوب و عندما يقول الباري عزوعلا فيما يخصّ نبيه: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر» (سورة الفتح/الآية رقم ٢)، و لمّا يؤكد القرآن الكريم و كذلك الأدعية الموجودة في الصحيفة السجادية[١] و باقي الكتب المعتبرة علىٰ طلب المغفرة والاستغفار للنبي(ص) و لأولياء الله الميامين، فنحن بالأحرىٰ سنكون مخاطبين لعملية الاستغفار جرّاء و ارتكاب الذنوب: ففي البداية لابد من التوبة و طلب المغفرة: «ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفّر عنّا سيئاتنا»، فهذا التكفير هو تدارك و ترميم للخطايا والذنوب، إذ أنّ هناك بعض الخطايا والذنوب قد صدرت منّا، أثناء سيرنا في طريق الحياة ثم تبدأ المرحلة الثانية: «و توفّنا مع الأبرار»، أي أنْ تجعل وفاتنا و عبورنا من بوّابة هذا العالم صوب الملكوت الأعلىٰ مع الأبرار أيضاً، أي أن نموت كما يموتون و في نفس المسير و علىٰ نفس المسار، حيث أنّ العاقبة والنتيجة النهائية هي من أهم القضايا في الحياة و من أكبر التوفيقات التي قد يحصل عليها الفرد أو المجتمع هو أن يتمكن من إبراز هذا الايمان في الأعمال والسلوك والحياة بشكل صادق و صريح، ثم يقدم طلبه هذا لله عزوجل، إذ لابد أن يكون بصدق كامل و بنيّة حقيقية، ثم نقوم برفع التقرير قائلين: «ربّنا إننا سمعنا منادياً للأيمان أن آمنوا بربكم فآمنا» و هذا ينطبق على حضّار هذا المجلس إن شاءالله.

١- الصحيفة تشمل على مجموعة أدعية و توجيهات أخلاقية و رسائل قيمة للأمام علي‌بن الحسين؛ السجاد(ع).

لم يكن سيرنا ـ في الماضي ـ نحو الأيمان، نعم، كنّا مؤمنين في قلوبنا و كنّا نعمل بهذا الأيمان في نطاق حياتنا الشخصية و تصرفاتنا الفردية، لكن مسار حياتنا، في جوانبه المختلفة، لم يكن بالمسار الايماني الصحيح الكامل، بل كان مساراً للكفر و الجهالة و الطغيان و النزعات الطاغوتية، حيثُ أنّ النُظُم العلمانية و اللاإلٰهية والبعيدة عن الأيمان تكون هكذا عادة، ففي خضم هذه الأنظمة اللادينية و اللا إيمانية. فإن تمكّن الإنسان أن يحافظ علىٰ واجباته الفردية و أعماله الدينية بصورة شخصية، فى ظل هذه الأنظمة، عندها سيكون من المحظوظين. حيث أن تلك الوظائف والواجبات الدينية، تحت ظروف كهذه، لا تؤثر كما ينبغي على إرتقاء الشخصية؛ أي أنها سوف لن تسفر عن المراتب العالية و النورانية اللازمة، بل سيتبدد القسم الأعظم منه ـ و هذا طبيعي، لأن الجوّ السائد و المناخ المحيط بالإنسان، يصطدم بما يحويه فكره و عقائده ـ و يبقىٰ الشيء النافع منه قليلاً و ضئيلاً؛ و هذا هو أكثر شيء يحصل عليه الأنسان في ظلّ الأنظمة التي لا يحكمها الدين و تسيير الأمور لم يكن بيد الدين الالهي و القانون الشرعي، في حين إذا كانت الساحة تحت اختيار الدين فسيكون بامكان جميع طاقات الإنسان أن تتجه نحوالكمال و التعالي، لأن الجوّ مناسب و مهيأ لهذه الحركة المتنامية ـ طبعاً أنا لا أقول بأنّ هذا الصعود المعنوي، سيحصل لكل الأفراد، لا محالة ـ بل اذا ما قصّرنا في واجباتنا و فرّطنا في أعمالنا و اكتفينا بالقليل الضئيل و حالت الموانع دون تقدمنا نحو الأمام، في مثل هذه الحالة سوف لا نحصل حتىٰ على تلك النتائج الايجابية القليلة الضئيلة، إذ أنّ هذا الطريق يحتاج الىٰ

الصمود و المقاومة و الثبات».[١]

نظرة الىٰ مفردات الإستقامة و النسيان و الزيغ و الذكر في القرآن الكريم

«إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، تتنزل عليهم الملائكة، ألّا تخافوا و لا تحزنوا» (سورة فصّلت/الآية رقم ٣٠)، أي أنّ الملائكة تهبط عليهم في هذه الحياة الدنيوية و هم يرتبطون بالعالم الآخر أثناء حياتهم العادية هذه، أي أنهم يحصلون على كنز لا يفنىٰ من الناحية الروحية و الفكرية و النفسية و سوف لن يخيّم عليهم أي نوع من الخوف أو الفزع أو الحزن، و قد تكون بعض المخاوف و التحفظات، لكنه سيكون من جانب الأخطار التي تهدد الإنسان في هذا الطريق و لمّا انتُزع الخوف من ضمير الإنسان فأنه سيقطع الطريق بجرأة أكبر و إقدام أقدر و معنويات أعلىٰ و سيقترب من الغاية المنشودة شيئاً فشيئاً. و لمّا كان الإنسان لا يعتريه شيء من الكآبة و الحزن لأنه سوف لا يفقد شيئاً في هذا الطريق ذلك لأنّه أولاً سينجح و سيكسب الموفقية في هذا الطريق. ثانياً حتىٰ لو فقد الإنسان شيئاً في سبيل القيام بالواجب و العمل بالتكاليف الالهية، سيكون ضميره مرتاحاً، كعوائل الشهداء الذين قدموا أولادهم قرباناً لله عزوجل و قد ثكلوا بهم، لكن قلوبهم ـ في نفس الوقت ـ مبتهجة و مسرورة، و هؤلاء يمتازون تماماً و يختلفون أساساً عن الذين يواجهون نفس الحالة في ظروف غير الشهادة و الإستشهاد.

١- كلمة القائد المعظّم في لقاءه مع رجال الحكومة و مسؤولي نظام الجمهورية الأسلامية في ١٣٨٠/٩/٢١ هـ. ش (٢٠٠١/١٢/١١ م).

التعبير الآخر، الموجود في القرآن الكريم هو «النسيان»، و قد جاء ذكره بأشكال مختلفة، و اَفظع نوع من النسيان هو نسيان الذات: «و لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم» (سورةالحشر/الآية رقم ١٩)، لابد من التذكير هنا بأن نسيان النفس و الذات في مصطلح الأدب السياسى يعني نسيان الهوية ـ و هو شيء سيء للغاية ـ أي اَن يكون هناك شعب قد نسي هويته و تاريخه و ثقافته و لغته، حيث اَن النتيجة ـ ستجلب الذلة والشقاء و التعاسة على هذا الشعب، في حين اَنّ الموضوع في الأدب الأخلاقي، يختلف عنه تماماً عمّا كان عليه في الأدب السياسي و التركيز و التأكيد على مقولة نسيان الذات اَكثر و الخطر هنا هو اَشدّ وقعاً من حالته السياسية، و معناه هو اَن يكون الانسان غافلاً عن هويته و هدفه الوجودي و باطنه و قلبه و روحه، فيعتريه النسيان، ثم يستسلم لتيّار مادي فاسد يأخذه الى حيث يريد حتى يرمي به، في النهاية الى مستنقع نتن، لا يقاوم و لا يتصدىٰ لأي حركة سلبية، رديئة و فاسدة شرّيرة: «فأنساهم أنفسهم»، اَي اَنّ الأنسان يصبح مستهتراً بكل القيم و الموازين، فلا يدري لماذا جاء الى هذه الدنيا؟ و لهذا فهو يقضّي عمره كالطفل الصغير الذي لا يفكر بمصيره النهائي، بل يهتم فقط باللحظة الجارية. و بعد كل هذا فالعمر سينتهي بعد ستين أو سبعين سنة و لا مفر من احتضان الموت و السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا بعد هذه الحياة؟ و ما هو الهدف من هذه الحياة؟ فما هو السبب من هذا الأياب و الذّهاب و المكوث هنا؟ ثم إن عدم التفكير في هذا الموضوع و الأعراض عن التأمل فيه، خطر كبير للغاية. «اُولئك هم الفاسقون»؛ اَي أنهم فاسقون و هذا هو معنىٰ الفسق، اَي الخروج من شيء إثر فساده و عفونته و لهذا لمّا

تنفصل القشرة عن التمرة الفاسدة. يقال «فَسَقت التمرة» والفسق مأخوذ من هذه الكلمة و هذا المعنىٰ، إذ اَن العطر و البهجة التي يتمتع بها الإنسان نتيجة الايمان، ستنفصل عن وجوده، إثر عملية الفسق و على هذا الأساس نـقول بأن إحدىٰ آفات الاستقامة هو النسيان.

و هناك مصطلح آخر في القرآن الكريم، يهزني بشدة في بعض الأحيان و هو «الزيغ»، و قد جاء بهذه الصورة: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهَب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهّاب» (سورة آل عمران/الآية رقم ٨)، اَي ربنا لا تجعل قلوبنا زائغة؛ اَي لا تقلب و لا تحرف قلوبنا، و لا تجعل قلوبنا تحيد عن صراط الحق الىٰ جادة الباطل؛ فهذا هو دعاء عبادالله الذي ينقله القرآن الكريم عنهم و كذلك جاء في القرآن: «و إذ قال موسىٰ لقومه: يـا قـوم لِـمَ تؤذونني و قد تعلمون اَني رسول‌الله اليكم، فـلما زاغـوا، اَزاغ الله قـلوبهم» (سورة الصف/الآية رقم ٥)، إذا ما دققنا في الأمر، فسنشاهد بأنّ هناك تفاعل في طرفي الحديث و هناك عمل مشترک في الجبهتين و كما يبدو إنّ البداية بيد الأنسان، لكن النتائج و العواقب ستكون من جانب الله تعالىٰ؛ أي «فلمّا زاغوا» و انحرفوا و جعلوا قلوبهم عُرضة للزيغ و الصدّ عن سبيل الحق، في هذه الحالة يأتي ردّ الفعل «اَزاغ الله قلوبهم» و اَخرجهم عن سواء السبيل و قذف بهم الىٰ خارج مسارالحق: ولكن كيف يقذف الله الأنسان الىٰ خـارج المسار؟ اَي اَنه يسلب منهم التوفيقات الألهية. بالنسبة الىٰ بني اسرائـيل، و طبعاً الآية تتحدد بما جرىٰ لبني اسرائيل، حيث اَنهم لمّا رأوا فرعون، اَدركوا اَحقية موسىٰ عليه‌السلام و قد شاهدوا بأمّ اَعينهم، كيف اَنّ الله عزوجل، قد قام بهذه الحركة الهائلة المذهلة بواسطة عبده المجتبىٰ ـ اَي سيدنا موسىٰ بن

عمران عليه‌السلام ـ فأنهم قد شاهدوا عن كثب البحر الهائج المخيف و جيش فرعون و الأحداث العجيبة الغريبة، فاستسلموا لأهوائهم النفسانية و غفلتهم و نسيانهم الذي ذكرناه سالفاً ـ فانقذفوا الى هذا الوادي السحيق؛ أي اَنهم «زاغوا»، و كذلك في نفس الآية نرىٰ بأن موسىٰ عليه السلام يقول لهم: «لِمَ تؤذونني؟»، والله عزوجل يقول في سورة الأحزاب/الآية رقم ٦٩: «يا أَيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسىٰ، فبرّأه الله مما قالوا و كان عندالله وجيهاً»، صحيح اَن هذا الكلام موجّه لبني إِسرائيل لممارستهم الأذىٰ و الجفاء لنبيهم موسىٰ عليه‌السلام ـ لكنه في نفس الوقت موجّه الينا و اليكم اَيضاً ـ فالزيغ من ناحيتهم؛ يعني الاستسلام الىٰ الرغبات الجسدية و الشهوانية و النزعات المادية و المالية و ماشا كل ذلك من اُمور تعرقل اِرتقائهم نحو الكمال، اِمّا الزيغ من ناحية الله عزوجل، فهو سلب الرحمة و التوفيق الألهي الذي يجعلنا ننغمر في الخطايا، فكلّ حركة خاطئة تصدر منّا و كلّ إِجراء باطل و غير عادل و كلّ عمل ناتج عن أهوائنا النفسانية، سيقرّبنا خطوة اُخرىٰ نحو اَعماق مستنقع الفساد السحيق و سيعدنا من الباري عزوجل: «اَزاغ الله قلوبهم»، فهذه الأخطاء تداهمنا بصورة متتالية و لهذا فهي خطرة للغاية، ثم اَنّ النتيجة التي ستحصل جرّاء هذه الخطايا و الهفوات، هي اَن تجعل عمل الإنسان قبل كل شيء ناقصاً ثم يطرأ ارتباك و اضطراب في اَخلاقنا و سلوكنا و تبقىٰ متأثرة بهذا الأداء الشاذ، و من هنا ترىٰ هذا الانسان الصادق الوفيّ، صاحب الهمة و المسؤولية و هو يتبدل رويداً رويداً الىٰ شخص مذبذب، لايفي بعهده و لا يخضع لأي مسؤولية، ثم بعد ذلك تتغير اَخلاقه و خصاله، و بعد هذه المرحلة يأتي دور العقائد التي تتحول هي

الأُخرىٰ. فهذا الفساد العملي الذي كنّا نستحقره و نستصغره يوماً ما، يمسخ هويتنا، شيئاً فشيئاً و يؤدي الىٰ إفساد اعتقاداتنا و قيمنا. و القرآن الكريم له مداخلة لطيفة في هذا الشأن: «فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الىٰ يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه» (سورة التوبة/الآية ٧٧)؛ أي أن الله ابتلىٰ قوماً بالنفاق لأنهم لم يكونوا أوفياء بعهدهم و وعدهم أمام الله عزوجل، أجل هذه هي المعادلة التي يتعامل بها الله عزوجل مع الأنسان، أي أنّ المسألة تعود في الواقع الىٰ كيفية أدائنا؛ فنحن بأعمالنا و تصرفاتنا، نتسبب في حرماننا من الرحمة و العطوفة الالهية و عندما نفتقد هذه الرحمة، سنتقدم أكثر فأكثر نحو الفساد و الأنحطاط، لهذا فقد جاء هذا المضمون في بعض الأدعية: «اللّهم إني أسئلك موجبات رحمتك»، فالأنسان هنا يطلب من الله عزوجل أن يهيأ له من موجبات رحمته، و لمّا لم تكن هذه الموجبات في أعمال الأنسان سوف تنقطع الرحمة الألهية عنه و هذا هو نوع آخر من الزيغ».[١]

* أهم أعمال الأنبياء العظام عليهم السلام

«لقد أظهر الأنسان، علىٰ امتداد التاريخ، أكثر خطاياه و أفظع ذنوبه و عدم التزامه بالورع و التقوىٰ في مجال السلطة و الحكومة؛ تلك الذنوب التي صدرت من قبل الحكّام و القادة والذين استولوا على مصائر الشعوب، حيث لا يمكن قياسها و مقارنتها بذنوب و جرائم الناس العاديين، ففي هذه الساحة بالذات، لم يتمتع الأنسان بالعقلانية و الأخلاق و الحكمة إلّا قليلاً، و

١- كلمة قائد الثورة الإسلامية المعظّم في جامعة ضباط الامام علي عليه السلام، في ١٣٨٠/٩/٣ هـ. ش (٢٠٠١/١١/٢٣ م)

في هذا الميدان لم يحكم المنطق الأفكـار و الأعـمال اِلّا بشكـل يسـير و ضئيل، مقارنة بالميادين الأُخرىٰ؛ والذين قد تحملوا خسارة هذه الرعونة و هذا الطيش و الفساد و الأبتلاء بالأثم و العدوان، هم اَفراد البشر جميعاً و في بعض الأحيان الخاسرون هم الشـعوب، أو المـجتمعات المـختلفة و هـذه الحكومات، كانت في بداية أمرها بصورة دكتاتوريات فردية، ثم بعد تطور و تغيير المجتمات البشرية، تبدّلت الىٰ دكتاتوريات جماعية و منظمة لهذا فإن اَهم اَعمال الأنبياء العظام عليهم السلام هو مواجهة و مكافحة الطواغـيت والذين كانوا يفرّطون و يسرفون في نِعَم الله عزوجل:

«و اِذا تولّىٰ، سعىٰ في الأرض ليُفسد فيها و يُـهلك الحـرث و النسـل» (سورةالبقرة/الآية رقـم ٢٠)، في مثل هذه الآيات القرآنية هناك مـفاهيم تـهزّ مشاعرالأنسان حول الحكومات الفاسدة، فأنهم كانوا يسعون لتعميم و نشر الفساد في كل مكان: «اَلَم ترَ الىٰ الذين بدّلوا نعمة الله كفراً و اَحَلُّوا قـومهم دارالبوار، جهنم يصلونها و بئس القرار» (سورةابراهيم/الآية رقم ٢٨ و ٢٩)، اَي اَنّ هؤلاء قد بدّلوا النِعَم الالهية و الإنسانية و الطبيعية الىٰ كفران و قد اَحرقوا الناس ـ الذين كان ينبغي اَن يتمتعوا بهذه النِعَم ـ بنار محرقة، اَوجدوها جرّاء كفرانهم بالنِعَم والخيرات، لهذا فالأنبياء كانوا يقفون اَمام هؤلاء و يتصدون لهم، و اذا لم يعارض و لم يصطدم الأنبياء ضد هؤلاء الطواغيت في العالم و الطاغين في التاريخ، لماكان هناك حاجة الىٰ تلك المشاحنات و المشادّات، فترىٰ القرآن الكريم يذكر المواجهات العنيفة بين جبهتين: «و كأيّن من نبيّ قاتل معه ربّيون كثير» (سورة آل عمران/الآية رقم ١٤٦)، فمع من كان هذا القتال يا ترىٰ؟ حرب الأنبياء كانت ضد الحكومات الفاسدة و السلطات المخرّبة

الطاغية في التاريخ و التي جلبت الشقاء و الفناء للأنسانية جمعاء.

والأنبياء هم الذين قد أنقذوا البشرية و لهذا فانّ القرآن الكريم يشير الىٰ الهدف الكبير و الغاية العظمىٰ للأنبياء و الرسل و هو إقامة العدل: «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط» (سورةالحديد/الآية رقم ٢٥) لأنّ إنزال الكتب السماوية و إرسال الرسل الالهية، كلها تهدف الىٰ سيادة القسط و العدل في المجتمعات البشرية؛ أي إزالة مظاهر و رموز التعسّف و التحكّم و الفساد، و حركة الأمام الحسين بن علي عليه‌السلام كانت على هذا المنهج و لهذا قال (ع): «إنّما خرجتُ لطلبَ الأصلاح في أُمة جدي»[١] و كذلك قال(ع)؛ «من رأىٰ سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله أو تاركاً لعهدالله، مخالفاً لسنة رسول‌الله(ص)، فعمل في عبادالله بالأثم و العدوان، ثم لم يغيّر عليه بقول و لا فعل، كان حقاً علىٰ الله أن يدخله مدخله»[٢]؛ أي أنّ الذي يرىٰ بؤرة الفساد و مركز الظلم، ثم لا يكترث بالأمور و يجلس جانباً دون أن يدخل الساحة، فسيحشره الله عزوجل مع ذلك الظالم الفاسد في مصير و مشهد واحد، لقد قال الامام الحسين عليه السلام: أنا لم أخرج من أجل التعنت و العصيان و الفرعنة. بل كانت هناك دعوه قد أُرسلت الىٰ الأمام(ع) تدعوه أن يذهب الى العراق و يبادر بتشكيل حكومة عادلة هناك، و على هذا الأساس، ذهب الامام(ع) اليهم، تلبية لدعوتهم، أي لم يكن الأمر هكذا بأن نتصور أنّ الامام الحسين(ع) لم يهدف الىٰ تسلّم السلطة و السيطرة على الحكومة؛ بل كان الامام(ع) يفكر و يخطط لسحق القوىٰ الطاغوتية، و لو كان ذلك ملازماً لاستلام الحكومة أو تقديم

١- بحارالأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.
٢- رجال النجاشي، ص ١٤٤.

الدماء الطاهرة و الاستشهاد في طريق هذا الهدف السامي.»[١]

* مصداقية المستقبل المشرق للشعب الفلسطيني من وجهة نظر القرآن الكريم

«هؤلاء الصهاينة الغاصبين والمحتلّين، مصابين بالتسرع و الهلع، حيث اَنّ اَعمالهم و أقوالهم تدلّ علىٰ هذا، فاذا ما كانت هذه المصائب والأحداث مرّة و مريرة للشعب الفلسطيني، فهي لأعداهم اَكثر مرارة و عذاباً. أنظروا الى هذه الآية، كم هي واضحة: «إن تكونوا تألمون، فأنهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله ما لا يرجون» (سورةالنساء/الآية رقم ١٠٤) اَي اذا كنتم تعانون من مصاعب و آلام المواجهة مع العدو، فالعدو اَيضاً يعاني منها اكثر منكم، بل اِنّ الفرق هو اَنّ اَمام الشعب الفلسطيني آفاقاً مشرقة، في حين اَنّ المحتلين الصهاينة، لا يتمتعون بمثل هذه الآفاق المشرقة و المستقبل الواضح، فالشعب الفلسطيني له مستقبل زاهر و بامكانه اَن يقوم بجهد و جدّ و مقاومة توصله الىٰ تلك الغاية السامية و الهدف الأمثل».[٢]

١- كلمة قائدالثورة الاسلامية المعظّم أمام الأجتماع الحاشد في صحن الامام علي بن موسى الرضا(ع)، في عيدالغدير، ١٣٨٠/١٢/١٢ هـ. ش. (٢٠٠١/٣/٢ م)

٢- كلمة قائد الثورة الاسلامية اَمام جمع غفير من عشرات الآلاف من المقاتلين و شرائح مختلفة اُخرىٰ من الشعب في معسكر «دوكوهه» ١٣٨١/١/٩ هـ. ش، (٢٠٠٢/٣/٢٨ م)